

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

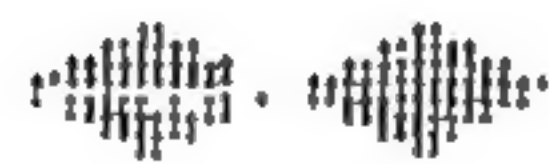


الدولة السعدية

الجزء الخامس



تمحيق وتعليق ولدى المؤلف :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

اهداءات ٢٠٠٢

أد/محمد طه الحاجري

الاسكندرية

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقراء

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولة السعيدية

الجزء الخامس



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السعادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة السعدية

الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان

وذكر أوليتهم وتحقيق نسبهم



اعلم أن هؤلاء السعديين كانوا يقولون : ان أصل سلفهم من ينبع النخل ، من أرض الحجاز ، وانهم أشراف من ولد محمد : النفس الزكية رضى الله عنه ، واليه كانوا يرفعون نسبهم ويقولون فى أول ملوكهم القائم بأمر الله مثلا : هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبى محمد بن عرفة بن الحسن بن أبى بكر بن على بن حسن بن أحمد بن اسمعيل ابن قاسم بن محمد النفس الزكية ابن عبد الله الكامل بن حسن المثنى ابن الحسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، فهم بنوعم السادة العلويين أشراف سجلماسة ، يجتمعون معهم فى محمد بن أبى القاسم المذكور فى النسب .

-- قالوا : والسبب فى قدوم سلفهم من الحجاز الى المغرب ، أن أهل درعة كانت لا تصلح ثمارهم وتعتريها العاهات كثيرا ، فقل لهم : لو أتيتم بشريف الى بلادكم كما أتى أهل سجلماسة لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم ، وقد كان أهل سجلماسة جاءوا بالمولى الحسن بن قاسم بن محمد بن أبى القاسم من أرض ينبع فى قصة ظريفة تأتي فى محلها ان شاء الله ، قالوا : فأتى أهل درعة بالمولى زيدان بن أحمد ، مضاهاة لأهل سجلماسة ، فعادت عليهم بركته . واعلم أن هذا النسب الشريف المسرود آنفا فيه -- كما قال اليفرنى -- بتر بين

قاسم ومحمد النفس الزكية فانه لا يعرف في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم ، وانما هو قاسم بن محمد بن عبد الله الاشر بن محمد النفس الزكية ، ولعله سقط عن ذهن من الناسخ . وقيل الصواب انه قاسم بن حسن بن محمد ابن عبد الله الاشر بن محمد النفس الزكية .

واعلم أيضا أن ما زعمه هؤلاء السعديون من انتسابهم لهذا البيت الكريم هو المعروف عند الكافة وتلقاه فضلاء عصرهم بالقبول وأثبتوه في تقریضاتهم ومؤلفاتهم الموضوعة في أخبارهم . ومن الناس من يطعن في ذلك ، ونقله بعضهم عن الشيخ أبي العباس المقرئ صاحب « نفح الطيب » وانه صحح أنهم من بني سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليلة السعدية ، ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا النقل ضعيف لان الشيخ المقرئ صرح في نفح الطيب بشرف هؤلاء السادة في غير موضع وهو من آخر ما ألف .

وممن طعن في نسبهم المولى محمد (فتح) بن الشريف السجلماسي أول ملوك السادة العلويين ، صرح بذلك في بعض الرسائل التي كانت تدور بينه وبين الشيخ ابن زيدان منهم قال فيها : « وقد اعتمدنا في ذلك ، يعني في عدم شرفهم ، على ما نقله الثقات المؤرخون لأخبار الناس من علماء مراكش وتلمسان وفاس ، ولقد أمعن الكل التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم الا من بني سعد بن بكر ، اه : ١٧٠ »

ويحكى شائعا عن الفقيه الورع المولى أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر السجلماسي - وكان من أهلصلاح والدين - أنه كلن ذات يوم جالسا مع المنصور السعدي في بعض قصوره من حضرة مراكش ، وهما مجتمعان على خوان طعام ، فقال المنصور للشيخ أبي محمد : « أين اجتماعنا يا فقيه؟ » يعني في النسب ، فقال أبو محمد : « على هذا الخوان » ويروى : « في هذا المشور » فأسرهما المنصور في نفسه ولم يدها له أن احتال عليه بما كان السبب في اتلاف مهجته ، فكان المنصور بعد ذلك يدعو الشيخ أبا محمد فيجلسه على الرخام في زمان كلب البرد وهيجانه من غير حائل ، وقد اتخذ المنصور ، فيما زعموا ، لبدة صوف داخل سراويله لا يحس معها بالبرد ، فاذا رآه أبو محمد

جالسا معه تجلد واستحيى أن يقوم عن السلطان ويتركه ، ويستمران على المذاكرة في مسائل العلم ، فعل ذلك به أياما حتى سكنته علة البرد فلم يزل أبو محمد يشتكى من ذلك إلى أن قضت عليه .

وأنكر هذا صاحب « نشر المثنى » ورده بتأخر وفاة ابن طاهر عن وفاة المنصور بأكثر من ثلاثين سنة .

وجواب أبي محمد هذا من النوع البياني المسمى : « بتلقى المخاطب بغير ما يترقب » على ما هو معروف في كتب الفن ، وإنما سأله المنصور لما مر من أن السعديين يزعمون أن جدّهم قدم من ينبع أيضا كما قدم جد العلويين ، والعلويون ينكرون ذلك كل الإنكار ويقولون : انهم لم يجتمعوا معهم في قبيل ولا دبير .

قال اليفرنى : « لكن صحح لنا غير واحد من أسياننا أن الشيخ ابن طاهر رجع عن ذلك الإنكار ، وإن المنصور أطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خط الإمام ابن عرفة وشيخه ابن عبد السلام بثبوت نسبهم فاطمأنت نفس ابن طاهر لذلك فكان يصرح بصحة نسبهم بعد ذلك ويزجر من يطعن فيه اهـ .

قلت : وهذا هو الصواب إذ مستند من يطعن في نسبهم عدم وضوحه ، ولا يلزم من عدم وضوحه عدم ثبوته في نفس الامر ، والا فيبعد أن يكون هؤلاء المنكرون قد اطلعوا على احوال عمود نسبهم وما اشتمل عليه من الاتباء والاجداد من لدن مبدئه إلى منتهاه مع طول المدة وتناسخ الاجيال ، فالتقير عن ذلك عسير جدا ، ولذا وكل الشارع أمر الانساب إلى أهلها ، وجعلهم مصدقين فيها ، إذ لا تعرف غالبا إلا من قبلهم . فهؤلاء السادة الزيدانيون لو فرضا أنهم ما كانوا ملوكا ولا بلغوا من الشهرة إلى حيث بلغوا ثم ادعوا هذا النسب الكريم فلا سبيل لاحد أن يدفعهم عنه الا بقاطع ، ولا قاطع كما علمت . نعم الحكاية المسوقة في سبب دخولهم إلى المغرب يظهر عليها أثر الصنعة والله أعلم بحقائق الامور .

وأما تسميتهم بالسعديين فقد قال اليفرنى : « ان هذه النسبة لم تكن لهم في القديم ، ولا وقعت بها تحليلتهم في ظهائرهم ولا في سجلاتهم وصدور

رسائلهم بل كانوا لا يقبلون ذلك ولا يجترؤا أحد على مواجهتهم به ، لأنه
انما يصفهم بذلك من يقدح في نسبهم ويطلعن في شرفهم ويزعم أنهم من بنى
سعد بن بكر كما قلنا ، وكثير من العامة واخوانهم من الطلبة يعتقدون أنهم
لانما سموا بذلك لان الناس سعدوا بهم ونحو ذلك مما لا معنى له ، اه .
قلت : وانما نصفهم نحن بذلك لانهم اشتهروا عند الخاصة والعامة به
فصار كالعلم الصرف المرتجل مع أنه لا محذور بعد تحقيق النسب وثبوت
الشرف ، والله تعالى يلهما الصواب بعنه وفضله .

|||||

الخبر عن دولة الامير ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله وبيعته والسبب فيها



قال ابن القاضى فى «درة السلوك» : « لم يزل أسلاف السعديين مقيمين
بدرعة الى أن نشأ منهم أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله فنشأ على عفاف
وصلاح ، وحج البيت الحرام ، وكان مجاب الدعوة ، ولقى جماعة من العلماء
الاعلام والصلحاء العظام فى وفادته على الحرمين الشريفين ، أخبرنى بعض
الفضلاء أنه لقى رجلا صالحا بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
فأشار له بما يكون منه ومن ولديه ، وكان قد رأى رؤيا وهى : أن أسدين
خرجا من احليله فتبعهما الناس الى أن دخلا صومعة ووقف هو بابهما ،
فعبزت له رؤياه بأنه سيكون لولديه شأن ، ولانهما يملكان الناس . ثم رجع الى
المغرب وهو معلن بالدعوة ، فيقول فى كل محفل : ان ولديه سيملكان المغرب
وسيكون لهما شأن من غير تردد منه ، ثقة بخبر الرجل الصالح وبرؤياه
المذكورة ، فما زال الى أن قام سنة خمس عشرة وتسعمائة ، اه .

وقال صاحب «زهرة الشماريخ» ما صورته : «ان سبب قيام أبى عبد الله القائم
أن أهل السوس أحاط بهم العدو الكافر ونزل بجوانبهم من كل جهة حتى
أظلم الجو ، واستحكمت شوكة البرتقال ، وبقي المسلمون فى أمر مريـسج

لعدم أميرتجتمع عليه كلمة الاسلام ، لان بنى وطاس فشلت ريحهم يومئذ
فى بلاد السوس ، وانما كان لهم الملك فى حواضر المغرب ، ولهم يكن لهم منه
بالسوس الا الاسم ، مع ما كانوا فيه من قتال العدو بطنجة وآصيلا وحجر
بادس وغيرها من ثغور بلاد الهبط ، فلما رأى قبائل السوس ما دهمهم من
تفاقم الاحوال وكثرة الاهوال وطمع العدو فى بلادهم ذهبوا الى الشيخ
الصالح أبى عبد الله محمد بن مبارك الاقاوى نسبة الى آفة من بلاد السوس ،
فذكروا له ما هم فيه من افتراق الكلمة وانتشار الجماعة وكتب العدو على
مباكرتهم بالقتال وماراوتهم ، وطلبوا منه أن يعقدوا له البيعة وتجتمع كلمتهم
عليه فامتنع من ذلك ، وقال : « ان رجلا من الاشراف بتاجمدارت(*) من درعة يقول :
انه سيكون له ولولديه شأن ، فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان أنسب بكم وأليق
بمقصودكم ، فبعثوا اليه وكان من أمره ما كان . »

وقال اليفرنى : « رأيت بخط الفقيه العلامة أبى زيد عبد الرحمن ابن شيخ
الجماعة أبى محمد عبد القادر الفاسى ما صورته : ذكر لنا الوالد عن سيدى
أحمد بن على السوسى البوسعيدى ان ابتداء دولة الشرفاء بالسوس أن بعض السادة
وهو سيدى بركات توسط فى فداء بعض الاسارى ، وأراد أن يكون مع النصارى
اتفاق على أن لا يحبسوا أسيرا ، فكلهم فى ذلك ، فقالوا له حتى يكون لكم
أمير ، فان ملككم قد ذهب واضمحل . قال : ثم ان بعض أهل السوس
ساروا الى قبيلة جسيمة (*) يكتالون الطعام فأخذتهم جسيمة وأكلوا متاعهم
وبضاعتهم ، فذهبوا الى شيخهم ، وكان ذا حزم وتدبير ، فرد عليهم كل ما
ضاع لهم حتى لم يبق لهم شىء فلما رجعوا الى بلادهم قالوا : ان هذا الشيخ
الرئيس هو الذى يليق أن نبايعه ، فاجتمعوا وأتوه وطلبوا منه أن يرأسهم
فامتنع ، واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الامر للدين ، ودلهم على رجل
شريف كان مؤذنا بدرعة فقال لهم : ان كان ولا بد ، فاقصدوا الشريف

(*) تاجمدارت من أعمال فزواطة بوادى درعة قاعدتها الان هى أمزرو وتحتوى

على زاكورا وزاوية البركة وسرت وغيرها اه

(*) قبيلة من ناحية اكادير من جهة الجنوب على شاطئ البحر

الفلاني فانه يذكر أن ولديه يملكان المغرب ، فقصدوه ، وحملوه الى بلادهم وبايعوه وفرضوا له من المؤنة ما يكفيه وأولاده ، وبقي هنالك في نحر العدو ويروى أنه لما بايعه أهل السوس ورأى قلة ما بيده مع أن الملك لا يقوم الا بالمال ، احتال بان أمر أهل السوس أن يأتوه ببيضة لكل كانون ، فاجتمع له من ذلك آلاف من البيض لاتحصى ، لأن الناس استهونوا أمر البيضة . فلما اجتمع عنده البيض أمر أن كل من أتى ببيضة يأتى بدلها بدرهم ففعلوا ، فاجتمع له من ذلك مال وافر ، فأصلح به شأنه وقوى به جيشه ، وكانت تلك أول نائبة فرضت في دولة السعديين والله أعلم .

وقال ابن القاضي : « ان الامير أبا عبد الله القائم لما اجتمع بالشيخ ابن مبارك ببلده آفة وذلك سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما مر ففاوضه في شأنه ، ثم عاد الى مقره من درعة ، ثم في سنة ست عشرة بعدها بعث اليه فقهاء المصامدة وشيوخ القبائل ، ودعوه الى توليته عليهم وتسليم الامر اليه ، فلبى دعوتهم ، وجاء الى قرية يقال لها تيدسى (*) قرب تازودانت . فبايعه الناس بها ، وأصبحوا معه بقلوب متفقة وأهواء على الجهاد مجتمعة » اهـ .

وقد ساق سنويل أولية هذه الدولة مساقا غريبا ، ولا يخلو عن فائدة ، فلنذكر منه ما يقرب الى الصحة ، ويكون كالشرح لما مضى أو يأتى من أخبار هذه الدولة ، قال : . . .

لما كان السلطان أبو عبد الله الوطاسي ، يعنى البرتقالى ، أميرا بفاس ظهر في درعة رجل شريف يعنى أبا عبد الله محمدا القائم بأمر الله ، قال : وكان هذا الشريف من قراء القرآن ، ومن أهل العلم والدين والفقر والحمول . . . (*) اسم لموضعين أحدهما بدرعة قرب تاكمدارت المتقدمة الذكر التي منها اصل السعديين ولعلها كانت مقرا لهم فيما سبق قبل الملك كما يفهم عن رسالتنا وجهها محمد الشيخ بن زيدان الى مولاي محمد بن الشريف السجلعاسي العلوي تضمنت ما نصه : « وانا من تيدسى احد القصور بوادي درعة الخ » وقربها من تاكمدارت يؤكد ذلك وتيدسى الاخرى توجد بالقطر السوسى قرب تارودانت ولا زال الموضعان يعرفان معا بهذا الاسم الى يومنا هذا وبالله التوفيق هـ

ولم يكن من بيت الرياسة ، وكان له اطلاع على تواريخ قطره وعوائد جيله وأخلاقهم وطبائعهم ، ورأى ما وصل إليه ملك المغرب من الانحطاط والضعف وتيقن أنه لا يصعب عليه تناوله ، فأعمل في ذلك فكره ومكره ، وصار يحض الناس على القيام بأمور دينهم والامتناع لها ، وكان قد بعث ثلاثة من أولاده ، وهم : عبد الكبير ، وأحمد ، ومحمد الى الحجاز بقصد الحج ، وكانت لهم فصاحة وزجاجة ومعرفة بادارة الكلام ، فظهر لهم ناموس في تلك البلاد ، وأحبهم الناس لا سيما أحمد ومحمد ، ولما رجعا من مكة أقاما بقاس ، وهى يومئذ دار الملك ، وترتب أحمد فى مجلس بالقرويين لتدريس العلم ، فاكسب بذلك عاها ، وتقرب محمد الى السلطان حتى صار مؤدبا لأولاده ، وبقي على ذلك مدة ، وهما فى ذلك كله يتحبان الى الناس ويسعيان فى مذهب الشهرة ، والبرتقال فى أثناء ذلك ملح على الثغور واستلابها من أهلها ، ولم تكن تقوم للمسلمين معه راية ، فدعا ذلك الاخوين أحمد ومحمدا الى أن ندبا السلطان ، وهو أبو عبد الله البرتقالى ، الى المناداة فى الناس بالجهاد اظهارا للنصح ، وهما يسران حسوا فى ارتغاء ، وقصدهما تفرقة الكلمة على السلطان لا غير فاعتر السلطان بنصحهما وقال لهما : « لا أحد أولى منكما بالقيام بهذه الوظيفة ، فأجاباه الى ذلك عن توفر داعية وكمال رغبة ، فأرسلهما يناديان ويستنفران الناس فى نواحي المغرب الى الجهاد ويحضان الناس عليه ، ويخطبان بذلك فى المحافل ، ويعظان وتبعا الحواضر والى البوادي ، وتقريا الاحياء والمداسر والقرى ، الى أن وصلا الى درعة حيث أبوهما وأخوهما عبد الكبير فاجتمعا بهما وذاكرهما فى أمرهما ، وانهما قد أشرفا على المراد ، وكادا يلجآن الملك من بابه ، لان أهل تلك البلاد كانوا سامعين لهم من قبل اليوم فكيف بهم اليوم ، فحينئذ أخذ الأب وأولاده فى نشر معائب الدولة للعامة ، ويقررون ذلك بفصاحتهم ووجاهتهم ، وما أوتوه من القبول ، وعضدهم على ذلك شيوخ البلد وتبعهم الناس ، واجتمعوا عليهم من كل جهة ، وصار حالهم ينمو شيئا فشيئا الى أن استبدوا على السلطان ولم يرجعوا اليه بعد . »

وقال فى «نشر المثنى» : «كان السبب فى قيام الثرقاء الزيدانيين واستدادهم

بملك المغرب أن الحرب نشبت بين النصارى وأهل السوس ودامت ، وكان بنو وطاس يمدون أهل السوس بالمال والعدد . فاتفق أن خرج الشريفسان محمد الشيخ وأخوه أحمد الأعرج للجهاد مع أهل السوس فظهر مكانهما في الجهاد ، فلما وفدا على الوطاسي تلقاهما بالرحب ، وأقبل عليهما لاجل قيامهما بالجهاد ، وأعطاهما عدة وخيولا كثيرة ، فرجعا الى جهادهما ، ثم عادا اليه مرة أخرى فأعطاهما مثل ذلك وكانت لهما وقائع في النصارى ونكاية وظهور ، وصارا يكتبان الى القبائل فيساعدونهما على ذلك حتى اجتمعت عليهم جموع عديدة ، فحينئذ خلعا طاعة الوطاسي ودعوا لانفسهما ، اه .

قال منويل : وكان أكثر شهرة أمرهم بالسوس الاقصى ودرعنة وأعمالهما ، وصاروا يرفعون اليهم زكواتهم وأعشارهم ، ثم بايعوهم ونهض هؤلاء الاشراف الى تارودانت فاستولوا عليها وحصنوها ، ثم زحفوا الى آكادير لحرب البرتقال فقاتلوه مدة ولم يفتح لهم ، وكانوا يشيرون انهم لا قصد لهم الا في الجهاد ومحاربة عدو الدين ، ومن هو سلم له من المسلمين اذ لم يتأت لهم اذ ذاك التصريح بخلع السلطان .

وفي سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة تجاوزوا جبل درن الى بلاد حاحة والشياطمة ، ثم دخلوا بسيط عبدة ، وكان بأسفى رجل متنصر على اسمه يحيى ابن تافوت (*) ، احتفى بالبرتقال من السلطان ، وكان معروفا بالشجاعة واتصل خبره بطاغية البرتقال منويل فولاه على النصارى وعلى أتباعه من المسلمين تأليفا له .

ولما زحف الاشراف الى بلاد عبدة كان بينهم وبين يحيى المذكور ونصاراهم معركة شديدتان ، كان الظهور فيهما ليحيى ، لكن أبو العباس أحمد الأعرج تدارك أمره فورا وجمع عسكرا آخر وخطبهم ووعظهم وزحف الى يحيى المذكور ففضه وفض نصاراه الى أن انجحروا بأسفى وأغلقوه عليهم وأتيح لأحمد عليهم ما لم يتقدم لغيره فيهم فبذلك تآتى له أن يتناول ملك المغرب . ولما اتصل خبر هذا الظهور له بالسلطان الوطاسي لم يعجبه ذلك ، وظهر

(*) صوابه تمففت كما رأيت في مخطوطات في إحدى رسائله المطبوعة ، أصول التاريخ المغربي .

له ان ما كان أحمد وأخوه يحاولانه من أمر الجهاد لم يكن ظاهره كباطنه ،
وتحقق له ذلك ما فعلوه من تحصين تارودانت مع ما كان لا يهيم من نفوذ الكلمة
بالسنوس .

وكان فتي هذا التاريخ بمراكش وأعمالها عامل اسمه ناصر بوششوف
وكان مستبدا على الوطاسي ويذل له شيئا تافها يتقيه به ، ولما مرت به هزلاء
الاشراف في أول أمرهم نلّعين إلى الجهاد أحسن اليهم غاية ، ولما أوقعوا
وقعة آسفى أبرموا أمرهم مع ناصر أبى شتوف وأظهروا له المنحة والمؤالاة ،
وطلبوا منه أن يظاهرهم على جهاد العدو وأن يكونوا يدا وأخذا وجندا واحدا
عليه فأسعفهم ، وقدموا مراكش فدخلوها مرة ثانية وأحسن اليهم ، وبعد أيام
خرجوا به للصيد فسموه في خبز صغير يسنى : القزيشلات فهلك للخن ،
وصفا للاشراف مراكش وأعمالها إذ كان أهلها قد أحبواهم وشرهوا اليهم ،
ولما تم لهم أمر درعة والسنوس ومراكش تسمى أحمد باسم الامير واشتخلف
أخاه محمدا الشيخ .

ولما اتصل الخير بالوطاسي وإنهم استولوا على مراكش . ألقه ذلك ،
ومن مكر أحمد انه بعث إليه يقول : ما أنا الا واحد من عمالك ، وما كان
يعطيه أهل هذه البلاد أبذله لك مضاعفا ، ومع ذلك لم يطمئن إليه . ثم هلك
الوطاسي وولى مكانه ابنه أبو العباس أحمد وانقسمت مملكة المقرب ، فصارت
فاس للوطاسي ومراكش وأعمالها لأبى العباس الأعرج ، وتارودانت والسنوس
ودرعة لمحمد الشيخ ، وأما عبد الكبير فانه كان استشهد قبل هذا في حرب
البرتقال قرب آسفى .

ولما رأى أبو العباس الوطاسي استفحال أمر الاشراف وإنهم أمسكوا
غنه ما وعدوا بأدائه لآبيه عزم على حربهم ، فجمع عسكرا عظيما وزحف إلى
مراكش فتحصن أحمد الأعرج بها وقدم عليه أخوه فظاهره على عسده ،
وفى أثناء تحصار الوطاسي لمراكش اتصل به الخبر بأن أهل فاس قد قاموا
عليه وبايعوا بعض اخوته فرجع إلى فاس وقبض على أخيه التائر عليه ثم كرا إلى
مراكش بعسكرا أعظم من الاول ، وفى هذه المرة برز إليه الاشراف خارج

البلد ، ثم تقدموا اليه فكان اللقاء على أبي عقبة من تادلا ، ووفعت بينهم حرب هائلة ، لأن اللوطاسيين كانوا يرون أن هذه الحرب هي الفصل بينهم وبين عدوهم والاشراف كذلك . وحضر هذا الحرب أبو عبد الله ابن الأحمر سلطان الاندلس المخلوع وأبلى بلاء حسنا حتى قتل ، وكان الظهور للاشراف يرجع النوطاسي مفلولا الى فاس وترك مجلته بما فيها من مدافع وغيرها بيد عدوه ، وبعد هذه الواقعة استولى الاشراف على تافيلالت ، وملكوا آكاديير وآسفي وآزمور ، لأن اليرتقال كانوا قد تخلوا عنها ، ثم عن قريب حدث بين الابخوين البفرة وحاول رجال دولتهما الوفاق بينهما فلم يتفقا ، وكانت الكرة على أحمد ، وفر ابنه زيدان الذي كان عضد أبيه في الحروب الى تافيلالت فاستولى عليها ، واقتطعها عن عمه محمد الشيخ . ثم زحف الشيخ الى فاس فحاصرها الى أن قبض على اللوطاسيين وغربهم الى درعة ، اه كلام منويل . ثم نرجع الى سياقة الخبر عن هذه الدولة حسبما عند اليفرنى وغيره .

■

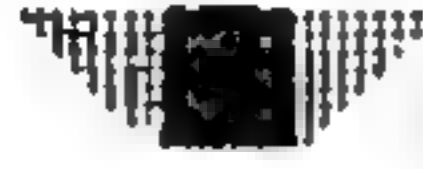
اخبار الامير ابي عبد الله القائم في الجهاد وما هيا الله له من النصر فيه



لما استتب أمر الامير أبي عبد الله القائم واجتمعت كلمة القبائل السوسية عليه ندب الناس الى مقارعة البرتقال وجهاده ، ونفيه عن ثغور المغرب وبلاده ، وكانت معه يومئذ جموع حافلة من المسلمين فصمدوا معه الى النصارى وناوشوهم الحرب ، فأتاح الله للامير أبي عبد الله الفتح والنصر ، ونثر أشلاء الكفار بمخالب الظفر ، وأخرج حية الغي من جحرها ، وأعاد كلمسة الاسلام الى مقرها ، فلما رأى المسلمون ذلك تيمنوا بطلعته وتفاءلوا بطائرم الميمون ونقيته ، وزادهم ذلك محبة في جانبه وتعظيما في مكانته ، ولما فصل من جهاده عاد الى محله المذكور من تيدسي ، فوقع بينه وبين بعض الرؤساء هنالك منافرة أدت الى ارتحاله عنها وعوده الى درعة ، فلم يزل مقيما بها الى سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرجع الى مكانه من تيدسي ، واطمأنت به دارها

وأزال الله عنه ما كان أزعجه عنها ، والله غالب على أمره .

عقد الامير أبى عبد الله القائم ولاية العهد لابنه أبى العباس الاعرج
رحمهم الله تعالى



فد تقدم لنا ما كان من أمر الرؤيا التي رآها الامير أبو عبد الله القائم
فى شأن ولديه وانهما يملكان المغرب . وفى معنى ذلك أيضا ما يحكى شائعا أن
ولدى أبى عبد الله المذكور ، وهما أبو العباس الاعرج وأبو عبد الله الشيخ
كانا يقرآن فى مكتب ، وهما صبيان ، فدخل ديك فوثب على رأس كل
منهما وصرخ ، فأول ذلك مؤدبهما بانهما سيكون لهما شأن . فمن أجل هذا
ونحوه كان والدهما يعلن بان أمر المغرب صائر اليهما ، فلما قضى الله بيعته
واجتماع الناس عليه واطمأنت به فى البلاد السوسية الدار ، وطاب له بها المقام
والقرار ، ندب الناس الى بيعة أكبر ولديه وهو الامير أبو العباس أحمد
المعروف بالاعرج فبايعوه ، وكان ذلك مبدأ ظهور أمره على ما نذكره ان شاء
الله تعالى .



انتقال الامير أبى عبد الله القائم الى افعال من بلاد حاحة
وفاته بها رحمه الله



ثم ان أبا عبد الله القائم وفد عليه أشياخ حاحة والشياطمة لما بلغهم من
حسن سيرته ونصرة لوائه فشكوا اليه أمر البرتقال ببلادهم وشدة شوكته
واستطالته عليهم ، وطلبوا منه أن ينتقل اليهم هو وولده الى العهد المذكور ،
فأجابهم الى ذلك ونهض معهم هو وابنه أبو العباس الى الموضع المعروف بأفعال
من بلاد حاحة ، وترك ولده الأصغر أبا عبد الله الشيخ بالسوس يرتب الامور

٤. مجيء السلطان أبي عبد الله الوطاسي (*) الجبل مراكشي

وحصاره للسلطان الاعرج بها ثم اقلعه عنها



لما استولى السلطان أبو العباس الاعرج على مراكش وصقأ له أمرها اتصل خبره بصاحب فاس أبي عبد الله الوطاسي ، المعروف بالبرتقالي ، فأقبل فسي جموع عديده مع وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر ، ويقال مع أخيه الناصر فلما رأى السلطان أبو العباس ما لا قبل له به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرماة والمقاتلة ، وزحف الوطاسي الى الحضرة فنصب الانفاض عليها ووالى الرمي عليها أياما ، واشتد الامر على الناس فكان من ذهابهم الى الشيخ الغزواني، وخروجه الى باب الخميس وقوله عند اصابة الرصاصة له انها خاتمة حريهم ما قدمناه في أخبار الوطاسيين مستوفى . ثم كان اللقاء بعد ذلك بين الفريقين انما يكون في تادلا وأعمالها على ما مر . والله أعلم .



خير آسفي والثغور



رأيت في تواريخ الفرنج أن البرتقال خرجوا من آسفي سنة ألف (*) وخمسمائة وثلاثين مسيحية ، وهذا التاريخ يوافقه من سني الهجرة سنة

(*) الذي حاصر مراكش هو أبو العباس الوطاسي لان ابلا ابا عبد الله مات قبل هذا التاريخ على ما عند المؤرخ كمور في تأليفه المعنون : « بتاريخ استيلاء الشرفاء على المغرب » .
(*) قرر البرتقال اخلاء آسفي في السنة التي ذكر المؤلف ووقع خلاف بينهم في ذلك وبقى الامر موقوفا الى سنة ١٥٤١ ميلادية الموافقة لعام ٩٤٨ هـ فتم اخلاؤها حينئذ نهائيا لما افتتح المسلمون حصن فونتي عنولا ولما اخلت امر السلطان ابو العباس الاعرج بحراستها وتعصينها راجع صفحة ٢٧٩ و صفحة ٢٨١ من كتاب تاريخ المغرب تأليف...

كواساك دوشافريير HISTOIRE DU MAROC PAR COISSAC DE CHAVREBIERE

ثلاث وثلاثين وتسعمائة، وهى وسط دولة السلطان أبى العباس . وزعم هذا المؤرخ أنهم خرجوا منها من قبل أنفسهم ، ونقلوا جميع ما كان فيها من عدة وأثاث الى الجديدة بعد ما خربوها وأفسدوها وأوقدوا فيها النار ، قال: وبقيت اسنى عشرة سنة وهى مخربة الى أن أصاحبها السلطان محمد الشيخ يعنى السعدى الآتى ذكره .

وفى «النزهة» : ما يقرب من هذا فانه قال بعد ذكر ايقاع السلطان أبى العباس بنصارى السواحل ما نصه : ويقال ان النصارى لما رأوا ما فعل بمن كان منهم بالسوس من القتل والسبى أخلوا ثغر آزموور ورباط آسفى وأصيلا من غير قتال . ثم نقل هذا الخبر فى محل آخر عن ابن القاضى منسوباً الى أبى عبد الله الشيخ وسيأتى ذكره فى محله . وأظن أن الاخلاء كان متكررا والله أعلم . وعلى كل حال ، فذكر آصيلا هنا غير مناسب اذ هى يومئذ فى جهة الوطاسيين وتخومهم فما بال نصاراها يخرجون فراراً منها خوفاً من السعديين وليسوا مجاورين لهم ولا متوقعين هجومهم عليهم ؟ ثم كان بعد هذا بين أبى العباس السعدى ، وأبى العباس الوطاسى من الحرب والسلام ما تقدم بيانه ، كوقعة أنماى : ووقعة أبى عقبة وغيرهما مما لا فائدة فى اعادته .



حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابى العباس الاعرج

وزيره ابى عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك



كان السلطان أبو العباس رحمه الله من الشهامة والصرامة واستفحال الامر بالمحل الذى وصفناه قبل ، وكان أخوه أبو عبد الله الشيخ أصغر سناً منه وكان تحت طاعته وإلقا عند اشارته ، وكان السلطان أبو العباس يستشير فى أموره ، وبفاوضه فى مهماته ، ويستعين بنجدته فى الزخوف والمعارك ، ويستضىء برأيه فى الحوادث الحوالك ، وكان الشيخ ثاقب الذهن نافذ البصيرة مصيب الرأى حازماً شهماً فكانت كلمتهما واحدة ، وأمرهما جميعاً ، (الاستقصا . خامس - 2)

إلى أن دخل الوشاة بينهما فافسدوا قلوبهما وأفضى الحال إلى المصافة والمقاتلة، وانقسم الجند حزبين، وانصرفت كل طائفة إلى متبوعها وصاحب أمرها، وتقاتلا مدة، وكانت جل القبائل السوسية صاغية إلى الشيخ لما كان نشأ بين أظهرهم وسبروه من نجابته وكفايته منذ تركه أبوه عندهم عند انتقاله إلى آفقال حسبما مر، فاستفحل أمره وغلب على أخيه أبي العباس فقبض عليه واستولى على ما بيده واجتمعت كلمة أهل السوس عليه، ثم أودع أخاه وأولاده السجن ووسع عليهم في الجرايات والنفقات، وأصبح ملكا مستقلا بعد أن كان وزيراً، وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة.

وفي «نشر المثنى»: أن قبض الشيخ على أخيه أبي العباس الأعرج كان سنة إحدى وخمسين وتسعمائة والاول أصبح. ولم يزل السلطان أبو العباس وأولاده في حكم الثقاف إلى أن قتل (*) يوم مقتل أخيه الشيخ بعد ثمان عشرة سنة أو نحوها حسبما يأتي إن شاء الله. وكانت دولته من يوم بويج إلى أن قبض عليه أخوه ثلاثاً وعشرين سنة، وكان من حجابيه: محمد بن عسلى الإنكراطى اليملالى، ومحمد بن أبي زيد المنزارى، ومن كتابه: سعيد بن على الحامدى رحمهم الله.

■

امر زيدان ابن السلطان ابي العباس وما كان منه



قال صاحب «درة الحجال»: اختلف الناس هل بويج لزيدان بن الأعرج بعد وفاة أبيه أم لا وقال شارح «زهرة الشمارين»: كان زيدان بن أبي العباس بسجلماسة وبويج له بها فلم يتم أمره ونقى إلى أن توفي سنة ستين وتسعمائة.

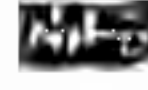


(*) بل بعد قتل أخيه بثلاثة أيام لما وصل الخبر بذلك لمراكش.

الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المهدي المعروف بالشيخ
ابن الامير ابي عبد الله القائم بامر الله



كانت ولادة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ سنة سبت وتسعين
وثمانمائة، ويلقب بالشيخ وبآمغار، وهو الشيخ بالبربرية، ويلقب من الألقاب
السلطانية: بالمهدي. لقبه به غير واحد من أئمة عصره، ونشأ في عفاف وصيانة،
وعنى بالعلم في صغره، وتعلق بأهدابه، فاخذ عن جماعة من الشيوخ، وبلغ
فيه إلى درجة الرسوخ.



فتح حصن فوتى وآسفى وآزمور وما قيل في ذلك



لما استقل السلطان أبو عبد الله الشيخ بأمر السوس واجتمعت كلمته
عليه صرف عزمه إلى جهاد العدو الذي بثغوره وحصونه، وأرهف حده
لتطهيرها من بقايا شغبه وزبونه، فانتصر عليهم واستأصل شأفتهم وقطع من تلك
النواحي دابرهم وحسم آفتهم.

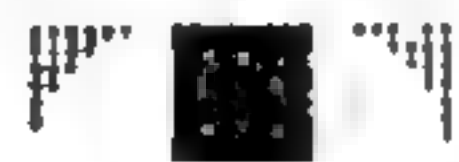
قال ابن القاضي: «كان الشيخ رحمه الله ماضى العزيمة قوى الشكيمة
عظيم الهبة، كثير الغزوات ذا همة عالية وشهامة غالية، فعد قواعد الملك وأسس
مبانيه، وأحيى مراسم الخلافة الدارسة ومعالمها الطامسة، وكان له سعد وبخت
عظيم في الجهاد ويد بيضاء في الإسلام، فتح حصن النصارى بالسوس يعنى:
حصن فوتى، بعد أن أقاموا فيه اثنتين وسبعين سنة، وكان منصورا بالرعب حتى
تركوا له آسفى وآزمور وأصيلا من غير قتال ولا إيجاف عليهم، اهـ. ونحوه
في تاريخ البرتقالين، زاد مؤرخهم أن ذلك كان باذن طاغيتهم صاحب أشبونة
وقد تقدم نحو هذا في أخبار الأعرج والجواب عنه، وكان فتح فوتى سنة
سبع وأربعين وتسعمائة كما في النزهة، وفتح آسفى سنة ثمان وأربعين

بعدها كما فى المرأة ، وعند البرتقالين أن ذلك كان سنة ألف وخمسمائة
 واثنتين وأربعين مسيحية وهو موافق لهذا التاريخ الهجرى .
 وفى «الدوحة» (*) «لما أخلى النصارى آزموور تسارع إليها جماعة من
 الفقراء منهم الشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفين جبل العرض من فاس ،
 والشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسى دفين تانسيفت قرب مراکش ، ففقدوا
 بها يحرسونها حتى يأتى مدد المسلمين ومن يعمرها منهم مخافة أن يرجع
 إليها العدو فإذا به قد رجع واقتحمها عليهم وأسروهم إلى أن افترسهم المسلمون .»
 قال منويل : « كان فداؤهما بالفى ريال ومائتى ريال بالثنية فيهما » ،
 ولما اقتدى الشيخ الكوش وعزم على الخروج ، وكان أسيرا عند امرأة
 نصرانية ، ناولته كتابا للمسلمين وقالت له : « هذه كتب كانت عندي ولا حاجة
 لي بها فخذها اليك » ، فأخذها وخرج بها فى قفة على رأسه فكان من جملتها .
 كتاب «تنبيه الانام» الموضوع فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فكان ذلك
 أول دخوله لهذه البلاد على يد الشيخ المذكور » ١١ .

بناء حصن آكادير

قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى « فى كتابه : «المنتقى المقصور» : كانت
 للامير السلطان أبى عبد الله الشيخ مآثر حسنة منها أنه أول من اختط مرسى
 آكادير بالسوس الاقصى سنة سبع وأربعين وتسعمائة لما أجلى النصارى من
 الموضع المعروف بفوتى على مقربة من آكادير المذكور وكان له فى اختطاطه
 رأى مصيب وفراصة تامة » ١٢ .

استيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراکش وتجديد البيعة له بها



كان السلطان أبو عبد الله الشيخ بعد القبض على أخيه واستقلاله بالامر قد أقام بالبلاد السوسية مثابرا على جهاد العدو الى أن قلع عروق مفسدته منها، وكانت مراکش في هذه المدة قد توقفت عن بيعته وتربصت عن الدخول في دعوته ، اتقاء للوطاسيين وارتياء في أمره الى ماذا يأول ، واستمر الحال الى سنة احدى وخمسين وتسعمائة فانقادت له حينئذ وبايعه أهلها فقدمها واستولى عليها وخلص له جميع ما كان بيد أخيه المخلوع من تادلا الى وادي نول . والله غالب على أمره .



نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بني وطاس واستيلاؤا على مكناسة وما اتفق له في ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ على مراکش وصفت له أعمالها طمحت نفسه للاستيلاء على بقية بلاد المغرب وأمصاره . وقطع جرنومة الوطاسيين من سائر أقطاره . فجمع الجموع وتقدم بها الى أعمال فاس فلم يزل يستفتحها بلدا بلدا ومصرامصر الى أن أتى عليها أجمع وكان أول ما ملك منها مكناسة الزيتون فإنه افتتحها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار وقتال كبير .



حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل الشيخ عبد الواحد الوائشري رحمه الله



كان السلطان أبو عبد الله الشيخ قد ألح على فاس بالقتال وحاصرها حصارا طويلا، ولما عسر عليه أمرها بحث عن ذلك فقبل له: لا سبيل لك اليها ولا يبايعك أهلها الا اذا بايعك ابن الوائشريسي يعنون: الشيخ الفقيه أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الوائشريسي رحمه الله، فبعث اليه السلطان المذكور سرا ووعدده ومناه، فقال له الشيخ عبد الواحد: «بيعة هذا السلطان، يعني أبا العباس، الوطاسي، في رقبتي ولا يحل لي خلعيها الا لموجب شرعي، وهو غير موجود» وزعم بعضهم أن السلطان المذكور كتب إلى أهل فاس يقول لهم: «اني ان دخلت فاسا صلحا ملائتها عدلا وان دخلتها عنوة ملائتها قتلا»، فأجابه ابن الوائشريسي بابيات أغلظ له فيها منها قوله:

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا خصك المولى بفضل ولا أولى
كذا في «النزهة». قلت: وهذا البيت من أبيات قديمة والوائشريسي انما تمثل به لا غير. فقد ذكر العلامة (*) ابن خلدون في أخبار بني صالح بن منصور الحميري أصحاب قلعة نكور لاول الفتح أن عبيد الله المهدي العيدي صاحب افريقية لما تغلب على المغرب خاطب سعيد بن صالح منهم يدعوه الى أمره وكتب له في أسفل كتابه:

فان تستقيموا استقم لصلاحكم وان تعدلوا غنى أرى قتلكم عدلا
وأعلوا بسيفي قاهرا لسيوفكم وأدخلها عنوا وأملأها قتلا

فأجابه سعيد بن صالح بابيات من نظم شاعره الطليطلي نصها:

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصل
وما أنت الا جاهل ومنافق تمثل للجهال في السنة المثلى

(*) اصل ما ذكره ابن خلدون في «مسالك البكري» فقد ذكر القصة والشعر عند

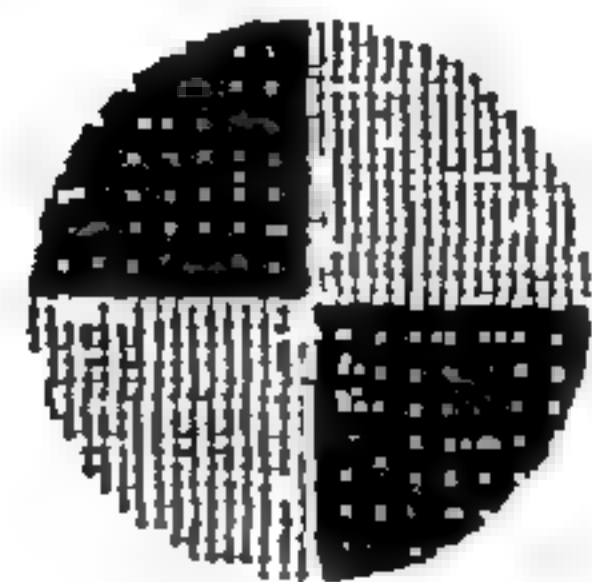
كلامه على قلعة نكور.

وممتنا العليا بدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى
فلعل الشيخ كتب لاهل فاس باليتين الاولين والواشرينى كان مطلعا على
القضية فأجابه بجوابهما .

ولما بلغ ذلك السلطان الشيخ حقد على الواشرينى ودس الى جماعة من
المتلصصة بان يأخذوه ويأتوا به الى محلته محبوسا من غير قتل ، وكان الشيخ
عبد الواحد يقرأ صحيح البخارى بجامع القرويين بين العشامين وينقل عليه
كلام ابن حجر فى «فتح البارى» ويستوفيه لانه شرط المحبس ، فقال له ابنه «يا أبت
انى قد سمعت أن اللصوص أرادوا الفتك بك فى هذه الليلة فلو تأخرت عن
القراءة .» فقال له الشيخ : «أين وقفنا البارحة؟» قال «على كتاب القدر!» قال «فكيف
نفر من القدر؟» اذا اذهب بنا الى المجلس ، فلما افترق المجلس خرج الشيخ عبد
الواحد من باب الشماعين ، أحد أبواب المسجد المذكور ، فثار به اللصوص
وأرادوا حمله فأخذ باحدى عضادتى الباب ف ضرب أحدهم يده فقطعها ، وأجهز
عليه الباقون فقتلوه بباب المسجد المذكور فى السابع والعشرين من ذى الحجة
سنة خمس وخمسين وتسعمائة .

قال الشيخ المنجور فى فهرسته : واشتهر عن الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد
ابن ابراهيم المدعو بأبى شامة أنه رأى الشيخ عبد الواحد فى المنام بعد مقتله فسأله
عن حاله فأشأ يقول :

لقد عمى رضوان ربى وفضله	ولم أر الا الخير فى وحشة القبر
وانى أسأل الاله بفضله	ليحفظنى يوم الخروج الى الحشر
وما بعد ذاك من أمور عسيرة	كشرب الكتاب والمروور على الجسر



استيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه على الوطاسيين وتغريبهم الى مراکش



ثم ان السلطان أبا عبد الله الشيخ جد في حصار فاس وألح عليها بالقتال الى أن ملكها واحتوى عليها .

قال في «الدوحة»: «لما ألح السلطان الشيخ بالحصار على فاس جاءه الشيخ أبو الرواين المحجوب وقال له : « اشتر مني فاسا بخمسمائة دينار » فقال له السلطان : « ما أنزل الله بهذا من سلطان هذا شيء لم تأت به الشريعة » فقال: « والله لا دخلتها هذه السنة » فبقى أشهراً والامر لا يزداد الا شدة ، فقال ابن السلطان ، وهو الامير أبو محمد عبد القادر ابن الشيخ لابييه : « يا أبت افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين ، فانه رجل مبارك من أولياء الله تعالى . » ولم يزل به حتى أذن له في الكلام معه ، فكلمه الامير عبد القادر ، فقال له : « ادفع المال » فدفعه اليه ، فقال له : « عند تمام السنة يقضى الله الحاجة وأمرى بأمره سبحانه . » ثم ان الشيخ أبا الرواين فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة ، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور في الظهور الى أن انقضت السنة فدخل فاسا كما قال « اه .

وقال صاحب «المتع» : والشيخ أبو الرواين هو كان أحد الاسباب في تمكن السلطان المذكور من الملك واخراج بني وطاس عنه ، فانه لما رأى اضطراب أمر الناس وهيجان النصارى على المسلمين جعل ينادى : « يا حيران جئ . » فاني قد أعطيتك الغرب ! » وذلك قبل ظهور السعديين ، ولم يكن الناس يدرون ما يقول حتى ظهر الحيران . وهو : أحد أولاد السلطان أبي عبد الله الشيخ ، وهو الذي كان يتقدم للحرب ولم يفتح والده من البلاد الا ما فتح له على يده .

وكان دخول السلطان الشيخ الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعث بهم مصفدين الى مراکش عدا

أبا حسون منهم فانه فر الى الجزائر مستجيرا بتركها حسبما مر .
وقال اليفرنى : « لما دخل الشيخ حضرة فاس دخلها وعليه وعلى أصحابه
الدراعات الصفرة وسمة البداوة لاثحة عليهم ، فحملوا أنفسهم على التسأدب
با داب الحاضرة والتخلق بأخلاقهم يعنى حتى رسخ فيهم ذلك ، والله أعلم .

|||||

نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤها



قد قدمنا ما كان من استيلاء حسن بن خير الدين التركى على تلمسان ،
وانقراض دولة بنى زيان منها سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ، فلما فتح أبو
عبد الله الشيخ حضرة فاس فى التاريخ المتقدم تآقت نفسه الى الاستيلاء على
المغرب الاوسط ، وكان يعز عليه استيلاء الترك عليه مع انهم أجانب من هذا
الاقليم ودخلاء فيه ، فيقبح بأهله وملوكه أن يتركوهم يغلبون على بلادهم ، لا
سيما وفد فر اليهم عدو من أعدائه وعيىص من أعياص أقتاله ، وهو أبو حسون
الوطاسى ، فرأى الشيخ من رأى واطهار القوة فى الحرب أن يبدأهم قبل أن يبدأوه
فنهض من فاس قاصدا تلمسان فى جموعه الى أن نزل عليها وحاصرها تسعة
أشهر ، وقتل فى محاصرتها ولده الحران ، وكان نابا من أنيابه وسيفا من
سيوفه ، ثم استولى الشيخ على تلمسان ودخلها يوم الاثنين الثالث والعشرين
من جمدى الاولى سنة سبع وخمسين وتسعمائة ، ونفى الترك عنها ، وانتشر
حكمه فى أعمالها الى وادى شلف ، واتسعت خطة مملكته بالمغرب ، ودانت له
البلاد ، ثم كرت عليه الاتراك وأخرجوه من تلمسان ، فعاد الى مقره من فاس ،
ثم عاود غزو تلمسان حين بلغه قيام رعاياها على الترك وانحصار الترك بقصبتها ،
فأقام مرابطا عليها أياما فامتنعت عليه ، وأقلع عنها ولم يعاود غزوها بعد ذلك
وخلص أمرها الى الترك على ما ذكره .

امتحان السلطان أبى عبد الله الشيخ أرباب الزوايا والمنتسبين والسبب في ذلك

ﷺ

لما كانت سنة ثمان وخمسين وتسعمائة أمر السلطان أبو عبد الله الشيخ بامتحان أرباب الزوايا والمتصدرين للمشيخة خوفا على ملكه منهم لما كان للعامّة فيهم من الاعتقاد والمحبة والوقوف عند اشاراتهم، والتعبد بما يتأولونه من عباراتهم، ألا ترى أن بيعة والده أبى عبد الله القائم لم تنعقد إلا بهم، ولا وليج بيت الملك الامن بابهم، فامتحان جماعة منهم كالشيخ أبى محمد الكوش، فاخلى زاويته بمراكش وأمر برحيله الى فاس .

وفى «الدوحة» : «لما امتحن السلطان أبو عبد الله الشيخ زوايا المغرب قيل لأبى على الحسن بن عيسى المصباحى دفين الدعاع التى على وادى مضى . من عمل القصر : «ألا تخشى من هذا السلطان؟» ، فقال : «انما الخشية من الله ومع هذا فالماء والقبلة لا يقدر أحد على نزعهما ، والباقي متروك لمن طلبه .» . وكان السلطان المذكور يطالب أرباب الزوايا بoudائع أمراء بنى مريـن ويتهمهم بها . وبعث خديمه يوما الى الشيخ أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المشتراى دفين مكناسة يطالبه بشيء من ذلك فوجده جالسا بناحية زاويته يضفر الدوم واذا بطائر، لعله اللقلاق سلع أمامه فما رفع أبو عثمان بصره حتى سقط الطائر ميتا متطاير الريش ، فلما رأى الخديم ذلك فزع وولى هاربا . قاله فى «المتع» والله تعالى أعلم :



وفادة الامام ابى عبد الله الخروبى من جانب دولة الترك فى شأن قسم البلاد وتحديدها

.....

لما كان من السلطان أبى عبد الله الشيخ ما كان من غزوه تلمسان مرتين وكان يحدث نفسه بمعاودة غزو تلك البلاد عيئت دولة الترك من جانبها الفقيه الصالح أبى عبد الله محمد بن على الخروبى الطرابلسى نزيل الجزائر ودفنها للوفادة على السلطان المذكور فى شأن عقد المهادنة وتحديد البلاد ، فقدم عليه الفقيه المذكور وهو بمراكش سنة احدى (*) وستين وتسعمائة فى هذا الغرض ، فأكرم السلطان أبو عبد الله وفادته ، الا أنه لم تظهر ثمرة لمقدمه .

وفى «المرآة» : «أن أبى عبد الله الخروبى قدم المغرب الاقصى مرتين فى سبيل السفارة بين ملوك المغرب الاوسط والمغرب الاقصى ، فاخذ عنه كثير من أهل المغرب الاقصى ، وأخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله ، وفى مقدمة الخروبى هذه الى مراكش أنكر على الشيخ أبى عمرو القسطلى دفين رياض العروس من مراكش حلق شعر التائب الذى يريد الدخول فى طريق القوم ، وقال : «انه بدعة» (*) فقالوا له : «ان الشيخ الجزولى كان يفعل» فقال لهم : «لعله باذن ، والاذن له لا يعمكم ، فان الاذن للنبي يعم أتباعه ، والاذن للولى لا يعم أتباعه» وأنكر عليه مسائل كثيرة ، وبعث اليه رسالة أقذع له فيها وقد وقفت عليها * رحم الله الجميع بمنه . وتوفى الخروبى هذا سنة ثلاث وستين وتسعمائة ودفن بخارج الجزائر والله أعلم .

(*) الذى فى «النزهة» سنة تسع وخمسين وهو الصواب .

(*) انظر «ممتع الاسماع» فقد اشبع القول فى مسألة حلق شعر التائب .

★ راجع فهرسة المرغيشى تجددها هناك . قال فى «الممتع» وقد اجاب ابو محلى الثائر الشهير الخروبى عن رسالته منتصرا لشيخه القسطلى اه .

قدوم ابي حسون الوطاسى بجيش الترك واستيلاؤه على فاس ونفيه الشيخ عنها



قد قدمنا ما كان من استيلاء السلطان أبى عبد الله الشيخ على فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبضه على بنى وطاس وفرار أبى حسون الى الجزائر فلم يزل أبو حسون عند تركها الى أن قدم بهم مع باشاهم صالح التركمانى ، فاستولى على فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة ، ونفى أبا عبد الله الشيخ عنها حسبما مر الخبر عنه مستوفى .



عود السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها



لما فر السلطان أبو عبد الله الشيخ من وقعة الترك بفاس ووصل الى مراكش صرف عزمه لقتال أبى حسون ، فاستنفر قبائل السوس ، وجمع النجموع ، وزحف الى فاس فدارت بينه وبين سلطانها أبى حسون حروب شديدة كان فى آخرها الظفر للشيخ ، فقتل أبا حسون واستولى على فاس ، وصفا له أمر المغرب ، وقد تقدمت هذه الاخبار مستوفاة فى محلها ، وكان لاستيلاء السلطان الشيخ على فاس يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة .

وفى «الدوحة» : أن دخول أبى حسون لفاس كان سنة ستين وتسعمائة ، وعود السلطان الشيخ اليها واستيلاؤه عليها كان فى ذى القعدة سنة ستين أيضا ، والله تعالى أعلم .



مقتل الفقيهين ابي محمد الزقاق و ابي علي حرزوز والسبب في ذلك



لما استولى السلطان أبو عبد الله الشيخ علي فاس في هذه المرة أمر بقتل الفقيه الصالح قاضي الجماعة بفاس أبي محمد عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق لانه اتهمه بالميل الى أبي حسون .

ويحكى أنه لما مثل بين يديه قال له : « اختر بأى شىء تموت » فقال له الفقيه : « اختر أنت لنفسك » فان المرء مقتول بما قتل به « فقال لهم السلطان : « اقطعوا رأسه بشاقور » فكان من حكمة الله وعدله في خلقه أن السلطان المذكور قتل به أيضا كما سيأتى .

وفى كتاب « خلاصة الاثر » : أن الشيخ الزقاق كان يقول : « من قتل سوسيا كان كمن قتل مجوسيا » فلما قبض عليه الشيخ قال له : « أنت زق الضلال » فقال له : « لا والله » بل أنا زق العلم والهداية » ثم قتله .

وأمر أيضا بقتل خطيب مكناسة الزيتون الشيخ أبي علي حرزوز المكناسي لكلام بلغه عنه ، وانه كان يذكره في خطبه ويحذر الناس من اتباعه والانقياد اليه ، ويقول في خطبته : « جاءكم أهل السوس الاقصى البعاد » ثم يذكر الشيخ ويقول : « واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل » والله لا يحب الفساد ، واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ، ولبس المهاد . « فى كلام غير هذا . وكان مقتل الفقيهين المذكورين فى ذى القعدة سنة احدى وستين وتسعمائة .



ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل في ذلك



قال ليفرنى : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ مولعا بتدبير أمر الرعية مستيقظا في أموره حازما غير متوقف في سفك الدماء » قال : « ويحكى أنه لما دخل فاسا دخلها وعليه وعلى أصحابه سمة البداوة فحملوا أنفسهم على التأدب بآداب أهل الحاضرة والتخلق باخلاقهم . » وذكر ان ملك السعديين انما تأتى على يد رجل وامرأة ، فأما الرجل : فقاسم الزرهونى ، فانه رتب للسلطان أبى عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم ، وكيفية مثلهم بين أيديهم وأما المرأة : فالعريفة بنت خجو فأنها علمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فاكسى ملك الشيخ بذلك طلاوة ، وازداد في عيون العامة رونقا وحلاوة بسبب جريانه على العوائد الحضريّة ، لان أهل البادية مسترذلون في عيون أهل الحاضرة ، قالوا : ولم يزل السلطان أبو عبد الله الشيخ يدور على مدن المغرب وأمصاره ويطيل الإقامة بفاس .

قال فى «المنتقى» : ومن مآثره : أنه بنى جسر وادى سبوء وجسر وادى أم الربيع . وتقدم بناؤه حصن آكادير . والله تعالى أعلم .



وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائبة



قد تقدم لنا فى صدر هذا الكتاب اختلاف العلماء فى أرض المغرب هل فتحت غنوة أو صلحا أو غير ذلك ، وعلى القول بأنها فتحت غنوة فهي خراجية كما هو مقرر فى كتب الفقه ، وتقدم لنا أيضا أن أول من وظف الخراج على أرض المغرب عبد المومن بن علي ، وتبعه بنوه على ذلك . وقفنا نهجهم بنو مرين وفى الظهير الذى كتبه السلطان أبو زيان المرينى لابن الخطيب أيام مقامه بسلا شاهد بذلك . ولما جاء السعديون من بعدهم سلكوا هذا السبيل أيضا .

وفول اليفرنى : ان أبا عبد الله الشيخ أول من أحدث النائبة بالمغرب يحمل على أنه أول من أحدثها على الوجه الآتى بيانه ، وذلك أنه لما صفا للسلطان أبى عبد الله الشيخ أمر المغرب واستأصل جرثومة بنى وطاس منه التفت الى ترتيب ملكه وتهذيب أعطافه وتأسيس أمور دولته كما قلنا ، فمن ذلك : أنه فرض على قبائل المغرب الضريبة المسماة فى لسان العامة بالنائبة ، ولم ينزه عنها شريفا ولا مشروفا ، حتى أرباب الزوايا و المتسبين ، ومنهم أولاد الشيخ أبى البقاء خالد المصمودى ، مع ما كان لا ييهم من الشهرة بالولاية والصيت فى بلاده . وكان قدر هذه النائبة صحيفة من الشعر وعشرين مدا من القمح لكل نائبة . وصاعا من السمن وكبشا لكل أربع نواب ، وكانت تفرض فى زمان الشيخ على الكوانين ، وتوظف على حسب السكان ، وتدفع باعيانها ، وجرى على ذلك ولده الغالب بالله وأخوه المعتصم ، ولما جاء المنصور من بعدهم قوم تلك الاعيان بسعر الوقت وصارت تدفع دراهم ، ثم ازداد ذلك الى أن خرج الامر عن القياس واتسع الخرق على الراقع ، والله لا يظلم مثقال ذرة .

من اسلة السلطان سليمان العثمانى للسلطان أبى عبد الله الشيخ

وما نشأ عن ذلك



قد قدمنا ما كان من غص السلطان أبى عبد الله الشيخ بمكان الترك من تلمسان والمغرب الاوسط ، وانه غزاها مرتين ، وقدم الامام أبو عبد الله الخروبي ساعيا فى الهدنة فلم يرجع بطائل . وكان السلطان الشيخ يقول فيما زعموا : « لا بدلى أن أغزو مصر واخرج الترك من أجحارها » وكان يطلق لسانه فى السلطان سليمان العثمانى ويسميه بسلطان الحوالة . يعنى لان الترك كانوا أصحاب أساطيل وسفر فى البحر ، فأنهى ذلك الى السلطان سليمان فبعث اليه رسله فهذا سبب المراسلة على ما فى « التنزهة » .

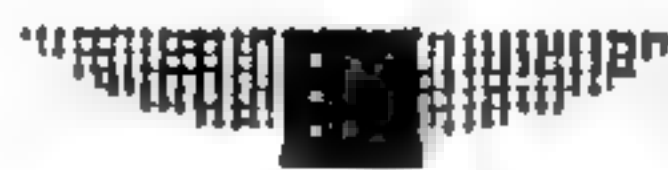
وأشبه منه بالصواب ما حكاه بعضهم قال : لما بلغ خبر انقراض الدولة الوطاسية الى السلطان سليمان العثمانى واستيلاء السعديين على ملك المغرب

الافصى كتب الى الشيخ يهنئه بالملك ، ويلتمس منه الدعاء له على منابر المغرب ،
 وبعث اليه بذلك رسولا فى البحر ، فانتهى الى الجزائر ومنها قدم الى مراکش
 فى البر . ولما وصل الى السلطان أبى عبد الله الشيخ أنزله على كبير الاتراك فى
 محله صالح باى المعروف بالكاهية ، وكان هؤلاء الاتراك قد انحاشوا الى
 الشيخ من بقايا القادمين مع أبى حسون ، فضمهم اليه وجعلهم جندا على حدة ،
 وسماهم اليكشارية بالياء ثم الكاف ثم الشين ، وهو لفظ تركى معناه العسكر
 الجديد . ولما قرأ السلطان أبو عبد الله الشيخ كتاب السلطان سليمان ووجد فيه
 أنه يدعوه له على منابر المغرب ويكتب اسمه على سكتة كما كان بنو وطاس حمى
 أنفه وبارق وأرعا . وأحضر الرسول وأزعجه ، فطلب منه الجواب ،
 فقال : « لا جواب لك عندي حتى أكون بمصر ان شاء الله وحينئذ أكتب
 لسلطان القوارب » فخرج الرسول من عنده مذعورا يلفت وراءه الى أن وصل
 الى سلطانه وكان من أمره ما نذكره .

|||||

قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثماني

واغتيالهم للسلطان أبى عبد الله الشيخ رحمه الله



لما خرج رسول السلطان سليمان العثماني من عند السلطان أبى عبد الله
 الشيخ ووصل الى الجزائر ركب البحر الى القسطنطينية فانتهى اليها ، واجتمع
 بالوزير المعروف عندهم بالصدر الاعظم ، وأخبره بما لقي من سلطان المغرب ،
 فانهى الوزير ذلك الى السلطان سليمان فأمره أن يهيء العمارة والعساكر لغزو المغرب
 فاجتمع أهل الديوان وكرهوا توجيهها ، واتفق رأيهم على أن عينوا اثني عشر
 رجلا من فتاك الترك وبذلوا لهم اثني عشر ألف دينار ، وكتبوا لهم كتابا
 الى صالح الكاهية كبير عسكر الشيخ ، ووعدوه بالمال والمنصب ان هو نصح
 فى اغتيال الشيخ وتوجيه رأسه مع القادمين عليه .

وفى «النزهة» : « أن صالحا هذا كان من ترك الجزائر جاء فى جملة الطائفة الموجهين لاغتيال الشيخ » والله أعلم . ثم دخل الوزير على السلطان سليمان واعتذر اليه عن توجيه العمارة ، وقال : « هذا أمر سهل لا يحتاج فيه الى تقويم عمارة ، وهذا المغربى الذى أساء الادب على السلطان يأتى رأسه الى بين يديك » فاستصوب رأيهم وشكر سعيهم وأمر بتوجيه الجماعة المعينة فى البحر الى الجزائر ، ومنها يتوجهون الى مراكش فى البر ؟ ففعلوا ، ولما وصلوا الى الجزائر هياؤا أسبابا واشتروا بغالا وساروا الى فاس فى هيئة التجار ، فباعوا بها أسبابهم ، وتوجهوا الى مراكش ، ولما اجتمعوا بصالح الكاهية أنزلهم عنده ودبر الحيلة فى أمرهم الى أن توجهت له .

وفى «النزهة» : « أن هؤلاء الاتراك خرجوا من الجزائر الى مراكش مطهرين أنهم فروا من سلطانهم ، ورغبوا فى خدمة الشيخ والاستيحاء به . ثم ان صالحا الكاهية دخل على السلطان أبى عبد الله الشيخ وقال يامولاي : « ان جماعة من أعيان جند الجزائر سمعوا بمقامنا عندك ومنزلتنا منك فرغبوا فى جوارك والتشرف بخدمتك وليس فوقهم من جند الجزائر أحد وهم ان شاء الله السبب فى تملكها » فامرهم بادخالهم عليه ولما مثلوا بين يديه رأى وجوها حسنا وأجساما عظاما فأكبرهم ، ثم ترجم له صالح كلامهم ، فافرغه فى قالب المحبة والنصح والاجتهاد فى الطاعة والخدمة ، حتى خيل الى الشيخ أنه قد حصل على ملك الجزائر ، فامرهم باكرامهم وان يعطيهم الخيل والسلاح ، ويكونوا يدخلون عليه مع الكاهية كلما دخل ، فكانوا يدخلون عليه كل صباح لتقيل يده على عادة الترك فى ذلك .

وصار الشيخ يبعث بهم الى أشياخ السوس مناوبة فى الامور المهمة ليتبصروا فى البلاد ويعرفوا الناس . وكان يوصى الاشياخ باكرام من قدم عليهم منهم ، واستمر الحال الى أن أمكنتهم فيه الفرصة ، وهو فى بعض حركاته بجبل درن بموضع يقال له : آكلكال بظاهر تارودانت ، فولجوا عليه خباءه ليلا على حين غفلة من العسس ، فضربوا عنقه بشاقور ضربة أبانوا بها رأسه ، واحتملوه فى مخلاة ملأوها نخالة وملحا وخاضوا به أحشاء الظلماء وسلكوا طريق درعة

وسجل مأساة كأنهم ارسل تلمسان لثلا يفتن بهم أحد من أهل تلك البلاد ،
ثم أدركوا ببعض الطريق فقاتلت طائفة منهم حتى قتلوا ونجا الباقون بالرأس ،
وقتل مع الشيخ تلك الليلة الفقيه مفتى مراکش أبو الحسن علي بن أبي بكر
السكتاني . والكاتب أبو عمران الوجاني .

ولما شاع الخبر بان الترك قتلوا السلطان واستراب الناس بجميع من
بقي منهم بالمغرب أغلق اخوانهم الذين كانوا بتارودانت أبوابها واقتسموا
الاموال واستعدوا للحصار ، ولما بويح لابنه الغالب بالله وقدم من فاس نهض
في العساكر الى تارودانت للاخذ بثار أبيه من الترك الذين بها فحاصروهم مدة ،
ولما لم يقدر منهم على شيء أعمل الحيلة بان أظهر الرحلة عنهم وأشاع أنه
راجع الى فاس لثائر قام بها . ولما أبعد عنهم مسيرة يوم خرجوا في اتباعه ليلا
والعيون موضوعة عليهم بكل جهة الى ان شافوا محلة السلطان الغالب بالله
فعطف عليهم ، ولما لم يمكنهم الرجوع الى تارودانت تحيزوا الى الجبل وبنوا
به قياظهم ، وجعلوا عليها المتارزات من الاحجار وتحصنوا بها وأحاطت بهم
العساكر من كل جهة ، فقاتلوا الى أن فنوا عن آخرهم ولم يؤخذ منهم أسير ،
وقتلوا من محلة الغالب بالله ألفا ومائتين . وأما الذين نجوا بالرأس فانتهبوا
الى الجزائر وركبوا البحر منها الى القسطنطينية ، فاوصلوا الرأس الى الصدر
الاعظم ، وأدخله على السلطان سليمان فامر به أن يجعل في شبكة نحاس ،
ويعلق على باب القلعة فبقى هنالك الى أن شفع في انزاله ودفنه ابنه عبد الملك
المعتصم ، وأحمد المنصور حين قدما القسطنطينية على السلطان سليم بن سليمان
مستعدين له على ابن أخيهما المسلوخ كما يأتي . وكان مقتل للشيخ رحمه
لله يوم الاربعاء التاسع والعشرين من ذى الحجة سنة أربع وستين وتسعمائة .
ولما بلغ خبر مقتله الى خليفته بمراكش القائد أبي الحسن علي بن أبي بكر آزرناك
بأدر بقتل أبي العباس الاعرج المخلوع وأولاده ذكورا واناثا كبارا وصغارا
خشية أن يخرجهم أهل مراكش فيباعوه . ولما قتلوا لم يتجرأ أحد على دفنهم
فبقوا مصرعين حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي الولي الشهير بمقرية من
ضريح الشيخ الجزولي وهي القبة التي قرب الضريح المذكور تسمى قبور

الاشراف ، وأما السلطان أبو عبد الله الشيخ فانهم حملوا جثته الى مراکش فدفنت بها قبلى جامع المنصور بروضة السعدين وقبره شهير بها الى الآن ومما نقش على رخامة قبره هذه الايات :

وطللت لحدته منها غمامات	حتى ضريحا تغمدته رحومات
هبّت من الخلد لى منها نسيمات	واستشقن نفحة التقديس منه فقد
من أجلها السبعة الارضين ظلمات	بحر به كورت شمس الهدى فكست
وأثبتت سهمها فيها المنيات	يا مهجة غالها غول الردى قنصا
وارتج من بعدك السبع السموات	دكت لموتك أطواد العلا صعقا
من الملائك ألحان وأصوات	وشيعت نعشك المزجى الى عدن
تدور منها عليه الدهر كاسات	يا رحمة الله عاطيه سلاف رضا
دار امام الهدى المهدي جنات	قضى فوافق فى التاريخ منه حلى

|||||

بقية أخبار السلطان أبى عبد الله الشيخ وسيرته



كان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ يلقب من الالقاب السلطانية بالمهدى ونشأ فى عفاف وصيانة وعنى بالعلم فى صغره وتعلق بأهل بيته ، فأخذ عن جماعة من الشيوخ ، وبلغ فيه درجة الرسوخ ، حتى كان يخالف القضاة فى الاحكام ، ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه ، وقع ذلك منه مرارا ، وله حواش على التفسير وذلك مما يدل على غزارة علمه .

وقال فى «المنتقى» : « كان السلطان أبو عبد الله الشيخ رحمه الله أديبا متفنا حافظا حدثى شيخنا أبو راشد أنه كان ممتع المجالسة والمذاكرة نقى الشبهة عظيم الهبة ما رأيت بعد شيخى أبى الحسن على بن هرون أحفظ منه للمقطعات الشعرية وكثيرا ما ينشد :

الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا لمن غلبا

وكان حافظا للقرآن فهما جدا ، حافظا لصحيح البخارى ، ويستحضر ما للناس عليه ، ويقول فى شرح ابن حجر : « ما صنف فى الاسلام مثله » عارفا بالتفسير وغيره ، وكان يحفظ ديوان المتنبى عن ظهر قلب ، وكان يحض على المشاورة ويقول : « لا سيما فى حق الملوك » وينشد قول المتنبى :

ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى

وكان يقول : « ينبغي للملك أن يكون طويل الامل فان طول الامل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح لان الرعية تصلح بطول أمله » ، وكان يقول : « من طول أمله أخذ تلمسان وسبته وغيرهما » انتهى .

وقوله انه كان يحفظ ديوان المتنبى ، سببه ما ذكره فى الدوحة قال : أخبرنى الوزير المعظم أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى محمد عبد القادر بن السلطان أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف قال : « لما غدرت قبيلة المنابهة بجدة السلطان المذكور وأنجاه الله من غدرتهم عرف الشيخ أبامحمد عبد الله ابن عمر بذلك فكتب اليه يقول : « أين أنت من قول أبى الطيب المتنبى : غاض الوفاء فما تلقاه فى عدة وأعوز الصدق فى الاخبار والقسم »

قال : « فعكف السلطان المذكور على ديوان المتنبى حتى حفظه كله ولم يعزب عنه بيت ولاحد » اه . وابن عمر المذكور هو أحد أشياخ السلطان المذكور وهو أبو محمد عبد الله بن عمر المضرى الفقيه الفرضى الحاسب ، فقيه درعة وعالمها ، وكان قد وفد على السلطان المذكور أيام كونه بالسوس ، ولما عاد الى درعة سأله فقهاؤها كيف وجدت أهل السوس ؟ فقال : « وجدت فقهاءهم على ضعيف الفتاوى ، وفقراءهم على عظيم الدعاوى ، وعامتهم على كثير المساوى » .

ومن أشياخ السلطان المذكور : الامام الشهير شيخ الجماعة بالصقع السوسى أبو الحسن (*) على بن عثمان الثاملى ذكره فى « المنتقى » وأثنى عليه ، ومن أشياخه : علامة فاس ومحققها أبو عبد الله محمد بن أحمد اليستنى ، أخذ عنه علوما منها التفسير . قال المنجور : « وكنت أنا قارئه بين يدي أمير

المؤمنين أبى عبد الله الشيخ المذكور وكان شديد المحبة له « قال : « ولما توفى
الفقيه المذكور وذهبت مع ولده صبيحة تلك الليلة التى توفى بها لنخبس
السلطان بوفاته وجدناه يقرأ ورده بحمام المرينى ، فخرج السلطان إلينا وهو
يبكى بصوت عال يفزع من سمعه ، حتى رأينا منه العجب وما سكت إلا بعد
مدة ، لما كان يعلم منه من صحة الدين والنصح لخاصة المسلمين وعامةهم ،
وحضر جنازته « ، وكانت وفاته رحمه الله سنة تسع وخمسين وتسعمائة ،
وللسلطان المذكور عدة أشياخ غير هؤلاء .

ومن وزرائه : الرئيس أبو الحسن على بن أبى بكر آصناك الحاحى ،
وأبو عمران موسى بن أبى جمدى العمرى وغيرهم .

ومن قضاته بفاس : أبو الحسن على بن أحمد الخصاصى ، وبمراكش :
أبو الحسن على بن أبى بكر السكتانى رحم الله الجميع .

وكان للسلطان أبى عبد الله الشيخ عدة أولاد نجباء ، ومن أنجبهم أبو
عبد الله محمد المعروف بالحران القليل على تلمسان ، ومنهم أبو محمد عبد
الله الغالب بالله ، وأبو مروان عبد الملك الغازى ، وأبو العباس أحمد المنصور
وهؤلاء الثلاثة ولوا الأمر بعد أبيهم ، ومنهم : الوزير أبو محمد عبد القادر
وتوفى فى حياة أبيه سنة تسع وخمسين وتسعمائة .

وفى «نشر المثنى» : أنه قتل مخنوقا بأمر أخيه ، عبد الله الغالب بالله سنة خمس
وسبعين وتسعمائة فالله أعلم . ومنهم عثمان وعبد المومن ، وعمر وغيرهم .

قال المنجور فى فهرسته : « حضرت يوما مجلس أمير المؤمنين أبى عبد
الله الشيخ ، وقد حضر عنده أولاده الصناديد الامراء : المولى محمد الحران ،
والمولى عبد القادر ، والمولى عبد الله ، فدخل شيخنا الامام أبو عبد الله اليستنى
فلما نظر اليهم حول أبيهم أنشد بيت تلخيص المفتاح :

فقلت عسى أن تبصرينى كأنما بنى حوالى الاسود الحوارد

فأعجب ذلك السلطان وأولاده رحمة الله عليهم . »



الخبر عن دولة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله



كانت ولادة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله كما رأيته مرقوما على الرخامة التى على قبره فى رمضان سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة ، وكان رحمه الله أدعج العينين ، مستدير الوجه عريضه ، أسيل الخدين ، مشرف الوجنتين ، ربعة للقصر ، ونشأ فى عفاف وصيانة ، وحفظ القرآن ، وأخذ بطرف صالح من العلم ، وكان ولى عهد أبيه ، وكان يلقب من الالقاب السلطانية: بالغالب بالله لقبه به غير واحد من الائمة . ولما وافته الانباء بمقتل أبيه وهو بفاس بايعه أهلها ولم يتخلف عن بيعته منهم أحد .

وذكر صاحب «زهرة الشماريخ» : أن الفقيه الميقاتى المعدل بمنار القرويين أبى عبد الله المزوار ، وكان بصيرا بعلم الاحكام والحدثان ، بينما هو ذات ليلة يرقب الطالع والغارب ، وقد ابهار الليل واسود ديجوره ، رأى طالع السلطان الشيخ قد سقط ، وكانت بينه وبين ابنه أبى محمد عبد الله وصلة ، فأسرع فى الذهاب اليه ليخبره بما رأى فلما بلغ باب فاس الجديد وجده مغلقا فاستأذن الموكلين به فى فتحه فأبوا ، فقال لهم : « انى جئت الى الخليفة ، يعنى خليفة السلطان ، فى أمر مهم عنده ، وان لم تعلموه بمكانى الساعة لحقكم منه غدا ما تكرهون ، فاندروا الخليفة المذكور به فحمل اليه ، وسأله عن قضيتيه ، فآخبره بما رأى ونعى اليه أباه ، فلم يكذب فى ذلك وتهيا واستعد ، فلم تمض الا أيام قلائل حتى وافته الانباء بمقتل أبيه فى تلك الساعة التى قال له المعدل المذكور ، فصادفه الحال على أهبة واستعداد ولما بلغ أهل مراکش مبايعة أهل فاس له وافقوا عليها ، فاستوسق له الامر وتمهد له ملك أبيه . وكان ذلك كله فى المحرم سنة خمس وستين وتسعمائة .

مجيء حسن بن خير الدين التركي الى فاس ورجوعه منهزما عنها



قال ابن القاضي : لما ولي السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله الخلافة اشتغل بتأسيس ما بيده وتحصينه بالعدد والعدة ولم تطمح نفسه الى الزيادة على ما ملك أبوه من قبله .

وفي سنة خمس وستين وتسعمائة ، في جمدي الاولى منها ، غزاه حسن بن خير الدين باشا التركي صاحب تلمسان في جيش كثيف من الاتراك ، وخرج اليه السلطان الغالب بالله فالتقيا بمقربة من وادي اللبن من عمالة فاس ، فكانت الدبرة على حسن ، فرجع منهزما يطلب صياصي الجبال الى أن بلغ الى باديس ، وكانت يومئذ للترك ، ورجع الغالب بالله الى فاس لكنه لم يدخلها لوباء كان بها يومئذ ، ولما رجع من حركته هذه أمر بقتل أخيه عثمان لامر نقمه عليه فقتل في السنة المذكورة . والله تعالى أعلم .



بناء جامع المواسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة به والمارستان
وغير ذلك



قال اليفرنى : « وفي عشرة السبعين وتسعمائة أنشأ السلطان الغالب بالله جامع الاشراف بحومة المواسين من مراکش ، والسقاية المتصلة به التي عليها مدار المدينة المذكور ، والمارستان الذي ظهر نفعه ووقف عليه أوقافا عظيمة ، قلت : وهذا المارستان هو الذي بحومة الطالعة قرب السجن ، وقد اتخذ اليوم سجنا للنساء ، قال : وهذا السلطان هو الذي جدد أيضا بناء المدرسة التي بجوار جامع ابن يوسف اللمتوني ، وليس هو الذي أنشأها كما يعتقد كثير من الناس بل الذي أنشأها أولا هو السلطان أبو الحسن المريني رحمه الله حسبما ذكره ابن بطوطة في رحلته ، وشاع على اللسان أن السلطان الغالب بالله توصل الى بنائها بصناعة الكيمياء ، وان الشيخ أبا العباس أحمد بن موسى السملالي علمه

اياها حين تلمذله كما سيأتى .

قال اليفرى : « وهو كذب ، فان المنقول عن الشيخ المذكور انكارها وما كان ليفتح على مسلم بابا عظيما من أبواب الفتنة وسببا بليغا من أسبـاب المحنة ، لان هذه الحرفة من أعظم أبواب الفتن ، وقد أجمع أرباب البصاء على التحذير من تعاطيها لوجوه ثلاثة ؛ أولها : انها من المستحيلات كما ذكر ابن سينا مستدلا عليه بقوله تعالى : « لا تبدل لخلق الله ، وكما انه ليس في قدرة المخلوق أن يحول القرد انسانا والذئب غزالا كذلك ليس في قدرته أن يصير الرصاص فضة ، والنحاس ذهبا يعنى ، لان ذلك من باب قلب الحقائق وهو محال . ولقد تناظر رجلان فيها فقال مجوزها : « أتتكر ما تشاهده في الصب وتصيير الجسد الاحمر أصفر والابيض أسود ؟ فقال مانعها : « لأنكر ذلك لان الصبغ ليس تغيير أصل ، وانما أنكر أن ثوب الصوف الابيض ترده صناع الصبغ قطناً أو حريراً أحمر أو أخضر ، وأما الصبغ فلا شك أن النحاس يصير أبيض ولا يخرج ذلك عن أصله ولا يسلب عنه اسم النحاس بل يقال في نحاس أبيض كما لا يسلب صبغ الصوف عنه اسم الصوف . ثانيها : سلمنا أنه جائزة الوجود لكنها معدومة في الخارج كما ذهب اليه أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله اذ قال : « ثلاث متفق على وجودها في الغالب ، وقد اتفق على عدم رؤيتها أهل المشارق والمغارب : الكيمياء ، والعنقاء ، والغول . وأخبارها كلها على وجه السماع والاسنادات وحكايتها كالموضوعات عن العجماوات والعجمادات » . ثالثها : سلمنا أنها موجودة في الخارج لكنه يحرم تناولها والبيع والشراء بها .

وقد سئل عنها الشيخ أبو اسحق التونسي رحمه الله فقل له : « أحلال هي اذا كانت خالصة ؟ » فقال : « لو دبر النحاس أو غيره من الاجساد حتى صار ذهبا خالصا لاشك فيه فمتى لم يقل بائع لمبتاعه هذا كان نحاسا أو جسدا من الاجساد فدبرته حتى صار ذهبا كما ترى لكان غاشا مدلسا . » قال : « ومتى ذكره لم يشتر أحد منه ذلك بفلس ، ويقول : فكما دبرته حتى صار ذهبا فكذلك يدبره غيرك حتى يرجع الى أصله . فمن لم يبين فيها فهو داخل في قوله عليه

الصلاة والسلام : « من غشنا فليس منا » فتكون صناعتها حراما ، وقيل لبعض الفضلاء : « لم لم تعمل بهذه الصناعة فانها تسلى خاطر ؟ » فقال : « قيل للحمار « لم لم تجتر ؟ » فقال : « أكره مضغ الباطل » وانشد :

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بعد ،
اه ما نقله اليفرنى ملخصا مهذبا ، وهو الحق الذى لا عوج فيه ولا
أمت . ثم قال : وبالجمله فماشاع عن السلطان الغالب بالله من ذلك لأصل له ،
ولقد كان أهل الورع يجتنبون الصلاة فى جامع الاشراف بعد ما بنى مدة
ويقال : ان موضع ذلك الجامع كان مقبرة لليهود والله تعالى أعلم .

|||||

فتح مدينة شفشاون وانقراض أمر بني راشد منها

|||||

تقدم أن مدينة شفشاون حرسها الله بناها بنو راشد من شرفاء العلم ،
وكانوا أهل جهاد ومرا بطة على العدو ببلاد غمارة والهبط ، ولما توفى مخططها
الامير أبو الحسن على بن موسى بن راشد بقيت بيد أولاده يتولون رياستها .
قال فى « المرأة » : ولم يزالوا فيها بين سلم وحرب الى أن حاصرهم بها الوزير
أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ السعدى بجيوش
عمه السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله ، وصاحب شفشاون يومئذ
الامير الفاضل أبو عبد الله محمد بن الامير أبى الحسن على بن موسى بن
راشد ، فلما اشتد عليه الحصار خرج فيمن اليه من أهله وولده وقرابته
وصعدوا الجبل المطل على شفشاون فى مسلك وعر صحبتهم فيه السلامة وذلك
ليلة الجمعة الثانى من صفر سنة تسع وستين وتسعمائة ، وساروا الى ترغسة
فركبوا منها البحر يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور . واستقر الامير أبو عبد
الله بالمدينة المنورة الى أن مات بها رحمه الله .



حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة



قد قدمنا ما كان من بناء البرتقال لمدينة الجديدة وتحصينهم لها بما فيه كفاية ، وكانت غارات المسلمين المجاورين لهم لا تنقطع عنهم وكذلك هم سائر مقامهم بها ولما كانت سنة تسع وستين وتسعمائة جهز اليها السلطان الغالب بالله جيشا كثيفا ، واستنفر لها قبائل الحوز ، وعقد عليهم لابنه محمد المعروف بالسلوخ قتل وادى المخازن ، وكان يومئذ ابن عشرين سنة على ما قيل ، واستوزر له القائد المجاهد الشاعر الفاضل أبا زيد عبد الرحمن بن تودة العمراني ، وجعل اليه أمر الحرب ، وابن السلطان صورة ، فرحف اليها وحاصرها أربعة وستين يوما وملك بعض أسوارها ولم يقض الله بفتحها . وفى «النزهة» : « ذكر أن القائد ابن تودة دخل البريجة التى فرب آرمور وأخذ أسوارها وعزم على أن يستأصل فى الغد بقيتها ولا يبقى للكفر بها أثرا فكتب اليه السلطان الغالب بالله ينهاء عنها ، فتراجع النصارى اليها بعد أن ركبوا البحر عازمين على الجلاء عنها » ١٥٠.

وقد وقفت فى التاريخ البرتقالى الموضوع فى أخبار الجديدة ، واسم مؤلفه لويز مارية ، على أخبار هذا الحصار وقد استوعبها وبسطها ، وتتبع الوقائع فصلا فصلا ويوما يوما ، وأتى من ذلك بما يزيد على الكراسة ، فكان من جملة ما قال : « انه لما عزم السلطان الغالب بالله على غزوهم وأخذ فى تجهيز الجيوش اليهم أتاهم بعض المنتصرة » قال : « وهو عبد أسود فأخبرهم بأن السلطان مستعد لحربهم ، وكانوا عازمين على التوثق من هذا الجاسوس فافلت منهم فعلموا ان اظهاره للتنصر كان مكيدة » ثم أخذوا فى الاستعداد واشتروا من عند قائد آرمور ألفى سيف هكذا زعم » قال : « وفى اليوم الرابع من مارس سنة ألف وخمسمائة واثنين وستين مسيحية وصلت جموع المسلمين الى حوز الجديدة » وهذا التاريخ موافق للتاريخ العربى الذى قدمناه قال : « فكانت خيل المسلمين نحو ثلاثين ألفا والرماة ضعف ذلك وكان فيهم عسكر الترك المعروف

بالبلدروس وكانوا يومئذ جندا للسعديين ، وكان معهم عشرون مدفعا عشرة كبيرة ، وعشرة صغيرة ، وفيها واحد أعظم من الجميع يسمى ميمونا ، وكان معهم العلم الكبير الابيض ورايات أخر ملونة ، وتقدموا الى الجديدة فحاصروها حصارا شديدا وحاربوها حربا هائلة ، وصف هذا المؤرخ ذلك كله وصفا كاشفا . وكانت الجديدة يومئذ فى غاية الحصانة والمناعة فلم يتمكن المسلمون من النصارى على ما ينبغى وأرسل الترك عليهم أنواع الحراقيات ، وملكوا المتارزات التى كانت حول السور بعد أن هلكت عليها نفوس من الفريقين ، ثم صنع النصارى للمسلمين عندها مينا البارود مرتين ، ففسى الاولى كانت المينا تسعة براميل نفط منهم سبعة فأهلكت خلقا من المسلمين والنصارى وفى الثانية كانت تسعة عشر برميلا أمام السور ففطت بالمسلمين وأتلفت منهم عددا فبعضهم طار فى الهواء وبعضهم ارتطم تحت التراب .

وكان رماة المسلمين ينالون منهم نبلا عظيما واعترف النصارى لهم بجودة الرمى بحيث كانوا كلما ظهر منهم عسكرى على السور اختطفته رصاصة فى أخير موضع من بدنه من الرأس أو الصدر .

قال لويژ المؤرخ : « ولقد قدم فى بعض الايام من أشونة كبير من كبراء جندهم فقال لهم : أرونى كيف قتالكم لهؤلاء المسلمين وكيف مصافتكم لهم ، قال : فما ظهر برأسه على السور ليرى محلة المسلمين حتى أصابته رصاصة نثرت دماغه كأن صاحبها كان ينتظره ، وكان ذلك بنفس نزوله من البحر قبل أن يذهب الى منزله ، فعوضه منه المسلمون القبر » قال : « فما كان النصارى بعدها يقدرون أن يظهروا على السور الا فى النادر ، ولما طال عليهم الحصار ندب كبيرهم جماعة منهم للخروج الى السواحل البعيدة عن محلة المسلمين لعلهم يظفرون بأسير منهم يستكشفونه عن خبر الجيش المحاصر لهم هل هو مرتحل أو مقيم وما مدة الاقامة » قال : « فخرجوا فى فلك لهم ليلا وساروا حتى بلغوا ساحل طيط ، وهى يومئذ خالية ، وكان بقربها محلة لقائد آسفى فلما طلع الفجر تقدموا الى البر وأرسوا فلكهم الى جانب بعض الاحجار هنالك بحيث يخفى على المارين بالساحل ثم كمنوا هنالك فلما كان وقت الاسفار اذا برجل

من محللة آسفى أتى على فرسه الى شاطئ البحر لبعض حاجاته فلم يرعه الا
النصارى قد أحرقوا به وأخذوا بلجام فرسه ، وجعل بعضهم فم مكحلته فى
صدوره ، فلم يملك المسلم من نفسه شيئا ، ثم أنزلوه عن الفرس وساقوه الى الفلك
أسيرا ، ولججوا به فى البحر ، ولا بعدوا عن البر شيئا ما رمى أحدهم الفرس
برصاصة فقتله ، ثم أسرعوا الى الجديدة فدخلوها واجتمع النصارى على المسلم
وهو كالمبهوت بينهم ثم سألوه عن خبر الجيش المحاصر لهم فاخبرهم بانهم
يناجزونهم بعد هذا مرة أخرى أو مرتين فان لم يظفروا بهم ارتحلوا عنهم فكان
كذلك . قال : « وكان ارتحال المسلمين من الجديدة فى سابع ما به العجى من
السنة المذكورة فعمل النصارى لذلك عيدا وأحدثوا فى كنائسهم صلوات لم
تكن قبل وذلك بإشارة باباهم صاحب رومة » .

ومما حكاه هذا البرتقالى فيما كان يجرى بين أهل آزمور وبينهم من
الحرب ، وذلك بعد هذا الحصار بمدة يسيرة : أنه كان بآزمور امرأة حسنة
وخطبها رجل من أهل البلد سماء لويى الا أنه لم يحسن النطق به لعجمته
وأظنه اسمه الميلودى (*) لان الحروف التى ذكر تقرب منه ، قال : فامتنعت عليه
فراودها أياما واشتد كلفه بها فلم تزدد عليه الا تمنعا فبعث اليها ذات يوم يرغبها
فى نفسه ، ويدلى عليها بما آثره التى من جملتها الشجاعة . حتى قال لها :
« وان شئت أن آتيك برأس أعظم نصرانى بالجديدة وأشجعه فعلت » ولعلها كانت
موتورة لهم فقالت له : « ان أتيتنى به تزوجتك » فذهب الرجل المذكور الى قائد
آزمور ولم يسمه لويى وعرض عليه أن يكتب الى كبير نصارى الجديدة
وصاحب رأيهم بان يعين من جانبه رجلا من شجعانهم ليبارزه ان شاء ، فاجابه

(*) الذى فى الترجمة الافرنسية مولاي حدو ولعل المترجم هنا رأى كلمتى مولاي ،
وحدو متصلتين خطأ فظنهما كلمة واحدة مستقلة وتوهم ان المؤرخ البرتقالى لم يحسن
النطق بها وأن أصل الكلمة الحقيقى ميلودى والعذر له فى ذلك لان الحروف التى فى
مجموع مولاي وحدو قريبة من لفظة ميلودى مع انها كلمتان مستقلتان فى الحقيقة احدهما
مولاي والثانية حدو .

القائد الى مراده ، وذهب الرسول بالكتاب حتى وقف على نحو غلوة من المدينة، وهذا الموضع هو الذى كانت تقف فيه رسل آرمور اذا قدمت لغرض ، فخرج اليه البريد من عند صاحب الجديدة وحاز الكتاب ورجع به الى صاحبه ، فلما قرأه أحضر جماعة من وجوه جنده وعرض عليهم ما فيه فقام رجل منهم وقال: «أنا صاحبه» وهذا الرجل سماه لوزير ، وقال « كان ابن ثلاثين سنة كامل القامة ممتلئ الاعضاء أسمر اللون كثير شعر البدن أسود اللحية وكان برأسه جرح لم يندمل من وقعة كانت بينهم وبين أهل آرمور قبل ذلك فكتب صاحب الجديدة الى قائد آرمور انا قد أجبتك الى ما دعوت ، وقد أعجبنا ذلك ، وها نحن قد عينا لصاحبك قرنه فلتعينوا لنا اليوم والساعة التى تكون فيها الملاقاة ، فاتفقا على يوم معلوم ، وفى ذلك اليوم سار قائد آرمور فى أصحابه ووجوه أهل بلده ومعهم الرجل المذكور الى الجديدة ، فاتتهوا الى الموضع الذى جرت العادة أن يقف فيه المسلمون ، وخرج قائد النصارى فى جماعته ، وشرطوا للمبارزة وكيفتها شروطا منها : أن تبعد كل جماعة من صاحبها بخمسين خطوة ولا يلتقى الا المتبارزان وحدهما برأى من الفريقين ، ومنها أن مساحة الموضع الذى يكون فيه مجالهما خمسون شبرا وسطا من الفريقين ، وان من خرج عن هذا المحل منهما ولو قيد شبر كان رقا للآخر ، وأعطوا خطوطهم بذلك . ولما حان وقت البراز خرج عدلان من جانب المسلمين حتى انتهيا الى النصرانى ففتشاه لينظرا ما عليه من السلاح وما معه ، لان من جملة الشروط أن لا يتبارزا الا بالسيف والرمح فقط فلم يجدا مع النصرانى سواهما » قال لويز : « وكان صاحبهم المذكور يحسن الضرب بكتايديه فشرط عليه العدلان أن لا يقاتل الا باليمين فرضى ، ثم خرج شاهدان من جانب النصارى حتى انتهيا الى المسلم ففتشاه فلم يجدا عنده سوى السيف والرمح أيضا غير أنه قد علق على ذراعه تماثم كثيرة مخروزة فى الجلد فقال له الشاهدان : « لا بد أن تنزع هذه التماثم لان صاحبنا ليس عنده شئ من هذا ، وأيضا فيمكن أن تقيك هذه التماثم بعض الوقاية » فقال لهم : « لا أنزعها لان مثل هذا لا يتقى به فى الحرب ، ولا يغنى فى الظاهر من السيف والرمح شيئا وانما فيها أسماء الله ولا يحسن بسى أن

أطرحها في هذه الحالة التي أنا مشرف فيها على الموت فيكون ذلك سوء أدب مني مع اسم الله تعالى وربما يكون سببا في خذلاني « فرجع النصرانيان الى قائدهما وأخبراه بالقضية فقال: «لابد من نزعها» فعادا اليه، وزعم لويز أن المسلمين وافقوا على نزعها وقال له العدلان: « ان الحق مع النصارى لانا كشفنا صاحبهم. كشفنا تاما، وراوده القائد أيضا، فاصر على الامتناع معتذرا بما سلف، ولما لم يحصلوا على طائل رجع المسلمون الى بلدهم ولم يكن براز « قال لويز: « وعد النصارى ذلك غلبا وجعلوا يصيحون ويخرجون البارود « قال: « وكان سور الجديدة مكسوا بالنساء والصبيان واغتاظ قائد آرمور فسجن المسلم المذكور لكونه جر هذه المذلة على المسلمين » .

قلت: من تأمل وأنصف علم أن الفشل انما هو من جانب النصارى لان تلك التماثل من حيث الظاهر لا تغني شيئا، وكون بركتها تقيه من ضربات السيف وطعنات الرمح فهذا لا يعتقده النصارى، بل ولا يسلمونه، فلم يبق الا الفشل والتعلل بما لا اعتبار به عند العقلاء. ثم قال لويز: « وقد كانت بين المسلمين والنصارى بعد ذلك وقائع فأبلى فيها ذاك المسلم البلاء الحسن وعرف محابه من الشجاعة اه، « والحق ما شهدت به الاعداء » وانما أثبت هذه الحكاية بطولها لغرابتها، ولما اشتملت عليه من خلال الفتوة ومنازع النخوة الايمانية فنسأله سبحانه وتعالى أن يعلى منار الدين ويكبت كيد الجاحدين والمعتدين آمين .

وفى سنة سبعين وتسعمائة ولى السلطان الغالب بالله الفقيه أبا مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى قضاء فاس فطالت مدته .



وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى السملالى رضى عنه الله



حكى صاحب «الممتع» : « أن السلطان أبا محمد عبد الله الغالب بالله قال للاستاذ أبي عبد الله الترغى(*) : « انى أجد فى نفسى ارادة وطلباً للشيخ فامض فاطلب لى شيخاً فذهب يطوف على مشايخ المغرب ، وكانوا اذ ذاك متوافرين ، حتى أتى على الشيخ أبي العباس أحمد بن موسى الجزولى ، ثم السملالى ، فوجده شيخاً جليلاً سنياً متواضعاً زاهداً ظاهر الورع ، حسن الاخلاق ، باهر الكرامات ، واضح الطريقة ، جامعاً لمحاسن الخلال والافاضة ، فرجع اليه وجعل يصف له كل من رأى من المشايخ بما ظهر له فيه ، حتى أتى على الشيخ المذكور ، فقال : « وهو ولى ، ثم ولى ، ثم ولى ، ثم ولى ، سبعا فقال له : « كأنك تدلنى عليه ، وانه مطلوبى ، وانه المقدم على غيره » فقال له : « لا أدلك عليه ولا عندى ما أعرف به تقديمه ، غير أن هذا الذى ظهر لى » فازمع السلطان الغالب بالله الرحلة اليه ، فلما بلغ الشيخ المذكور مجيئ السلطان اليه خرج يتلقاه ، وقد هيا له النزل وما يصلحه ، وأعد له ما يناسبه من الاطعمة الرفيعة النفيسة ، وقدم اليه الثمر الجيد واللبن الحليب ، ولما خرج للقاءه أتاه بعضهم بفرس ، وكان من عادته أن لا يركب ، واذا أتاه أحد بمركوب لا يردده عليه ، بل يستصحبه معه ويعلفه له حتى يرجع ، ففعل ذلك . ولقى السلطان ورجع به معه وأنزله عنده فمكث فى ضيافته ثلاثة أيام ، ثم طلب منه أن يتخذة وسيلة الى الله تعالى ، وسأله مع ذلك تمهيد الملك ، واعتذر اليه بانه لا يمكنه العيش بدونه ، ولا يأمن على نفسه ولا تؤويه أرض اذا هو تخلى عنه ، فقال الشيخ : « يا عرب ، يا بربر ، يا سهل ، يا جبل ، أطيعوا السلطان مولاي عبد الله ، ولا تختلفوا عليه » . ثم بعد الثلاث انصرف السلطان الى محله ، فبقى مدة وهو مسكن ممهد الملك فى عافية .

(*) الترغى بالناء المثناة ثم الراء والغين نسبة الى ترغوة مرسى قديمة على نحو اربعين كيلومترا من تطوان. انظر ترجمته فى « الممتع » صفحة ١٣٠

ثم أتى الترك الى بوغاز طنجة وسبته فخافهم وتشوش منهم كثيرا ، ولم يهنا له عيش ، فجعلت حاشيته يهونون عليه أمرهم . فقال : « دعوني منكم حتى أستقي من رأس العين » ثم ابرد بريدا الى الشيخ . فلما انتهى اليه سمعه يقول : « ياترك ارجعوا الى بلادكم ، ويامولاي عبد الله هناك الله في بلادك بالعافية » فتقدم الرسول وسلم على الشيخ ، وبلغه سلام السلطان ، ثم انقلب من فوره بعد ما ورخ وقت سماع مقالته . فلما بلغ الى السلطان أخبره بما كان من الشيخ من تلك المقالة وما كان منه من التاريخ وأقاموا ينتظرون ما يكون فاذا الخبر قد ورد على السلطان بان الترك قد ارتحلوا وانصرفوا الى بلادهم ، واذا ارتحالهم كان وقت مقالة الشيخ المذكورة .

ثم ان الشيخ قدم مراکش في بعض الايام زائرا من كان بها من أهل الله تعالى فرغب اليه السلطان الغالب بالله أن يدخل داره هو وأصحابه ، ويصنع لهما طعاما وشرط على نفسه أن لا يطعمهم الا الحلال ، ولا يطعمهم ما فيه شبهة ، وحلف للشيخ على ذلك فأسعفه ، واما حضر الطعام وضع الشيخ يده عليه ولم يصب منه ، فلما خرج قيل له : « ما لك لا تتناول من طعام السلطان وقد حلف ان لا يطعمكم الا الحلال ؟ » فقال له : « من أكل طعام السلطان وهو حلال أظلم قلبه أربعين يوما ، ومن أكله وفيه شبهة مات قلبه أربعين سنة » اه .

ومما ينخرط في هذا السلك : أن السلطان المذكور كان له اعتقاد في الشيخ أبي عمرو القسطلی ، وكان يعظمه غاية ، وكانت عنده مظلة له من سقف النخل يتقى بها الحر تبركا بها ، ولما توفي الشيخ أبو عمرو المذكور ، وذلك يوم الجمعة منتصف شوال سنة أربع وسبعين وتسعمائة ، حضر السلطان المذكور جنازته وحنأ التراب على قبره بيده .

ومن أخبار السلطان المذكور : أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن حسين المغاري كان ظهر بمراكش وكثرت الجموع عليه وقصده الناس من كل جهة فارسل اليه السلطان المذكور : « اما أن تخرج عنى أو أخرج عنك » فقال الشيخ ابن حسين : « بل أنا أخرج » وخرج من فوره الى تامصلوحت فكان من أمره ما كان .

استيلاء النصارى على حجر باديس والسبب في ذلك



قد تقدم لنا في أخبار الوطاسيين أن النصارى بنوا حجر باديس واستولوا على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة ، واستمروا بهما إلى أن انتزعهما الترك من أيديهم . ولما كانت دولة السلطان الغالب بالله وطمع الترك في الاستيلاء على المغرب الأقصى أغرى السلطان المذكور النصارى بالاستيلاء على الثغور الهبطية وسد أنقابها دونه .

قال في «النزهة» : ذكر بعضهم أن السلطان الغالب بالله لما رأى عمارة ترك الجزائر وأساطيلهم لا ينقطع ترددها عن حجر باديس ومرسى طنجة ، يعنى البوغاز ، وتخوف منهم اتفق مع الطاغية أن يعطيه حجر باديس ، ويخليها لهم من المسلمين ، فتقطع بذلك مادة الترك عن المغرب ، ولا يجدوا سبيلا إليه ، فنزل النصارى على حجر باديس وأخرجوا المسلمين منها ، ونبشوا قبور الأموات وحرقوها ، وأهانوا المسلمين كل الإهانة ، ولما بلغ خبر نزولهم عليها لولده محمد ، وكان خليفته على فاس خرج بجيوشه لاغاثة المسلمين ، فلما كان بوادى اللبن بلغه استيلاؤهم عليها فرجع وتركها لهم ، اه .

وذكر اليفرنى انه وجد هذه الاخبار فى أوراق مجهولة والله تعالى أعلم .



فتنة الفقيه أبى عبد الله الاندلسى ومقتله



كان الفقيه أبو عبد الله محمد الاندلسى ، نزيل مراكش ، متظاهرا بالزهد والصلاح حتى استهوى كثيرا من العامة فتبعوه ، وكانت تصدر عنه مقالات قبيحة من الطعن على أئمة المذاهب رضى الله عنهم ينحو فيها منحى ابن حزم الظاهرى ، ويتفوه بمقالات شنيعة فى الدين ، فأمر السلطان الغالب بالله بقتله : فاستغاث العامة من أتباعه واعصوصوا عليه ، ووقعت فتنة عظيمة بمراكش بسببه الى أن قتل وصلب على باب داره برياض الزيتون من المدينة المذكورة . وكان ذلك أواسط ذى الحجة من سنة ثمانين وتسعمائة (*) .



ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم



قال فى «الدوحة» : « كان الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى نزيل مليانة تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات فبعد صيته وكثرت أتباعه فغلوا فى محبته وأفرطوا فيها حتى نسبته بعضهم الى النبوة ، قال : « وفشا ذلك الغلو على يد رجل ممن صحب أصحابه يقال له : ابن عبد الله فأنه تزندق وذهب مذهب الاباضية على ما حكى عنه ، واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الفوغاء وأجلاف العرب وأهل الاهواء من الحواضر ، وتعرف هذه الطائفة باليوسفية » قال : « ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة » وسمعت بعض الفضلاء يقول : انه قد ظهر ذلك فى حياة الشيخ

(*) الصواب ان ذلك وقع سنة ٩٨٤ انظر «درة الحجال» فى ترجمة أبى عبد الله الاندلسى ص ١٦٧ وفى «الدوحة» ص ٨١ : وكان قتله بأمر من السلطان محمد المتوكل بن الغالب لا من الغالب كما عند المؤلف .

أبى العباس المذكور فلما بلغه ذلك قال : « من قال عنا ما لم نقله يبتليه الله بالعلة والقلة ، والموت على غير ملة » .

قال صاحب «الدوحة» : «ولقد أشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة فسجن جماعة منهم وقتل آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من أحوال الشيخ فى شيء، وإنما فعلوا كفعل الروافض والشيعة فى أئمتهم ، وإنما أصحاب الشيخ كابى محمد الخياط ، والشيخ الشطيبى ، وأبى الحسن على بن عبد الله دفين تافلات وأنظارهم من أهل الفضل والدين ، والا فلائمة المقتدى بهم كلهم يعظم الشيخ ويعترف له بالولاية والعلم والمعرفة » اهـ .

وقال فى «المرآة» ما نصه : والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدى المليانى من كبار المشايخ أهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية ، وكان كثير التلقين ، فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبى : «أهنت الحكمة فى تلقينك الاسماء للعامة حتى النساء» فقال له : « قد دعونا الخلق الى الله فأبوا فقتلنا منهم بان نشغل جارحة من جوارحهم بالذكر» قال الشيخ الخروبى : «فوجدته أوسع منى دائرة» . . .

قال صاحب «المرآة» : « وانتسبت اليه الطائفة المعروفة بالشراقة بتشديد الراء وهو برىء من بدعتهم فما كان الا امام سنة وهدى مقتدى به فى العلم والدين قد نزهه الله وطهر جانبه ، وقد أظهروا شيئا من ذلك فى حياته فتراهم منهم ، وقتلهم وبلغ المجهود فى تشريدهم » قال : « وحدثنى شيخنا أبو عبد الله النيجى أن الشيخ أبا البقاء عبد الوارث الياصوتى لما ظهرت بدعة الشراقة وانتسابهم اليه وقع فى نفسه من ذلك شيء فقيل له : «ان الشيخ أبا محمد الخياط من أصحابه» فقال : «أنا نائب الى الله ، كفى فى طهارة جانبه أن يكون الخياط من أصحابه» وكانت وفاة الشيخ المليانى سنة سبع وعشرين وتسعمائة لكن ما كان عنفوان تلك البدعة المدسوسة عليه الا فى دولة السلطان الغالب بالله كما مر ، والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء .

احتفال النصارى بمكيدة البارود بجامع المنصور من مراكش وما وفقى الله تعالى من شرها



كان بقصبة مراكش جماعة من أسارى النصارى من لدن أيام أبى العباس الاعرج وأخيه أبى عبد الله الشيخ فرأوا الجم للفقير من أعيان المسلمين وأهل الدولة يحضرون كل جمعة للصلاة مع السلطان بجامع المنصور من القصبة المذكورة ، فحدثتهم أنفسهم الشيطانية بأن يصنعوا مكيدة يهلكون بها السلطان ومن معه ، فحفروا فى خفية تحت الجامع المذكور حفرة مملؤها من البارود ووضعوا فيها فتيلة تسرى فيه النار على مهل كى ينقلب الجامع بأهله وقت الصلاة . فنفطت المينا وانهدت بها القبة الواسعة من الجامع المذكور ، واشتق مناره شقا كيرا ولازال مائلا به الى الآن ، وكان ذلك مبلغ ضررهم ، وكفى الله المسلمين شر تلك المكيدة ولم يتمكن لهم الحال على وفق ما أرادوا . وكان ذلك سنة احدى وثمانين وتسعمائة .



وفاة السلطان أبى محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله



قال الشيخ أبو العباس ابن القاضى فى شرح «درة السلوك» : «توفى السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله يوم الجمعة الثامن والعشرين من رمضان سنة احدى وثمانين وتسعمائة بسبب غم كان يعتريه ، اه . وهذا الغم هو الداء المسمى عند العامة بالضيق ، أعادنا الله منه ، وذكر غيره أنه توفى فى شوال بسبب تكلفه للصيام فعدت عليه العلة المذكورة . وشاع على السنة الناس أنه بات يصلى ليلة سبع وعشرين من رمضان فوافته ميتته وهو ساجد ، وذلك كذب ، ودفن رحمه الله عند ضريح أبيه بقبور الاشراف وقبره معروف . ومما كتب بالنقش على رخامة قبره هذه الابيات :

أيا زائري هب لي الدعاء ترحما
وقد كان أمر المؤمنين وملكهم
فها أنا ذا قد صرت ملقى بحفرة
تزودت حسن الظن بالله راحمي
ومن كان مثلي عالما بحنانه
وقد جاء ان الله قال ترحما
فاني الى فضل الدعاء ففيسر
الى وصيتي في البلاد شهير
ولم يغن عني قائد ووزير
وزادى بحسن الظن فيه كثير
فهو بئيل العفو منه جديسر
الى ما يظن العبد بي سيصير
وحكى أن ابنه ابا عبد الله المعروف بالسلوخ لما قرأ هذا الايات عاقب
ناظمها وقال له: «ان في قولك : ملقى بحفرة دسيمة وتلويحا الى الحديث: «القبر
روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» فهلا قلت ببلقع أو نحوه » .



بقية اخبار السلطان الغالب بالله وسيرته



كان السلطان أبو محمد عبد الله الغالب بالله ذا سياسة وخبرة بأحوال
الملك وتأن في الامور ، ولما ولي الخلافة ألان الجانب وخفيض الجناح وسار
بسيرة حسنة حتى صلحت الرعية وازدانت الدنيا ، وانتعش الناس حتى كان
يقال : ثلاث عيانتهم عيون الزمان : السلطان المولى عبد الله ، والشيخ أبو محمد عبد
الله بن حسين المغاري ، والشيخ أبو السرور عياد السنوسي .
قال اليفرنى : ورأيت من جملة سؤال كتب به الفقيه الصالح خطيب
الجامع الاعظم بتارودانت أبو زيد عبد الرحمن التلمساني الى قاضي الجماعة
أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن السكتاني يقول فيه : « ولا شك أن مولاي
عبد الله مجمع على عدالته وبيعته » وقد أخبرني الثقة من أصحاب الشيخ
الجامع أبي العباس أحمد بن موسى السملالي أنه قال : « مولاي عبد الله
ياقوتة الاشراف هو صالح لا سلطان » وقد اشتهر بين الانام وعلى السنة الخاص
والعام أن السلطان الغالب بالله كان عدلا صالحا ووقع في الرسالة التي كتب بها

ابن أخيه السلطان أبو المعالي زيدان بن منصور إلى الفقيه أبي زكرياء يحيى ابن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي ما ظاهره يخالف ذلك ، ويؤذن بأنه كان كغيره من الملوك ، ونص المحتاج إليه من تلك الرسالة مخاطباً للفقيه المذكور يقول : « وقد تحققت وعلمت أن ولاية أحمد بن موسى السملالي كادت تكون قطعية واشتهر أمره عند الخاص والعام حتى أطبق أهل المغرب على ولايته ، وقد كان على عهد مولانا عبد الله برد الله ضريحه ، وكان المولى المذكور على ما كان عليه واشتهر عنه ، وما برح الشيخ المذكور يدعوا له ولدولته بالبقاء ويظهر حبه ، وكان المولى المذكور يعزل ويولي ويقتل ، وكان شرد منه إلى زاويته المراتب الاندلسي وولد آصناك وأمثالهم ، وكان الشيخ يقدم المشفاعة فيشفع ولا يتعقب ، ولا يبحث عما وراء ذلك باق على عهده ومودته . وكان المولى المذكور بعث لابن حسين بسد داره فما فتحها حتى أمره ، ولا استعظم أحد ذلك ولا أكره فيه ولا جعله سبباً لفتح الفتنة ، وكان قواد المذكور مثل وزيره ابن شقراء ، وعبد الكريم بن الشيخ ، وعبد الكريم بن مؤمن العلج ، والهبطي ، والزرهوني ، وعبد الصادق بن ملوك ، وغيرهم ممن لا يحضرني ذكرهم لبعد عصرهم قد انغمسوا في شرب الخمر واتخاذ القيان وبسط الحرير وغير ذلك من آلات الفضة والذهب ، وكان في عصره أحمد بن موسى المذكور وابن حسين ، والشرقي ، وأبو عمرو القسطلي ، وأبو محمد ابن ابراهيم التمانرتي ، والشيظمي ، وغير هؤلاء من المشايخ وأهل الدين الذين لا يسع من يدعى هذه الطريقة التقدم عليهم ولا اكتساب الفضيلة دونهم ، فأحسنوا السيرة ولا تعرضوا للسلطنة ، ولا سمع منهم ما يقدر في ولاية الأمر وقادة الاجناد ممن ذكر الذين كان الملك يدور عليهم ويرجع اليهم في تدبيره » اهـ القدر المحتاج إليه من الرسالة المذكورة .

قال اليفرنى : « ومثل هذا ما ذكر بعضهم : أن السلطان الغالب بالله أعطى حجر باديس للطاغية لتقطع بذلك مادة الترك عنه ، ومثله ما ذكر عنه أيضاً : أن قائده ابن تودة أخذ بعض أسوار الجديدة وعزم على فتحها من الغد فكتب إليه السلطان المذكور ينهاه عن ذلك ، ونظيره أيضاً قضيته مع أهل غرناطة

وأطال فيها هذا البعض المنقول عنه بما استنكفت من ذكره هنا ، قال : « وهذه أمور شنيعة ان صح أنه فعلها ولست أدخل في عهدها لاني انما رأيتهما في أوراق مجهولة المؤلف اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية وظنى انها من وضع بعض أعدائهم لحطه من قدرهم واخراجه لايامهم من النسب الشريف ، ووصفه دولتهم بالدولة الخيثة ، فلذا تجنببت منها كثيرا من الاخبار التي لاتظن بأولئك السادة رحمهم الله ، فقد قال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله في طبقاته : « ان المؤرخين على شفا جرف هار لانهم يتسلطون على أعراض الناس وربما وضعوا من الناس تعصبا أو جهلا أو اعتمادا على نقل من لا يوثق به » قال : « فعلى المؤرخ أن يتقى الله تعالى » . اهـ الا أن الملوك لا يستغرب في حقهم أن يهدموا أساس الشريعة لينوا منار رياستهم ، ويستهنوا عظام الامور لتطيعهم الرعية ساعة ، كيف لا وشراع أفئدتهم تلعب به رياح الشهوات فتلقى سفينة قلوبهم على ساحل بحر القنوط من رحمة الله تعالى ، والله سامع الجميع ويتجاوز عن كافة عصاة هذه الامة بمنه وفضله » . اهـ كلام اليفرنى رحمه الله .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله : ابن أخيه الامير الاجل الاديب الاحفل أبو عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ كان من أنبل الوزراء والطفهم مسلكا وأخفهم روحا . وله عارضة في النظم والنثر .

ذكر الاديب أبو محمد عبد الله بن محمد الفاسي في كتابه : « الاعلام بمن مضى وغبر » من أهل القرن الحادى عشر ، ما صورته : « قدم الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر السعدى من مراكش الى فاس ، ومعه الفقيه قاضى الجماعة أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الحميدى ، والفقيه الامام أبو العباس أحمد المنجور ، فلما تبدت لهم معالم فاس الجديد ، « وتلظى للشوق فى جوانحهم أوار » ، « وأبرح ما يكون الشوق يوما ، اذا دنت الديار من الديار » وأنشد الوزير المذكور لنفسه ارتجالا :

أخلائى هذا للمستقى وربوعه وهذى نواير البلاد تسروح
وذاك المصلى مطرح الشوق والاسى وتلك منازل الديار تلوح

فقال القاضي الحميدى ارتجالا :

وتلك القباب الخضراء شبه زبرجد بهن غوان طرفهن جموح
يمسكن كأملود من الروض يأنس شذاهن من حول الديار يفوح
فقال الفقيه أبو العباس المنجور ارتجالا أيضا :

ويرفلن فى النحلات يختلن فى الخلى وفيهن أنواع الجمال وضوح
يادرن ترقيع الكوى بمحاجر لأقبال حب طال منه نزوح
ولما بلغت الأبيات إلى الأستاذ أبى العباس أحمد الزمورى قال مذيلا :

تأمل سنا الحسناء تحت قبابها كشمس غدت تحت السحاب تلوح
تحلت ربوع المستقى بجمالها وأنت إلى تلك القباب تسروح
وبعضهم جعل البيتين الأولين للمولى الأديب أبى محمد عبد الواحد بن
أحمد الشريف السجلماسى ، وكان كاتباً للوزير المذكور ، ويجعل موضع
أخلائى أمولاي ، والبيتين بعدهما للوزير والله تعالى أعلم ، والمستقى بصيغة اسم
المفعول اسم بستان معروف :

ونظير هذا ما ذكره الأديب المذكور فى اعلامه المذكور . قال : كان الوزير
المذكور مع كاتبه المولى عبد الواحد الشريف فى بعض الاسفار ، وأرسلت
السماة بغيثها المدرار ، فقال الوزير المذكور :

لله أشكو غداة السفح إذ ركضت أيدي المطايا وحادى الريح يحدونا
فأجابه الكاتب المذكور :

والغيم فى الأفق قد أرخى ذوائبه بأسهم الودق لا ينفك يرمينا
فقال الوزير :

حتى استوى الماء والآكام واستمرت معالم الرشد لاخرت يهدينا
فطلت الخيل فى الأمواج سابحة سبح السلاحف نحو الدار يهونا
فقال الكاتب :

والنفس فى قلق ليس مألّفها والشوق يحدونا والحال يقصينا
فقال الوزير

كأننا لم نبت والوضيل ثالثنا . حتى غدا الطير فوق السرح يفشينا .

وأخبار هذا الوزير ونوادره كثيرة ، وهو الذى أخرج بنى راشد من مدينة شفشاون حسبما مر ، وكانت وفاته فى العشرين من جمادى الثانية سنة خمس وسبعين وتسعمائة .

ومن وزراء السلطان الغالب بالله أيضا : القائد عبد الكريم بن مؤمن بن يحيى العليج الجنوى ، وعبد الرحمن بن تودة ، وقاسم الزرهونى ، وأحمد الهبطى . ومن ولاية مظالمه : أبو عمران موسى بن مخلوف الكنسوسى ، وهو والى الشرطة وكان فقيها مشاركا .

وذكر بعضهم : أن الشيخ الصالح أبا العباس أحمد بن موسى السملالى كان فى بعض قدماته على السلطان الغالب بالله (*) قد انحسر الناس لزيارته بزأوته ، فوقف أبو عمران المذكور يذود الناس عنه ويقول : « رحمكم الله من زار خرج » فسمعه الشيخ فقال له : « لا تقل ذلك وقل : من جار خرج » ومن كتاب السلطان المذكور : محمد بن عبد الرحمن السجلماسى . ومحمد بن أحمد بن عيسى وغيرهما . ومن تقاته بمراكش : الفقيه قاضى الجماعة أبو القاسم بن على الشاطبى ، وبفاس أبو عبد الله العوفى ، وأبو مالك عبد الواحد الحميدى رحمهم الله .



الخبر عن ذولة السلطان أبى عبد الله محمد المتوكل على الله

ابن السلطان عبد الله الغالب بالله رحمه الله



لما توفى السلطان الغالب بالله بحضرة مراكش كان ابنه محمد هذا بفاس ، وكان ولى عهد أبيه فاجتمع أهل العقد والحل بمراكش ، واستأنفوا له البيعة ،

(*) الذى فى « الفوائد ان الموفود عليه هو السلطان محمد الشيخ بتارودانت والذى كان يذود الناس هو صاحب شرطته الامير ابو زكرياء ابن الغازى انظر ذلك فى النصيحة التى وجهها المؤلف ابو زيد التمارتى لابي حسون المعروف بابى دمية لما قام بالسوس اهـ .

وكتبوا بها اليه ، فوصلت اليه وهو بفاس أوائل شوال سنة إحدى وثمانين وتسعمائة فبايعه أهل فاس وتم أمره .

قال ابن القاضي : أمه : أم ولد ، وكنته : أبو عبد الله ، ولقبه المتوكل على الله ويعرف عند العامة : بالسلوخ لأنه سلخ جلده وحشى ثنا كما سيأتى .

وكان مما وقع فى أيامه أنه كانت بين المسلمين وبين نصارى طنجة وقعة بالرملة المسماة بأبى غاص من فحص طنجة قرب قنطرة عصماء ، وذلك يوم الأربعاء منتصف جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة ، وفى هذه الوقعة استشهد الشيخ أبو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى دفين الدعاع على وادى مضى من عمل القصر ، فانه حمل بعد استشهاده الى الموضع المذكور فدفن بآزاء قبر أبيه فى الروضة التى هنالك .

واستمر أمر أبى عبد الله المتوكل منتظما الى أواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة ، فقدم عليه عمه عبد الملك بن الشيخ بجيش الترك فشر سلكه وبدد ملكه على ما نذكره . ويقال : انه كان أضمر الفتك بعميه أحمد وعبد الملك فقرا منه الى ناحية الترك على ما سيأتى . قالوا : وكان السلطان المذكور فقيها أديباً مشاركاً مجيداً قوى المعارضة فى النظم والنثر ، وكان مع ذلك متكبراً تياها غير مبال بأحد ، ولا متوقفاً فى الدماء عسوفاً على الرعية ، ومن شعره قوله :

فقم بنا نصطبيح صهباء صافية فى وجهها عسجدنى وجهه نقط

وانهض اليها على رغم العدا قلقتا فان تأخير أوقات الصبا غلط

ومن شعره أيضاً قوله :

ساروا مسار فؤادى اثر ظعنهم وخلفونى نحيل الجسم حيرانا

لا افتر ثغر الثرى من بعد بينهم ولا سقى هاطل وردا وريحاننا

وكان خليفته بمراكش : القائد ابن شقراء ، وحاجبه : أحمد بن حمو

الدرعى ، وكتابه : يونس بن سليمان التاملى ، وعلى بن أبى بكر ، وغيرهما ، رحمهم الله تعالى .

الخبر عن دولة السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ وأولية أمره وماله



كان أبو مروان عبد الملك بن أبي عبد الله الشيخ السعدي ، وأخوه أبو العباس أحمد المدعو بعد : بالمنصور مقيمين بسجلماسة سائر أيام أبيهما ، فلما توفي وولي الأمر بعده ابنه الغالب بالله فر عبد الملك وأحمد إلى تلمسان خوفا على أنفسهما منه ، فأقاما عند صاحبها حسن بن خير الدين مدة ، ولحق بهما أخوهما عبد المومن فصار ثلاثة الأثافي ، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الجزائر ، ومنها ركب عبد الملك البحر إلى القسطنطينية متطارحا على صاحبها السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ، فأمده بالجند حتى ملك المغرب كما سيأتي .

ولنذكر هنا كيفية استيلاء العساكر العثمانية على تونس وانقراض أمر الحفصيين منها ثم نرجع إلى حقيقة أخبار السلطان أبي مروان المعتصم بالله لأنها تنبئ على ذلك فنقول : اعلم أن أمر بني أبي حفص أصحاب تونس كان قد مرج في هذه المدة وتداعى إلى الاختلال ، وكان خير الدين باشا التركي المقدم ذكره في أخبار تلمسان قد استولى على تونس في حدود الأربعين وتسعمائة وغلب عليها صاحبها الحسن ابن محمد الحفصى ، ففر الحسن المذكور إلى طائفة الإصبيول صاحب قشتالة فأعطاه العساكر وجاء بها إلى تونس ، فنزل عسكر النصارى ببرج العيون قرب حلق الوادى ، وتقدموا إلى تونس فملكوها ، وانهزم خير الدين إلى الجزائر ، وشارك النصارى الحسن بن محمد في امرة تونس ، واستباحوا أهلها قتلًا وأسرا ونهبًا ، يقال : لانهم قتلوا من أهل تونس الثلث ، وأسروا الثلث ، وأبقوا الثلث ، وكل ثلث ستون ألفا هكذا عند صاحب « الخلاصة النقية » . ثم ملكوا الموضع المسمى : بحلق الوادى وليس هناك واد عذب وإنما هو جون دخل من البحر في البر وعليه مرسى تونس ، ثم بنى النصارى في الحلق المذكور حصنا عاديًا أقاموا في بنائه نحو ثلاث وأربعين سنة ، بحيث عجز الترك عن هدمه لما ملكوه بعد .

ثم ثار على الحسن ابنه أحمد المدعو : حميدة . وملك الحضرة مدة وقاتل

نصارى حلق الوادى فامتنعوا عليه ، ثم عزاه على باشا صاحب الجزائر واستولى على تونس سنة سبع وسبعين وتسعمائة وطرده أحمد عنها ، فذهب أحمد الى طاعية قنستالة مستغيثا به شأن أبيه من قبله ، هذا كله ونصارى الحلق لازالوا متمكنين منه أى تمكن ، فأمد الطاعية أحمد المذكور بأسطول عظيم واشترط عليه أداء مآل فالتزمه .

ولما وصل الأسطول الى ظاهر تونس اطلع قائده السلطان أحمد على كتاب من الطاعية مضمينه المشاركة فى الحكم ، فأنكر أحمد ذلك وأنف منه ، وذهب الى صقلية فبقى بها الى أن مات وحمل الى تونس . وكان هنالك أخوه محمد بن الحسن فرضى بالمقاسمة ودخل بالنصارى الى تونس فاستولى عليها وملك قصبتها وجالسه شريكه النصرانى بها ، واتهمت المدينة وأهين الدين وعم الخراب وتكدر الشرب وتفرق الجمع ، وارتبطت خيل العدا بالجامع الاعظم والقيت مافيه من نفائس الكتب بالطرق ونشئ قبر الشيخ أبى محفوظ محرز بن خلف فلم يوجد فيه الا الرمل حماية من الله له ، وحاشا أن تعدوا الارض على جسد مثله ، وأرسل محمد بن الحسين الى الناس بالإمان وإستمالهم النصرانى بعد بكاذب الرفق ، فأقاموا بدار مذلة وهوان .

واتصل ذلك كله بالسلطان سليم بن سليمان العثمانى فأعظمه ، وجهاز العماره للحين مع الوزير سنان باشا يقال : كانت أربعمئة وخمسين قطعة فخرج بها الوزير المذكور من القسطنطينية ، وهى اصطنبول ، غرة ربيع الاول سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، ووصلوا الى حلق الوادى فى الرابع والعشرين منه ، وكان حيدر باشا صاحب القيروان ، ومصطفى باشا صاحب طرابلس محاصرين لتونس قبل ذلك حتى فتر عزمهم ، فلما قدم عليهم سنان باشا قويت نفوسهم واعصو صبا عليه ، وتقدموا الى الحصن الذى يحلق الوادى فحاصروه حتى اقتحموه عنوة سادس جمادى الاولى من السنة المذكورة ، أغنى سنة احدى وثمانين وتسعمائة ، واستلحموا من به وغنموا ما فيه ، والتجأ محمد بن الحسن الحفصى وأنصاره من النصارى الى البستيون ، وهو حصن آخر كانوا قد بنوه خارج باب تونس ، فحاصروهم سنان باشا به حتى اقتحمه عنوة . وقتلوا من به ، وامتلأت

أيديهم من المغانم ، وطهر الله بهم البلاد ، وكانت إحدى الوقائع الجليلة القدر ،
الباقية الذكر ، وظفر الوزير بمحمد بن الحسن فاحتمله معه إلى السلطان سليم
فاعتقله في يد قاة أحد حصونه حتى هلك ، وانقرضت بمهلكه دولة بني أبي
حفص التي هي بقية الموحدين .

إذا علمت هذا ، فاعلم أن استيلاء العساكر العثمانية على تونس كان قبل وفاة
السلطان الغالب بالله بنحو خمسة أشهر ، لأن وفاته كانت في آخر رمضان سنة
أحدى وثمانين وتسعمائة كما مر ، وفتح تونس كان في جمادى الأولى من
السنة المذكورة . ووقع في «النزهة» : أن فتح تونس كان سنة اثنتين وثمانين
وتسعمائة ، وهو غير صواب ، والله تعالى أعلم .

❦

مجيء السلطان أبي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي بعسكر الترك
واستيلاؤا على المغرب



اعلم انه وقع في «النزهة» وغيرها أن عبد الملك بن الشيخ وأخاه أحمد
كانا في ابتداء أمرهما بسجلماسة فلما توفي أبوهما وولى أخوهما الغالب بالله
لحقا بتلمسان فأقاما بها مدة ثم انتقلا إلى الجزائر ، فلما اتصل بهما خبر وفاة
أخيها الغالب وولاية ابنه محمد المتوكل من بعده ركب عبد الملك البحر إلى
القسطنطينية وتطارح على ملكها العثماني في أن يمدد بجيش لملك المغرب ، فتأقلا عنه
العثماني إلى أن بعث بالعمارة لفتح تونس فشهد عبد الملك الفتح ، وعاد إليه
بالبشارة فأسعفه ، وهذا غير صواب من جهة أن فتح تونس كان متقدما على
وفاة الغالب بالله كما مر ، اللهم إلا إذا كان عبد الملك وفد على العثماني مستعديا
على أخيه الغالب بالله ، وفي أثناء ذلك توفي وولى ابنه المتوكل فيكون الكلام
صحيحا ، وأما ما في «النزهة» مما يقتضي تأخر فتح تونس عن وفاة الغالب بالله
فغير صواب كما مر .

ولنذكر ما حكوه من ذلك فنقول : لما بويح السلطان أبو عبد الله محمد

المتوكل على الله كان عبد الملك بن الشيخ وأخوه أحمد المدعو بعد بالنصور بالجزائر ، فركبا البحر الى القسطنطينية العظمى قاصدين السلطان سليم بن سليمان العثماني رحمه الله ، ومع عبد الملك أمه سحابة الرحمانية ، وزعم بعضهم أن التي كانت معهما مسعودة الوزكيتية ، وهي أم أحمد منهما ، فانتهايا الى القسطنطينية وتعلقا بكبراء الدولة حتى أدخلوهما على السلطان سليم ، ودخلت أمهما داره ، وطلبوا منه أن يبعث معهم العساكر لتملك المغرب ، ويقوموا فيه بدعوته ، فتناقل عنهم مدة الى أن كان الغزو الى تونس فكتب السلطان سليم الى أهل الجزائر وأهل طرابلس أن يوجهوا قراصينهم لحصار تونس مع العمارة الموجهة من قبله ، فطلب عبد الملك وأخوه أحمد من الدولتين ، وهو صاحب الجزائر ، أن يجعل لهما رياسة قرصان منها يتوجهان فيه للجهاد معه ، فأعطاهما غليوناً فيها ستة وثلاثون رجلاً فركباها ولحقا بعمارة السلطان سليم في جملة مراكب الجزائر . هكذا وقع في سياقة هذا الخبر ، وهو يقتضي أنهما كانا يومئذ بالجزائر لا بالقسطنطينية ، فلعلهما عادا إليها من عند السلطان سليم الى أن سافرا في جملة عسكر الجزائر والله تعالى أعلم ، ولما فتخوا تونس واستأصلوا من بها من الكفار حسبما مر عين رئيس العمارة العثمانية مركبين يتوجهان بكتاب الفتح الى السلطان سليم ، فطلب منه عبد الملك وأحمد أن يأذن لهما في الذهاب معهما بالغليون ليأتيا بأمنهما التي تركاها هنالك ، فلم يزالا بالرئيس المذكور حتى أسعفهما . فكان من قدر الله تعالى ان هاج البحر عليهم ذات ليلة ففرق مراكبهم ، ولما أصبح عبد الملك وأحمد لم يجدا للمركبين أثرا فوافقهم السعد وساعدتهم الرياح فوصلوا الى القسطنطينية قبل المركبين بثلاث .

واتصل خبرهما بالصدر الاعظم فأحضرهما وسألهما عن العمارة وما كان منها فأخبراه بفتح تونس ، وقصا عليه الحديث من البدء الى التمام ، فأعلم السلطان سليما بهما فأدخلهما عليه وسألهما كذلك فأخبراه ، وسألهما عن كتاب الفتح فقالا : ان امير العمارة قد بعث به مع مركبين صحبناهما الى أن فرق بيننا البحر ولم ندر ما كان منهما بعد ذلك .

ولما رأيا من السلطان سليم تنزلا واهترازا لكلامهما طلبا منه في بشارتهما أن يبعث معهم العساكر الى الغرب، وشفعا في انزال رأس والدهما ودفنه فقبل شفاعتهما، ثم أمر بهما الى بعض المنازل فأنزلهما به وأكرمهما، وبعث اليهما بالام التي كانت هنالك وأرجأ أمرهما الى قدوم الخبر اليقين، وبعد ثلاث قدم المركبان ومعهما كتاب الفتح، وظهر صدق عبد الملك وأحمد، فحينئذ أقبل عليهما السلطان سليم وأعطاهما مالا وسلاحا وزادا وكتب لهما فرمانا للدولاتي صاحب الجزائر ليعث معهما خمسة آلاف من عسكر الترك تطأ معهما أرض المغرب الاقصى :

ولما قدما على الدولاتي بالفرمان وقرأه على أهل الديوان قالوا علينا الرجال وعليهما المال، وهذه عادتنا مع السلطان، ولما لم يكن عندهما مال يومئذ تطارحا على الخزندار وعلى الاغا والوكيل وأهديا اليهم ورغبا منهم أن يسلفوهما ما ينفقانه في وجهتهما تلك الى أن يعبأه اليهم من المغرب، فسهلوا لهما وقوموا العسكر بما يحتاج اليه وفرضوا له المؤنة كل يوم بيومه الى أن يرجع، وأشهدوا عليهما بذلك في دفتر فقبلا وأعطوا خطوطهما به، ثم نهض عبد الملك وأخوه الى المغرب يجران عساكر الترك خلفهما، وكتب عبد الملك الى شيعته بالمغرب يعرفهم قدومه ويعددهم ويمنيهم الى أن كان من أمره ما كان . وساق اليفرنى هذا الخبر وفيه بعض مخالفة لما تقدم قال : « لما فتحت تونس كان عبد الملك أول من أرسل البشارة مع أصحابه الى السلطان العثماني فبلغت الرسالة أمه سحابة الرحمانية فأعطتها السلطان المذكور والتمست منه أن يعطيها في بشارتها أمر أهل الجزائر بالذهاب معها الى المغرب، فأعطاهم ذلك، فجاء عبد الملك مع أمه بكتاب السلطان الى أهل الجزائر يأمرهم بالمسير معه لتملك ما كان بيد آبائه فطالبه أهل الجزائر بالراتب، فقال لهم : أسلفونسي وعلى القضاء فاتفق معهم أن يعطيهم عشرة آلاف لكل مرحلة، وكان عدد جيش الترك أربعة آلاف . »

وقال في شرح «الدرة» : «ان عبد الملك طلب من رئيس الترك أن يعينه بحصة منهم توصله الى تخم بلاده ليدخلها اذ الجند كله جند أبيه لا يمكن

أز يقاتلوه ويضربوا في وجهه لتعظيمهم إياه فأسعفه على مراده ، وأرسل معه عصابة وحصّة قليلة ، فأقبل بهم حتى انتهى الى الموضع المعروف بالركن من أحواز فاس ، فلما سمع بذلك ابن أخيه محمد المتوكل خرج للقائه بنفسه ، ولما التقى الجمعان نزع رئيس جند الاندلس سعيد الرغالي الى عبد الملك ، وكان عبد الملك يكتب حاشية المتوكل وبطائنه ورؤوس أجناده ويعد طائعهم ، ويوعده عاصيهم ، فلما سمع المتوكل بما فعله جند الاندلس فت ذلك في عضده وفشلت ريحه وأيقن بالنكبة ظنّاه منه أن جنده كله سيفعل فعل الرغالي ، فكان ذلك سبب جزعه وفراره من المعركة وسبب خراب ملكه وإقامة ملك عمه ، ويقال: ان بعض الجند لما سمع بان القائد جرمون وأولاد عمران نزعوا الى عبد الملك أيضا جاء الى المتوكل وقال له : « ان القائد ابن شقراء قد غدر وفر الى عبد الملك » وكان ابن شقراء هذا من أكبر قواده وأصدقهم لديه ، فارتاع المتوكل لذلك وانقلب منهزما ، وانتهت خزائنه ، وأوقد فيها النار ، ونقط ما كان بها من البارود حتى رى من رؤوس الجبال .

ولما انهزم المتوكل بالركن عطف على فاس الجديد فاخذ منها ما يعز عليه من الذخيرة ثم خرج على وجهه الى مراکش لا يلوى على شيء فلحق به القائد ابن شقراء بوادي النجاة على مقربة من فاس وأغلظ له في القول ولأمره على عدم التأنى والتثبت ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .



استيلاء السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم بالله على حضرة فاس وما يتبع ذلك



لما انهزم المتوكل بالركن وأجهل الى مراکش تقدم عمه أبو مروان الى فاس فدخلها واستولى عليها يوم الاحد سابع ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة من باب الفتوح ، وبعد أن دخلها وبايعه أهلها أقام بها أياما ثم طمحت نفسه الى اتباع ابن أخيه الى مراکش ، ولما عزم على النهوض اليه طالبه الترك بان

يردهم الى بلادهم وأن يعطيهم المال الذى اتفق معهم عليه وهم يسمونه بلقتهم :
البقشيش فبذل لكل واحد منهم أربعمائة أوقية ، واستسلف المال
من تجار أهل فاس حتى يتسع حاله ، فكان جملة ما أعطى الترك خمسمائة
ألف وأعطاهم عشرة من الانفاض ، منها النفض الكبير الذى له عشرة أفواه ،
وزادهم من تحف المغرب وطرفه ما سلى به نفوسهم ، وركب لوداعهم بنفسه
الى نهر سبو ، ثم رجع الى فاس .

وفى هذه المدة قبض على قاضيا الفقيه أبى مالك عبد الواحد بن أحمد
الحميدى لأمر نقمه عليه وأودعه السجن ، فبعث الفقيه المذكور أولاده الى
الشيخ الصالح أبى النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى يطلب منه أن يشفع له عند
السلطان المعتزم بالله ، فكتب اليه الشيخ أبو النعيم يحضه على الاستشفاع
بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستمسك بحبله لأنه باب الله الاعظم فقبل القاضى
اشارته ، وتوجه الى ربه بكلية ، فاتاه الفرج من حينه ، رحم الله الجميع بمنه .



نهوض السلطان أبى مروان الى مراکش واستيلاؤه عليها

وفرار ابن أخيه إلى السوس وما نشأ عن ذلك



ثم ان السلطان أبا مروان نهض من فاس فى جنده الذى أقامه وكان غرس
يده وفيما انضاف اليه من جند ابن أخيه وتقدم الى البلاد المراكشية قاصدا
حربه وتشريده عنها ، ولما سمع ابن أخيه بخروجه اليه وقصده إياه تهيأ لملاقاته
وسار الى منازلته فالتقى لاجتماع بموضع يسمى خندق الريحان على مقربة من
وادي شراط من أحواز سلا فكانت الهزيمة أيضا على المتوكل ، وفر برأس
طمرة ولجام ، وأجفل كعادته اجفال النعام ، وتبعه أحمد المنصور خليفة أخيه
أبى مروان يومئذ ، فلما سمع المتوكل باتباعه بعد بلوغه الى مراکش فر عنها
الى جبل درن. وأسلم له مراکش فدخلها أحمد نائبا عن أخيه ، وأخذ لسه
البيعة على أهلها ثم لحق به السلطان أبو مروان فدخلها يوم الاثنين تاسع

(الاستقصا - خامس - 5)

عشر ربيع الثاني سنة أربع وثمانين وتسعمائة وأقام بها أياماً ، ثم خرج في طلب ابن أخيه فعميت عليه أنبأؤه وسقط بين سمع الأرض وبصرها ، فعاد أبو مروان إلى مراکش فأقام بها إلى أن كان من أمره ما نذكره .

استخلاف السلطان أبي مروان لأخيه أبي العباس أحمد على فاس وأعمالها



لما استقر السلطان أبو مروان بمراكش وانقطع خبر المتوكل عنه بالسوس تقدم إليه أخوه أحمد وسأله أن يستخلفه على فاس ليكفيه أمرها ، فجابته إلى ذلك وولاه عليها ظناً منه أن أمر المغرب قد صفا له ، وإن المتوكل لا يعود إليه ، وكان الوزير أبو فارس عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي حاضراً للطلبة والعطية ، فانكر ذلك ولم يره صواباً ، وقال : « لا ينبغي لكما أن تقعدا حتى يحكم الله بينكما وبين ابن أخيكما ، ففاظ ذلك أحمد وظن أنه من سوء رأى عبد العزيز فيه وبفضه لجانبه ، فأعرض عن مقالة الوزير المذكور ، وذهب إلى فاس خليفة عليها ، وبقي السلطان أبو مروان بمراكش .

وفي هذه المدة كتب السلطان أبو مروان لأخيه أحمد برسالة يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ، من عبد الله المعتصم بالله ، المجاهد في سبيل الله أمير المؤمنين أبي مروان عبد الملك ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسن أيدته الله وأعز نصره وأسعد زمانه المبارك وعصره وأبقى بعنه فخره من أملائه أيدته الله ونصره ، إلى أخينا الأعز الأحظي بابا أحمد حفظه الله ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد فاعلم أنني لا أحب أحداً بعد نفسي كمحبتى لك ، ورغبتى في انتقال هذا الأمر بعدى إليك لا لغيرك ، غير أنني أعتاد منك التراخي في الأمور حتى أنك لا تبالي بعظيم الأمر ولا تعبره ، إلى أن يتطرق إلى ما لا يتلافى جبره ، من الأمور السيئة تكاد لولا لطف الله تذهب بهذا الملك وتهد أركانه ، ويبلغ العدو معها مناه

ومرادهم، من ذلك التراخي اهمالك أمر الجند الذي بالعرائش ، واغفالك له مع ما يترادف عليك في كل ساعة من تلقائه من استدعاء ما دعت الحاجة اليه من المثونة والبارود والرصاص الذي لا يستقيم لهم أمر في مقاومة العدو دون ذلك ، وجعلت تقابل خطابهم بالاهمال وعدم المبالاة ، والآن ساعة يرد عليك كتابنا هذا قبل وضعه من يدك ابعت اليهم مؤنة عشرة أيام بينما نصل ان شاء الله فيقع التدبير فيما يحتاجون اليه زائدا على ذلك مع ما عندكم هنالك من البارود والرصاص من غير عطلة ولا تراخ بحيث لا نقبل منك عذرا في هذه المسألة التي لا تحتاج الى الاهمال ، ولا بد ولا بد ، فقد بلغنا أن صاحب النصارى بقرب أصيلا في خمس عشرة مائة من النصارى ، وتمنيت أن لو حركتك الهممة للاقتحام عليه في مكانه بجيش يكسوه أردية الصغار ، ويرجع ساعة رؤيته الى عادته من الذل والفرار ، فانتبه من الغفلة وافتح عين الانتباه واليقظة ، فان الساعة لا تقتضى الا الحزم ، والتشمير عن ساعد الاجتهاد والعزم ، والسلام ، اه .

ظهور ابي عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراکش

واستيلاؤا عليها



كان أبو عبد الله المتوكل بعد فراره عن مراکش يجول في جبال السوس ويتنقل في قبائلها وأحيائها الى أن اجتمعت عليه طائفة من الصعاليك وتأشب عليه ما يشبه ان يكون جيشا فاستهوتهم منه الاضاليل وقادهم قود الملك الاضليل وجاء بهم الى مراکش . فسمع به السلطان ابو مروان فخرج للقاءه فخالفه المتوكل وسلك طريقا غير طريقه ، وفجأ غير فجء ، وقصد مراکش فدخلها* باتفاق أهلها ونصروه وكتبوا له البيعة الا أنه لم يتمكن من القصبة، لان السلطان

(*) سنة ٨٤ وفي هذه السنة كانت فتنة أبي عبد الله الاندلسي ومقتله كما ذكره

المؤلف فيما سبق . انظر الدوحة صفحة ٨١ .

أبا مروان كان قد ترك بها أخته الست مريم فى نحو ثلاثة آلاف من الرماة فتحصنوا بها وبلغ الخبر أبا مروان باستيلاء المتوكل على مراکش فرجع عوده على بدئه الى أن وافى الحضرة ، فحاصره بها وكتب الى أخيه أحمد الخليفة على فاس أن يأتيه بجيش منها ، فأتاه به أحمد مسرعا .

ولما انتهى الى مراکش اجتمع بالوزير أبي فارس الوزكيتي فقال له :
« أوقفت على الرأي ؟ أول الفكرة آخر العمل ! » فبانت لاحمد نصيحته وزال
ما كان يخلج بصدرة عليه .

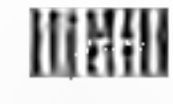
ولما جاء أحمد بجيش فاس أسلم المتوكل شيعته من أهل مراکش وفر
إلى السوس فبقى أهل مراکش متمادين على الحصار إلى أن اتفق السلطان
أبو مروان مع أعيان جراوة فادخلوه من بعض الأسوار والانقاب ، ولما
فر المتوكل إلى السوس تبعه أحمد المنصور فكانت بينهما هنالك حروب عظيمة
أتاح الله فيها النصر للمنصور ، منها : وقعة تينزرت التي أنشده فيها وزيره
الكاتب أبو الحسن علي بن منصور الشيطمي البيتين اللذين قالهما فيه الكاتب
أبو عبد الله بن عيسى وهما :

هو الفيث والبحر العظمم في الندى وليث اذا جد الطعان هصور
يفوق السهام عزمه وانبعائسه يوقصر عنه في الثبات ثيبر
فأجابه أحمد المنصور بيتي أبي فراس الحمداني وهما :

وَنَحْنُ أَنَاسٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالَى نَفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلِهِ الْمَهْرُ
وَمِنْهَا الْوَقْعَةُ الَّتِي بَعْدَهَا بِاسَاطِينُ الْمَنْصُورِ وَهُوَ فِي نَحْوِ ثَلَاثَةِ آلَافٍ ،
وَالْمَتَوَكَّلُ فِي نَحْوِ سِتِينَ آلَافًا وَمَعَ ذَلِكَ هَزَمَهُ الْمَنْصُورُ

قلت : كان أحمد المنصور هذا مجدودا ، محظوظا مسعودا ، بحيث أربت سعادته على شجاعته ، وما كان أخوه عبد الملك يسرى الا فى ضوء طلعه ويمن نقيبه ، فلذا كان يقدمه فى الحروب ويستكفى به فى نوازل الخطوب ، ومن سعادته ما اتفق له فى ذهابه الى العثماني بخبر الفتح وتقدمه قبل الكتاب بثلاث حتى تسنى له من جانب السلطان المذكور ما كان سببا فى استيلائهما على المغرب ،

وستسمع فى أخبار دولته من أنباء سعاداته ما تقف به على حقيقة الحال ان شاء الله . وأما أمر المتوكل فانه بعد توالى الهزائم عليه فر الى جبل درن وتوغل فى قننه ثم فر منه الى باديس فاقام بها مدة ثم ذهب الى سبته ثم دخل طنجة مستصرخا بعظيم البرتقال ، والله تعالى لا يهمل من حقوق عبادهم وزن المثقال .



الغزوة الكبرى بوادى المخارن من بلاد الهبط والسبب فيها



كان من خبر هذه الغزوة أن السلطان المخلوع أبا عبد الله محمد بن عبد الله السعدى لما دخل طنجة قصد طاغية البرتقال ، واسمه سبستيان ، بكسر السين وفتح الباء والسين وسكون التاء القريبة من الطاء ، وهو طاغيتهم الاعظم ، وليس قائد الجيش فقط على ما هو المحقق فى تواريخهم ، وتطارح عليه وشكا اليه ما ناله من عمه أبى مروان المعتصم بالله وطلب منه الاعانة عليه كى يسترجع ملكه . وينتزع منه حقه ، فاشكاه الطاغية ولبى دعوته وصادف منه شرها الى تملك سواحل المغرب وأمصاره ، فشرط عليه أن يكون للنصارى سائر السواحل وله هو ما وراء ذلك فقبل أبو عبد الله ذلك والتزمه ، وللحين جمع الطاغية جموعه واستوعب كبراء جيشه ووجوه دولته وعزم على الخروج الى بلاد الاسلام .

ومن المتواتر فى تواريخ الافرنج : ان كبار دولته حذروه عاقبة هسدا الخروج ونهوه عن التفرير ببيضة البرتقال وتوريطها فى بلاد المغرب وقبائله ، فصم عن سماع قولهم ولج فى رأيه ، وملك الطمع قلبه ، وأبى الا الخروج فأسعفوه وخرج من طنجة فى جيش ، قال ابن القاضى فى «المنتقى المقصور» : « عدده مائة ألف وخمسة وعشرون ألفا » ، وقال أبو عبد الله محمد العربى الفاسى فى مرآة «المحاسن» يقال : ان مجموعهم كان مائة ألف وعشرين ألفا وأقل ما قيل فى عددهم ثمانون ألف مقاتل . وكان مع محمد بن عبد الله نحو الثلاثمائة من أصحابه ، قال بعضهم : وكان عدد الانفاض التى يجرونها مائتين ،

وقصدوا هلاك المغرب وحصد المسلمين ، وادارة رضى الهوان على الدين ، فعظم ذلك على الناس وامتلاّت صدورهم رعباً وقلوبهم كرباً ، وبلغت القلوب الحناجر ، واتقدت بها نيران الهواجر ، وكان محمد بن عبد الله المذكور قد كتب عند خروجه بجيش البرتقال الى بلاد الاسلام رسالة بعث بها الى أعيان المغرب من علمائه وأشرفه وذوى رأيهم يغمض عليهم بها فى نكت بيعته ونقضها ، ومبايعة عمه من غير موجب شرعى ، وقال لهم : « ما استصرخت بالنصارى حتى عدت النصر من المسلمين » وقد قال العلماء : انه يجوز للانسان أن يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه . وتهدهم فيها وأبرق وأرعد . وقال : « فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » وسمى النصارى : أهل العدو واستنكف من تسميتهم نصارى ، فأجابه علماء الاسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامغة لجيش أباطيله وفاضحة لركيك تأويله ، وهذا نص جواب تلك الرسالة حرفاً حرفاً : « الحمد لله كما يجب لجلاله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير أنبيائه وارساله ، والرضى عن آله وأصحابه ، الذين هجروا دين الكفر فما نصروه ولا استنصروا به ، حتى أسس الله دين الاسلام بشروط صحته وكماله .

وبعد ، فهذا جواب من كافة الشرفاء والعلماء والصلحاء والاجناد من أهل المغرب وفقهم الله لمولانا محمد ابن مولانا عبد الله السعدى عن كتابه الذى استدعاهم فيه لحكم الكتاب والسنة ، واستدل بحججه الواهية المنكبة عن الصواب ، قائلين له عن أول حجة صدر بها الخطاب ، لو رجعت على نفسك اللوم والعتاب لعلمت أنك المحجوج والمصاب ، فقولك : خلعنا بيعتك التسي التزمناها ، وطوقناها أعناقنا وعقدناها ، فلا والله ما كان ذلك منا عن هوى متبع ، ولا على سبيل خارج عن طريق الشرع مبتدع ، وانما ذلك منا على منهج الشرع وطريقه ، وعلى سبيل الحق وتحقيقه ، وسنشرح لك ذلك ونبينه ، ونسطره لك بالادلة الشرعية التى ترقيه وتزينه ، نعم كنت سلطاناً بما عقد لك والدك من البيعة ، وترك لك من الاموال والعدد والحصون مما لم يتهياً مثله لاحد من أسلافكم الكرام رضوان الله عليهم ، فجاهدوا بما حصل لهم من ذلك فى

حق جهاده ، حتى استخلصوا من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون
ده ، وأسسوا لدين الله قواعد وأركاناً ، وملكوا من المغرب بلاداً معتبرة
وطناً ، فلما وصل ذلك إليك ألفت إليك العباد أعتتها ، وملكك أزمته ،
مبدلين ولا مغيرين ، ولا باغين ولا منكرين ، الى أن قام عليك عمك بحجته
لا يمكنك بجحدها ، حسبما ثبت كما يجب عقدها ، فخرجت مبادراً له
لها ، ولقيته بها وأنت واسطة عقدها ، وحامل راية عهدتها ، وعمك في فئة
يخطر على بال عاقل أن يقابل جنداً من جنودك ، أو يدافع ما تحت لواء من
يتك وبنودك ، فما هو إلا أن جرى القتال ، وحضر النزال ، رجعت على عقبك
بأهروب مطرود بقصاص ، وجنودك تناديك ولات حين مناص ، فتركت
دك ومحتك بكل ما فيها ، وخلفتها لعدوك ينهاها ويسبيها ، وهربت عن
بنة فاس المحروسة وسكانها ينادونك : لمن تركتنا والى من تكلنا ؟ فلم تلتفت
سم وأسلمت بلادهم على ما فيها من خزائن الاموال والعدد الوفرة والرجال
لاسوار المرتفعة للمانة ، والمدينة المشهورة الجامعة ، فأصبح أهلها واليد
دية من المفسدين تريد أن تمتد الى الحريم والاولاد ، والطارف والتلاد ،
ادافع عن الضعفاء والمساكين الا الله تعالى الذي قال في مثلهم : «ومن أصدق من
«قبلاً» لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً» فما أمكنهم بعد هروبك عنهم
سلامك لهم فوضى مهملين الا النظر في أمرهم ، واعمال الفكر في التدبير على
سهم ، فبينما هم على ذلك اذا بعمك بجنوده على باب مدينتهم قائماً بحجته ،
لكا في ذلك سبيل أبيه رحمه الله ومجته ، حسبما تقرر ذلك عندكم
لهم ، ولم يخف عنكم منه عين ولا أثر ، اذ كان مولانا محمد الجيد الأكبر
د لاولاده مولانا أحمد ، ومولانا محمد الشيخ واخوانهم ، لايتولى الخلافة
سم ولا من اولادهم الا الأكبر فالأكبر ، فالتزموا ذلك الى أن كبر اولادهم
لب جدك من عمك الوفاء بذلك فامتنع ، فقاتله على ذلك حتى تم له الامر
تنظم ، فعهد لوالدك الذي كان أكبر اولاده ، فلم ينازعه أحد في ذلك الى أن
ى والدك رحمه الله ذلك ، وعهد اليك فلم ينازعكم أحد ، فأبى الله الا
حق فاعطى ملكه لعمك الذي هو أكبركم بعد أبيك ، فان سلمت هذا فأى

حجة تدلى بها وأي طريق تعتمد عليها؟ وإن أنكرت هذا فلا أثر لخلافة أبيك من قبلك ولا لجدة من قبله لثبوتها لعمكم مولانا أحمد ، إذ لا حجة حينئذ لجدة في القيام على عمك ، فخلافته صحيحة لبيعة جدك له ، فلم يسق إلا التغلب الذي تدلى به في مسألة عمك وفي قيامه عليك ، فإن كنت تريد أن تسقط حجته بالتغلب عليك فحججتك أبين في السقوط لعدم ثبوت الخلافة لمن عقدها لك ، إذ المعلوم شرعا كالمعلوم حسا ، فلم يبق بينكم إلا : « والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا » ، فيلزمك على هذا أن تثبت ما عقده مولانا الجد رحمه الله ، وعليه فالخلافة لعمك القائم عليك إذ هو أكبركم في هذا التاريخ .

فإن قلت : إن ما عقده الجد غير صحيح ، قلنا : فقد ذكر الامام الماوردي رحمه الله ورضي عنه في كتاب الاحكام السلطانية له في باب عقد الخلافة : أن عبد الملك بن مروان رتبها في الأكبر فلا أكبر من بنيه فلم ينازعه أحد في ذلك .

فإن قلت : فعل عبد الملك ليس بحجة ، قلنا : سكوت العلماء على ذلك وهم ما هم في زمانه هو الحجة ، إذ لا يمكن أن يسكتوا على باطل ، وإقرار أهل العصر الواحد على مسألة من المسائل واتفاقهم عليها يقوم مقام الاجماع السدي هو حجة الله في أرضه ، وكان أيضا من محفوظات علماء فاس المحروسة ما خرجه مسلم رضي الله عنه في صحيحه في كتاب الامارة ما نصه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند رأسه يقال هذه غدره فلان بن فلان ، ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة » قال القاضي : أبو الفضل عياض رحمه الله في كتاب « اكمال المعلم على شرح فوائد مسلم » : « يعني لم يحطهم ولم ينصح لهم ولم يف بالعقد الذي تقلده من أمرهم ، وفي الباب نفسه عنه عليه الصلاة والسلام ما نصه : « ما من أمير استرعاه الله رعية ثم لم ينصح لهم الا لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » . وفي « الاكمال » نفسه قال القاضي : « والذي عليه الناس أن القوم اذا بقوا فوضى مهملين لا امام لهم فلهم أن يتفقوا على امام يبايعونه ، ويستخلفونه عليهم ينصف بعضهم من بعض . وقيم لهم الحدود » . فلما أسلمتهم وأضحوا

بغير امام وعمك يدلى بحجته التى ذكرنا لك مع ما حفظوه من كلام النبى صلى الله عليه وسلم وكلام السلف الصالح ، وأيسوا من رجوعك اليهم ، وبقوا فوضى مهملين لم يسعهم الا الرجوع الى ما عليه الناس رضوان الله عليهم فاتفقوا على أن يبايعوا عمك لما ذكرنا لك من الحجج التى لا يسعك جحدها الا على وجه المكابرة ، فاطمأن الناس وسكنوا وانفتحت السبل وأقيمت الحدود وارتفعت اليد العادية .

فان قلت : كان يجب على أهل فاس أن يقاتلوا على البيعة التى التزموها لك قلنا : انما يلزمهم القتال أن لو أقمت بين أظهرهم فيكون قتالهم على وجه شرعى لان القتال على الحدود الشرعية انما يكون بعد نصب امام يصدر الناس عن رأيه ولا يمكنك أيضا جحدها ايه . ثم وصلت الى مراکش الغراء التى تجبى اليها الاموال من البوادي والامصار ، وتشد اليها الرحال من سائر الاقطار ، فلقيت أهلها بالترحاب والسرور ، وأنواع الفرح والحبور ، فوجدت خزائنها تتدرج ملئا من كل شىء ، فأما أسوارها ورحابها فهى كما قيل : تربة الولى ، ومدرج الحلى ، وحضرة الملك الاولى ، والبرج النيرالجلى ، فحلتها وتمكنت من اموالها وخزائنها ، ووافقت أهلها فما نكثوا ولا غدروا ، ولا خرجوا عليك فى سلطانك ولا أنكروا ، فطلبت أيضا قتال عمك وجندت جنودا لا يجمعها ديوان حافظ ، ولا يعهد لها لسان لافظ ، فخرجت اليه تجر أعنة الخيل وراءك كالسيول ، والرماة قد ملأت الهضاب والتلول ، فما كان من حديثك الا أن وقع القتال وحضر النزال ، بادرت هاربا محكما للعادة ، تاركا للرؤساء من أجنادك والقادة ، فحلت بهم الخطوب والرزايا ، واختطفتهم أيدي المنايا ، فتركت أيضا محلتك بما فيها من حريمك وأموالك وعدتك ، ثم أسرعت هاربا الى مراکش فما صدك عنها أحد من أهلها ، ولا قال لك أحد لست بعملها فعملوا على القتال معك والتمنع بأسوارها الحصينة ، والحصار داخل المدينة ، فلما كان الليل غدوتهم وغادرت بناتك وأخواتك وعماتك ونساءك ، وخرجت عنهم من القصبه وتركتهم لا بواب عليهم ولا حارس ، ولا راجل ولا فارس ، فيالها من مصيبة ما أعظمها ، ومن داهية ما أعظمها . ولولا فضل الله ولطفه

ووعده بتطهير أهل البيت لامتدت اليهم أيدي السفلة من الفسقة فأي حجة تبقى لك بعد هذا؟ وأي كلام لك بين الرجال يا هذا؟ ثم جاءك عمك أيضا بما سلف من الحجاج فوجد أهلها في لطف الله سبحانه وهم يحرسون أولادهم وديارهم من اليد العادية، فأنقذهم الله به أيضا فباعوا عمك بما سلف من الحجاج، واطمأنوا وسكنوا، ثم هربت للجبل عند صاحبه (*) فصرتما في نهب أموال الرعية وسفك دمائهم، وأكثر ما صفا لك من ذلك أهل الذمة المصغرون بحكم القرآن، الداخلون تحت عهد سيد الثقلين في الأمان والأمان فانت وهم في استيلائك عليهم وظلمك إياهم كما قيل .

ان هو مستوليا على أحد الا على أضعف المجانين

ولم تبال بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا خصيم من ظلم ذميا يوم القيامة » ثم خربت العامر ، وأفسدت ما شيدت الأسلاف للإسلام من المآثر ، فلما رأى أهل السوس الأقصى ذلك أيقنوا أنك إنما قصدت خراب الإسلام وأهله فنكب عنك أهل الدين والعلم منهم وبقيت ، كما قيل ، : « في خلف كجلد الأجر » .

فان قلت : ان أولئك الخلف لم يبيعوا عمك فتنقض بهم ما قرره ، قلنا : لم يطعن في خلافة أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من تخلف عنها من أهل الشام ، وفيهم من قد علمت من الناس ، والإجماع على صحة بيعته : وسمى من تخلف عنها : باغيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار : « تقتلك الفئة الباغية » فقتله أصحاب معاوية رضي الله عنه ، والحديث من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام ، والقاعدة أن ما اجتمع عليه من يعتبر من أهل العصر الواحد هو المعول عليه ، ولا يعد خلافا من خالفه خلافا وهذا كله بالنظر الى ما كان من حديثك قبل التحزب مع عدو الدين ، والاخذ

(*) المقصود به هو الشيخ أبو عبد الله بن محمد واسعدون الذي التجأ إليه المتوكل بعد فراره انظر «الدوحة» صفحة ٨٤ «وطبقات الحضيكي» في حرف الميم «والممتع» «والصفوة» وقد ذكرت ترجمته في هذا المؤلف الأخير استطرادا في ترجمة تلميذ سيدي أحمد المعروف بالشيخ وكانت وفاة ابن واسعدون هذا عام ٩٨٧ بعد غزوة وادي المخازن بسنة .

فى التخليط العظيم على المسلمين ، فانك اتفقت معهم على دخول آصيلا ، وأعطيتهم بلاد الاسلام ، فيالله ويالرسوله لهذه المصيبة التى أحدثتها ، وعلى المسلمين فتقتها ، ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد ثم لم تتمالك أن ألقيت بنفسك اليهم ورضيت بجوارهم وموالاتهم كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منهم فانه منهم » . قال أبو حيان رحمه الله : أى لا تنصروهم ولا تستنصروا بهم وفى كتاب القضاء من نوازل الامام البرزلى رحمه الله : أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتونى رحمه الله استفتى علماء زمانه رضى الله عنهم ، وهم ما هم ، فواستنصار ابن عباد الاندلسى بالكتابة الى الافرنج على أن يعينوه على المسلمين فأجابه جلهم رضى الله عنهم برده وكفره ، فتأمل هذا مع قضيتك تجدها أحرورية مناسبة لقضية ابن عباد فى عقدها ابتداء ، وانه متى طرأ الكفر وجب العزل ، وناهيك بقول النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالسمع والطاعة » وبما أفتى العلماء رضوان الله عليهم بردة من استنصر بالنصارى على المسلمين فهو نص جلى فى وجوب خلعتك ، وسقوط بيعتك ، فلم يبق لك الا منازعة الحق سبحانه فى حكمه ، « ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب » .

وأما قولك : فى النصارى فانك رجعت الى أهل العدو واستعظمت أن تسميهم بالنصارى ، ففيه المقت الذى لا يخفى . وقولك : رجعت اليهم حين عادت النصر من المسلمين ففيه محظوران يحضر عندهما غضب الرب جل جلاله أحدهما : كونك اعتقدت أن المسلمين كلهم على ضلال ، وان الحق لم يبق من يقوم به الا النصارى والعباد بالله والثانى : انك استعنت بالكفار على المسلمين . وفى الحديث : أن رجلا من المشركين ممن عرف بالنجسة والشجاعة جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم . فوجده بحرة الوبرة « موضع على نحو اربعة اميال من المدينة » فقال له : « يا محمد ، جئت لانصرك » فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « ان كنت تؤمن بالله ورسوله » فقال : « لا أفعل » فقال له عليه الصلاة والسلام : « انى لا

أستعين بمشرك ، وما سمعته من قول العلماء رضى الله عنهم فى الاستعانة بهم
انما هو على المشركين بان نجعلهم خدمة لا زبال الدواب لا مقاتلة ، فامسا
الاستعانة بهم على المسلمين فلا يخطر الا على بال من قلبه وراء لسانه ، وقد
قيل قديما : « لسان العاقل من وراء قلبه » وفى قولك : يجوز للانسان ان يستعين
على من غصبه حقه بكل ما أمكنه وجعلت قولك هذا قضية أنتجت لك دليلا على
جواز الاستعانة بالكفار على المسلمين ، وفى ذلك مصادمة للقرآن والحديث
وهو عين الكفر أيضا والعياذ بالله

وقولك : فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، ايه أنت مع الله
ورسوله أو مع حزبه فتأمل ما قلت فى الحديث : « يتكلم أحدكم بالكلمة تهوى
به فى النار سبعين خريفا

ولما سمعت جنود الله وأنصاره وحماة دينه من العرب والعجم قولك
هذه حملتهم الغيرة الاسلامية والحمية اليمانية ، وتجدد لهم نور الايمان .
وأشرق عليهم شعاع الايقان ، فمن قائل يقول : « لا دين الا دين محمد صلى الله
عليه وسلم » ومن قائل يقول : « سترون ما أصنع عند اللقاء » ، ومن قائل يقول :
« وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » ، ومن قائل يقول : « انما قصد
التشفى بالمسلمين اذ لو كان يطلب الصلاح لما صدرت منه هذه الافعال
الفبيحة » الى غير ذلك فجزاهم الله عن الاسلام خيرا . ورضى عنهم وبارك
فيهم ، فله درهم من رجال وفرسان وأبطال وشجعان ، فلو لم يكن منهم الا ما
غير قلوبهم على الدين لكان كافيا فى صحة ايمانهم وعظيم ايقانهم فقد بلغ نور
غضبهم لله سبحانه ساق العرش والحب فى الله والبغض فى الله من قواعد
الايمان .

وقولك أيضا : متبرئا من حول الله وقوته ، فان لم تفعلوا فالسيف . فهو
كلام هذيان يدل على حماقة قائله فقط . أنبا سيفك هذا وأنت مع المسلمين
فى أربع وعشرين معركة لم تثبت لك فيها راية ، ثم زال نبوه الان بالكفار
فهذه أضحوكة فتأملها .

وأما ما نسبته لامام دار الهجرة فكفاك عجزا ان لم تعين لنا نصاجليا

نعمد عليه فيما تحتج به الا أنك كثرت به سواد القرطاس مغربا بذكره لامعربا بنصه .

وما نسبته للحنفية من أكل الميتة عند الضرورة وتسوينغ القصة بخمر ، فهو مما نص عليه المالكية في مختصراتهم التي ألفوها للصبيان ، فعدوك عن ذلك الى الحنفية اما قصور ، واما الغاء لمذهب مالك رضى الله عنه ، وهو النجم الثاقب .

وأما قولك : أتم أهل بنى وعناد فلا نسلم لك ذلك الا لو أقمت بين أظهرنا وقايلت معنا حتى ترى أنسلمك أم لا . فأما اذ هربت عنا وتركتنا فالحجة عليك لا علينا ، على أنك في كتابك تفسق الكل بذلك وتكفره ، وقد قال العلماء رضى الله عنهم : « من يقول بتكفير العامة فهو أولى بالتكفير » وذلك معزولزعيم العلماء القاضي أبى الوليد ابن رشد ، والقاضي أبى الفضل عياض ، وكيف لا تنظر لقضايا تلمسان وتونس وغيرهما من سائر البلدان ، وكيف وقع لامرائهم المستنصرين بالكفار على المسلمين ، هل حصلوا على شيء مما قصدوه ، أو بلغوا شيئا مما أملوه ؟ على أن أكثر العلماء حكموا بردتهم ففاتهم الدنيا والاخرة والعياذ بالله .

وقد افتخرت في كتابك بجموع الروم وقيامهم معك ، وعولت على بلوغ : الملك بحشودهم ، وأنى لك هذا مع قول الله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينه » ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو أكره الكافرون ، وفي الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لن تغلب هذه الامة ولو اجتمع عليها من الكفار ما بين لابات الدنيا ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيقايل آخر هذه الامة الدجال » وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سألت ربى ثلاثا فأعطاني اثنين ومنعنى واحدة ، سأله الا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها ، وسأله الا يغلبهم عدوهم الكافر فأعطانيها ، وسأله الا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » . والكل عليك وإياك نغنى .

وما ذكرته عن عمك : فاعلم أنه لما بلغه خبرك واستنصارك بالكفار عقد ألويته المنصورة بالله فى وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله من

حملة القرآن مائة ختمة، وصحيح البخاري، وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير،
والصلاة والسلام على البشير النذير، والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين،
والفتح الشامخ المبين، فلو سمعت ذلك لعلمت وتحققت أن أبواب السماء
انفتحت لذلك، وقضى ما هنالك، وبلغه كتابك الذي كان هذا جوابا عنه وهو
بوسط تامسنا معه من جنود الله وأنصاره وحماة دينه ما يجعل الله فيه البركة،
ولولا أن الشرع العزيز أمر بتعظيم جنود الإسلام والمباهاة بها، والافتخار
بكبرتها لما قررنا لكم أمرها، إذ لا اعتماد له أيده الله عليها، وكذلك هم لا
اعتماد لهم إلا على حول الله وقوته ونصره وتأيده، والناس على دين الملك،
وقد قاتلك وأنت في وسط المسلمين في بضع عشرة معركة لم تنصر لك فيها
راية، فأى نحس وشؤم حلا بديار الروم، فإن جلبتهم فالله لك ولهم بالمرصاد،
ارجع إلى الله أيها المسكين، وتب إليه فإنه يقبل التوبة عن عباده في كل وقت
وحين، ودع عنك كلام من لا ينهض حاله، ولا يدلك على الله مقاله،
وهذه نصيحة إن قبلتها، وموعظة إن وفقت إليها، والله يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم، وهو نعم للمولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل،
والسلام، انتهت الرسالة.

وكان خروج محمد بن عبد الله بجيش البرتقال وفصوله به من طنجة
في ربيع الثاني سنة ست وثمانين وتسعمائة، قال في «المرآة»: «إنهم لما
خرجوا إلى بلاد الإسلام ضربوا محلاتهم بالفحص، على أقل من مسيرة يوم من
مدينة القصر، وكانت أصيلا قد تصيرت إليهم قبل ذلك بأشهر، يعني بعد
فرارهم عنها أيام للسلطان محمد الشيخ كما تقدم، فعان أهل القصر الهلكة
لقرب العدو منهم وقوته التي لا طاقة لهم بها، وفشا النفاق لاجل السلطان
محمد بن عبد الله الذي معهم ولاجل بعد صريح المسلمين، فإن السلطان أبا
مروان المعتصم بالله كان إذ ذاك بمراكش، فاستبظأوا وصول الخبر إليه،
ثم مجيئه بعد ذلك، فلم يبق لهم تدبير إلا الفرار، والتحصن بالجبال وغيرها،
فقال الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي رحمه الله، وكان إذ ذاك بالقصر،
لرجل من أصحابه: «نادفني الناس أن الزموا بلادكم ودوركم، فإن عظيم النصارى

مسجون حيث هو ، حتى يجيء السلطان من مراكش ، وان النصارى غنيمة للمسلمين ، ومن شاء فليعط خمسين اوقية فى النصرانى ، يشير الى مبلغ قيمة النصرانى فى الغنيمة ، فما انتقل النصارى من مكانهم ذلك اكثر من شهر حتى قدم السلطان أبو مروان وكان مريضا ، اه .

وقال فى «النزهة» : « ان النصارى لما برزوا من طنجة شنوا الغارة على السواحل ، فأعلم أهلها السلطان أبا مروان ، وكان بمراكش ، وشكوا اليه كلب العدو عليهم ، فكتب السلطان أبو مروان من مراكش الى الطاغية : « ان سطوتك قد ظهرت فى خروجك من أرضك ، وجوازك العدو فان ثبت الى أن تقدم عليك فانت نصرانى حقيقى شجاع . والا فانت كلب ابن كلب » فلما بلغه الكتاب غضب ، واستشار اصحابه هل نقيم حتى يلحق بنا من خلفنا من أصحابنا فقال له محمد بن عبد الله : « الراى أن تتقدم ونملك تطاوين والعرايش والقصر ونجمع ما فيها من العدة ونتقوى بما فيها من الذخائر ، فأعجب ذلك الراى أهل الديوان ولم يعجب الطاغية . وكتب السلطان ابو مروان لاختيه أبى العباس أحمد ، وكان نائبه على فاس وأعمالها ، أن يخرج بجيوش فاس واحوازها ويتهيأ للقتال ، ثم كتب اليه ايضا فى شأن مئونة الجيش كتابا يقول فيه : « من عبد الله المعتصم بالله المجاهد فى سبيل الله أمير المؤمنين أبى مروان عبد الملك بن امير المؤمنين أبى عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أمره وأعز نصره الى أخينا الاعز الانجب بابا أحمد بن مولانا الوالد حرس الله كريم اخائه سلام كريم ورحمة الله وبركاته أما بعد فانا كتبنا اليكم من محلتنا السعيدة بئامسنا ولا زائد بحمد الله الا الخير والعافية والنعم الضافية ، هذا وانه ساعة وصوله اليكم تخرجون من الخدام لعمالة مكناسة وقبيلة زمور وأولاد جلول من يفرض عليهم علف محلتنا المنصورة ومؤنتها ويأمرهم برفعه وابلأغه الى مدينة سلا ، وقدّر ذلك صحيفة شعير ، وعشرون مدا من القمح لكل نائبة وصاع من سمن وكبش لكل أربع نوايب ، ووكد عليهم رعاك الله أن يعتنوا بذلك ، وبايصاله الى المكان المذكور من غير عطلة وهذا ما وجب به الاعلام اليكم والله يرعاكم بمنسه

والسلام « اه .

ثم كتب السلطان أبو مروان للطاغية ثانية ، وذلك بعد ما وصل الى القصر : انى رحلت اليك ست عشرة مرحلة أما ترحل الى واحدة ، فرحل الطاغية من موضع يقال له : تاهدات ، ونزل على وادى المخازن بمقربة من قصر كتامة ، وكان ذلك من السلطان أبى مروان مكيدة ، ثم ان الطاغية تقدم بجيوشه ، وعبر جسر الوادى ونزل من هذه العدو فامر السلطان بالقنطرة أن تهدم ، ووجه اليها كتية من الخيل فهدموها ، وكان الوادى لا مشرع له سوى القنطرة ، ثم زحف السلطان أبو مروان الى العدو بجيوش المسلمين ، وخيل الله المسومة ، وانضاف اليه من المتطوعة كل من رغب فى الاجر وطمع فى الشهادة ، وأقبل الناس سراعا من الآفاق ، وابتدروا حضور هذا المشهد الجليل ، فكان ممن حضره من الاعيان الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسى وغيره .
أقال فى «المرآة» : « كان الشيخ أبو المحاسن فى ذلك اليوم فى أحد الجناحين ، وأظنه الميسرة ، من عسكر المسلمين فى مقابلة النصارى دمرهم الله ، قال : فوق فى ذلك الجناح انكسار ترحزج به المسلمون عن مصافهم ، وحملت عليهم النصارى دمرهم الله فثبت الشيخ وثبت من كان معه الى أن منح الله المسلمين النصر ، وركبوا أكتاف العدو يقتلون ويأسرون ، والشيخ لم يتزلزل ، ولم يلتفت منذ توجه الى قتالهم حتى فتح الله عليهم ، اه .

ولما التقت الفئتان وزحف الناس بعضهم الى بعض وحمى الوطيس واسود الجو بنقع الجياد ودخان المدافع وقامت الحرب على ساق توفى السلطان أبو مروان رحمه الله عند الصدمة الاولى ، وكان مريضا يقادبه فى محفة فكان من قضاء الله السابق ولطفه السابق أنه لم يطلع على وفاته أحد الا حاجبه مولاه رضوان العليج ، فانه كتم موته ، وصار يختلف الى الاجناد ويقول : «السلطان يأمر فلانا أن يذهب الى موضع كذا ، وفلانا أن يلزم الراية ، وفلانا يتقدم ، وفلانا يتأخر » .

وقال شارح «الزهرة» : لما توفى السلطان أبو مروان لم يظهر الذى كان سائس المحفة موته ، فصار يقدم دواب المحفة نحو العدو ، ويقول للجنود :

« السلطان يأمركم بالتقدم اليهم » . وعلم أيضا بموته أخوه ، وخليفته أبو العباس أحمد بن الشيخ فكتبها ، ولم يزل الحال على ذلك ، والناس في المناضلة والمقاتلة ومعانقة القواضب ، والاصطلاء بنار الطعان ، واحتساء كوؤس الحمام الى أن هبت على المسلمين ريح النصر ، وساعدهم القدر ، وأثمرت أغصان رماحهم زهر الظفر ، فولى المشركون الادبار . ودارت عليهم دائرة البوار ، وحكمت السيوف في رقاب الكفار ففروا ولات حين فرار ، وقتل الطاغية سبستان عظيم البرتقال غريقا في الوادي ، وقصد النصاري القنطرة فلم يجدوا الا آثارها فخشعت نفوسهم ، وتهاقتوا في النهر تهاقت الفراش على النار ، فكان ذلك من أكبر الاسباب في استئصالهم ، وأعظم الجبائل في اقتناصهم ولم ينبج منهم الا عدد نزر . وشرذمة قليلة .

« وقال في «المنتقى المقصور» : « كانت هذه الغزوة من الغزوات العظيمة المواقيع الشهيرة حضرها جم غفير من أهل الله تعالى حتى انها أشبه شئ بغزوة بدر . حدثنا شيخنا أبو راشد يعقوب اليدري عمن يثق به أن الرجل من حاضري ذلك المعترك كان يستبق الى النصرائي ليتتهز فيه الفرصة فما يصله حتى يجده ميتا » اهـ .

وبحث في القتل عن محمد بن عبد الله المستصرخ بهم والقائد لهم الى مصارعهم فوجد غريقا في وادي المخازن ، وذلك انه لما رأى الهزيمة فر ناجيا بنفسه واضطر الى عبور النهر فتورط في غدير منه وغرق فمات ، فاستخرجه الفواصون وسلخ وحشى جلده تبنا وطيف به في مراكش وغيرها من البلاد .

وممن وجد صريحا في القتل يومئذ الفقيه أبو عبد الله محمد بن عسكر السريفي الشفشاوني صاحب « الدوحة » ، فانه كان هرب مع المسلوخ ، وكان من بطاقته ، فدخل معه بلاد العدو ، فوجد بين جيف النصاري قتيل ، وتكلم الناس في أمره ، حتى قيل : انه وجد على شماله مستدبر القبلة ، وفيه يقول الفقيه العلامة أبو عبد الله محمد ابن الامام الشهير أبي محمد عبد الله الهبطي رحمه الله في منظومته التي نظم فيها أصحاب أبيه معذرا عن ابن عسكر

المذكور ومشيروا الى توهين ما قيل فيه :

ومنهم الشيخ الذى لا ينكر محمد أخو الدهاء عسكر

وان يكن أتى بذنب ظاهر فعرضه من الشكوك طاهر

رأيت في النوم ذا بشاره وهيئة حسنة وشارة

وكان التقاء الجمعين يوم الاثنين منسلخ جمادى الاولى سنة ست وثمانين وتسعمائة ، ويوافقه من التاريخ المسيحى اليوم الرابع من أغسطس سنة ثمان وسبعين وخمس عشرة مائة .

قال فى «المنتقى» وكان مقدار زمان المقاتلة خمسا وأربعين درجة وقيل اثنين وخمسين على ما حدثنى به بعض المقاتلين .

وقال فى «المرآة» : وحصل المسلمون على غنيمة لم يكن قط مثلها بالمغرب اذ لم يتقدم للنصارى خروج به على هذه الصورة الا أن الغنيمة لم تقسم ، وانما انتهبها الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الدنيوى . وكان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الاموال بالحرام فظهر ذلك من غلاء وغيره . وكنا نسمع أن البركة رفعت من الاموال من يومئذ .

وقد حضر الشيخ ابوالمحاسن هذه الغزوة وابلى فيها بلاء حسنا وتورع عن الغنيمة فلم يتلبس منها بشيء وبلغت قيمة النصرانى ما ذكره الشيخ ، وكان سبب عدم ضبط الغنيمة وقسمها على الوجه المشروع موت السلطان أبى مروان قبل هزيمة النصارى ، وكان مريضا ، فاشتغل أخوه أبو العباس أحمد بجمع الكلمة ولم يهتبل بأمر الغنيمة فتم له ما قصد .

وقد ساق منويل فى تاريخه خبر هذه الوقعة مساقا حسنا فقال : لما استولى عبد الملك السعدى المدعو عند أهل المغرب بمولاي ملوك على ملك المغرب ، وطرد ابن أخيه مولاي محمد المعروف بالاكحل يعنى : السلوخ ، ذهب أولا الى اصبانيا ، وتطارح على طاغية الاصينيول فيليب الثانى فى أن يعينه على استرجاع ملكه فامتنع ثم دخل اشبونة وتطارح على طاغية البرتقال سبستيان فاجابه ، وذهب الى خاله طاغية الاصينيول فيليب المذكور آنفا وطلب منه الاعانة على ما هو بصدده ، فوعده بان يعطيه من المراكب والعساكر ما يملك به العرائش ، لانه كان يرى انها تعدل سائر مراسى

المغرب ، ثم أمدده بعشرين ألفا من عسكر الاصبنيول ، وكان سبستيان قد ساق معه اثني عشر ألفا من البرتغال وثلاثة آلاف من الطليان ، ومثلها من الالمان ، ومن متطوعة الاصبنيول وغيرهم عددا كثيرا ، وبعث اليه البابا صاحب رومة بأربعة آلاف أخرى ، وبالف وخمسمائة من الحيل واثني عشر مدفعا وجمع سبستيان نحو ألف مراكب وجاء الى قادس .

ولما عزم على اقتحام بلاد المغرب تشفعت اليه جدته وأرباب دولته وشيوخ دينه في الرجوع فصم عنهم وكذلك خاله فيليب حذره عاقبة التوغل في أرض المغرب فصم على ذلك كله ، وجاء الى قادس ومنها خرج الى طنجة .

وكان محمد بن عبد الله المسلموخ ينتظره هنالك فاجتمع به وزحفوا الى بلاد المغرب ، وزحف اليهم السلطان عبد الملك في عساكر المسلمين وكانوا أربعين ألفا وزيادة ، ومدافعهم أربعة وثلاثين مدفعا ، وقواد الجيش : أبو علي القوري ، والحسين العليج الجنوي ، ومحمد أبو طيبة ، وعلي بن موسى ، وأخوه أحمد بن موسى ، الذي كان عاملا على العرائش ، فجاء في جمعه الى السلطان عبد الملك وانضم اليه ، ولما تقارب الجيشان جمع السلطان عبد الملك الناس وخطبهم ، ثم استدعى النصاري الى القتال ، ونصب لهم علامته ، فاجتمعوا وكان قصدهم المطاولة ، وقصد السلطان عبد الملك المناجزة ، وذلك لان محمد المسلموخ قد دس اليه من سمه .

قال منويل : ولما أحس عبد الملك بذلك ، وانه لا محالة هالك ، بذل نفسه للقتال ليموت في الجهاد ، وكان المسلموخ يترصد كي يهلك عمه قبل اللقاء فتقع الفتنة في عسكر المسلمين ، لكن جيش النصاري لم تكن لهم مؤنة يطاولون بها فألجأهم ذلك الى المناجزة ، ولما انتشبت الحرب هلك عبد الملك للحين .

قال منويل : وكان امر هذا الرجل عجبا في الحزم والشجاعة حتى أنه لما مات مات وهو واضح سبأته على فمه ، كأنه يشير الى جيشه أن يسكنوا عن الخوض في وفاته حتى يتم أمرهم ، ولا يضطربوا ، وكذلك كان ، فانهم كتموا موته فانصروا وظفروا بالنصاري ظفرا لا كفاءله ، فكانوا يذبحونهم مثل الكباش

ودعش النصارى وتكبيبت جموعهم ، وتراكت أمتعتهم وصناديقهم وخيلهم
وسلاحهم بلا ترتيب ، وزادهم دهشا أن بعض طوايرهم كان ينادى صاحب
صفارته وراءكم وراءكم قطعكم العدو، ووقدت النار في بارود النصارى فنفظ،
وانهزموا الى وادى المخازن فتهانت جلهم فيه فهلكوا والباقي أسره المسلمون .
وزعم أن سبستيان هلك تحته فى ذلك اليوم أربعة أفراس ، وكان شابا
حدثه وقال لأصحابه: « ان ترونى ترونى أمامكم وان لم ترونى فانافى وسط العدو
أقاتل عنكم، قال : وأبدأ وأعاد فى ذلك اليوم الى أن خر قتيلا ، وبقي مذكورا
عند البرتقال يسمرون بأخباره ، وذكره شعراء الاوربا فى أشعارهم ، ولا
زالوا يذكرونه الى الآن .

وخلفه فى ملكه الطاغية الريكى البرتقالى فهو الذى ولى بعده وافندى
جنازته من المسلمين ونقلها الى سبتة فبقيت هنالك الى أن هلك الطاغية الريكى،
وتولى على البرتقال طاغية الاصبنيول فيليب الثانى ، فصار ملك الدولتين معا ،
وهو خال سبستيان أخو أمه فنقل جنازته من سبتة الى أشبونة ، ثم أرخ
منويل الوقعة بالتاريخ العربى والعجمى موافقا لما مر فهذا ما ذكره فى هذه
الوقعة .

قال فى «النزهة» : توفى السلطان أبو مروان عبد الملك بن الشيخ فى
زوال اليوم المذكور ، وباع الناس أخاه أبا العباس أحمد المنصور بالله كما
سيأتى ان شاء الله .

قال فى «درة الحجال» : « فانظر لحكمة الله الواحد القهار أهلك ثلاثة
ملوك يوم واحد ، وهم : أبو مروان بن الشيخ ، وولد أخيه محمد بن عبد الله
المسلوخ ، والطاغية سبستيان ، وأقام واحدا وهو أبو العباس المنصور ، اه .
قلت : وفى أهلك الثلاثة وإقامة الواحد اشارة واضحة لأهلك ديسن
الثليث ونصر دين التوحيد فى ذلك اليوم والله تعالى اعلم .

ولما بلغت الهزيمة الى الطاغية الاعظم ، أغنى القائم بالامر بعد سبستيان
لان التحقيق انه كان الاعظم يومئذ لما مر ، بعث الى المنصور بعد استقلاله
بالمك وعوده الى فاس كما سيأتى يلتبس منه القداء فيمن بقى بيده مسن

الاسارى ، فأجابه الى ذلك وحصل له بسببه أموال طائلة . وذكر بعضهم أن الاسارى لما ذهبوا الى بلادهم قال الطاغية : « لم لم تأخذوا تطاوين والعرايش والقصر قبل ان يصل ملكهم ؟ » فقالوا له : « امتنع من ذلك الامير الذى كان علينا » . فامر بهم فأحرقوا جميعا .

مضحكة : قال فى « النزهة » : « ذكر بعضهم أن النصارى لما وقعت عليهم الكائنة المذكورة وفنى من فنى منهم ورأى أساقفتهم قلة عددهم وخلاء بلادهم لكثرة من مات منهم أباحوا للعامة فاحشة الزنا ليكثر التناسل ويخلف ما هلك منهم ورأوا ذلك من نصرة دينهم وتقويم أود ملتهم أخزاهم الله » اهـ .

وقد وقفت على تاريخ لبعض مؤرخى الفرنج النجليزيين من أهل جزيرة مالطة فرأيت قد ألم بخبر هذه الواقعة وصرح بانها كانت سبب هلاك البرتقال وتلاشى دولتهم وبطلان كرسى سلطنتهم حتى استغافهم اليه طاغية الإصينبول بعد نحو سنتين وصيرهم من جملة رعيته ، ومن فصول كلامه بعد أن ذكر أن أكثر البرتقال قتلوا فى ذلك اليوم ما نصه : « وكانت يعنى الواقعة المذكورة وقعة هائلة ويوما مشؤما . وبالجمله فقد قتل فى ذلك اليوم سائر أشرف البرتكيسيين ولم يتخلف منهم أحد فلما بطل كرسى سلطنتهم قام وقتئذ فيليبس الثانى ملك اصبانيا وتزوج ملكتهم وحكم على البلاد كلها » اهـ . كلامه .

الا أنه ذكر أن السبب فى استغاثة السلطان محمد بن عبد الله بالبرتقال هو تغلب الاصينبوليين على مملكته وانتزاعها من يده وهو كذب أو غلط ، ولعله تصحف عليه لفظ الاصطنبوليين بالاصينبوليين ، اذ قد تقدم أن السلطان أبا مروان انما استولى على المغرب بجيش الترك المنفذ من قبل السلطان سليم العثمانى والله أعلم .

وقد ألم بهذه الواقعة أيضا لويز مارية فى كتابه الموضوع فى أخبار الجديدة لكنه لم يبسطها على عادته فى السكوت عن ما يكون من الظهور فى جانب المسلمين واشاعة ما يكون من ذلك فى جانب النصارى بل والزيادة فيه ومع ذلك فقد قال فى وصفها كلاما هذه ترجمته : « وقد كان مخبوءا لنا فى مستقبل الاعصار العصر الذى لو وصفته كما وصفه غيرى من المؤرخين لقلت

هو العصر النحاس البالغ في النحوسة الذي انتهت فيه مدة الصولة والظفر والنجاح ، وانقضت فيه أيام العناية من البرتقال وانطفأ مصباحهم بين الاجناس وزال رونقهم وذهبت النخوة والقوة منهم وخلفها الفشل وانقطع الرجاء واضمحل اiban الغنى والربح وذلك هو العصر الذي هلك فيه سبستان فسى القصر الكبير من بلاد المغرب « اهـ . فهذا كلام هذا البرتقالى قد تحفظت عليه وأدبت ترجمته كما هى ليعتبر به من يقف عليه «والحقى ما شهدت به الاعداء» ولما تمت للسلطان أبى العباس المنصور البيعة بوادى المخازن طالبه الجيش بأرزاقهم واستنجزوا اعطياتهم حسبما جرت به عادة من قبله معهم فطالبهم هو بخمس الغنيمة لانهم جعلوها نهبي ولم يقتسموها على الوجوه الشرعى كما سبق فصعب استخراجها منهم لعدم التعيين وجرأة الناس على الغلول فسامحهم فيها وسامحوه فى عطائهم .

ثم أمر المنصور بتوجيه كتب البشارات الى الافاق بهذا الفتح الميسر فكتب الى صاحب القسطنطينية العظمى والى سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب واستئصال شوكتهم ورد كيدهم فى نحرهم فوردت عليه الارسال من سائر الاقطار مهنئين له بما فتح الله على يده حسبما نذكره بعد ان شاء الله .

■

بقية اخبار السلطان أبى مروان وسيرته



قال ابن القاضى : « كان سبب وفاة السلطان أبى مروان رحمه الله أنه سقى سما ، وذلك أن قائد الترك الذين كانوا معه ، واسمه رمضان العليج ، بعث الى بعض قواده أن يتلقاه بكعك مسموم هدية للسلطان المذكور وقت مرورهم عليه ، وقصد بذلك قتله ، وذلك بعد أخذه به مدينة فاس ليثبت لهم الملك بها فلم يكمل الله مرادهم لما شهدوه من عظيم جيش المغرب فهذا كان سبب موته رحمه الله « اهـ . ولما توفى حمل الى مراکش فقبّر بها ، وكانت مدة خلافته

أربع سنين ، ومن حجابيه : القائد رضوان العليج . وكتابه : محمد بن عيسى ،
ومحمد بن عمر الشاوي ، وقضاته : قضاة ولداخيه .

وكان يتزيا بزى الترك ويجرى مجراهم في كثير من شؤنه . وكان يتهم
بالميل الى الاحداث وربما كان يظهر ذلك ، وكان أخوه أبو العباس المنصور
خليفته على فاس كما مر ، وكانت له فيه محبة تامة ، وكان يظهر أنه ولي
عهده ويرشحه لذلك كثيرا حسبما أفصحت عنه رسائله التي كان يبعث
بها اليه .

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث :

ففي سنة ثمان وعشرين وتسعمائة كان الوباء بالمغرب كما قدمنا .
وفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة نزل مطر غزير بمراكش حتى امتلات
منه الآبار وتهدمت الدور وصار الناس يؤرخون بعام الآبار .

وفي سنة احدى وستين وتسعمائة توفي الشيخ أبو محمد عبد الله بن
ساسى من أولاد أبي السباع ودفن بزاويته على ضفة وادي تانسيفت من أعمال
مراكش ، وقبره مزار مشهورة وعليه بناء حفيظ .

وفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة توفي الشيخ الامام أبو محمد عبد الله
ابن محمد الصنهاجي الطنجي المعروف بالهبطي ، وكانت وفاته في ذي القعدة
من السنة المذكورة ، وكان رحمه الله من أهل الورع والدين والاتباع للسنة
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن فوائده ما حكاه عنه في « الدوحة » ،
قال : « سألت شيخنا الامام أبا محمد عبد الله الهبطي عن الشيخ أبي محمد
الغزواني ، وكان من أصحابه ، فقلت له : يا سيدي ما لسائر المشايخ من أصحاب
الشيخ الغزواني كأبي الحجاج التليدي وأبي البقاء الياصوتي وأبي الحسن
علي بن عثمان وغيرهم يصرحون بقبطانية الشيخ وينسبونك أنت الى التقصير في
حقه حيث لم تقل بما يقولونه ؟ » ، فقال لي رضى الله عنه : « قد علمت معنى
الشهادة في الشرع ما هي » ، فقلت : « نعم » فقال لي : « كيف لي أن أشهد
لاحد بمقام معين وأنا لم أسلكه ولم أتحققه ولم يكشف لي عنه فان فعلت فقد
شهدت شهادة الزور فقلت له : « وأي شهادة تشهد في الشيخ ؟ » فقال لي : أشهد

أنه من العارفين بالله تعالى وأنه كان يجيب بالحال أكثر مما يجيب بالمقال، انتهى قلت : وهذا شأن أهل الدين والورع المحتاطين لدينهم لا يقدمون على أمر ولا يتفوهون به حتى يكونوا منه على بصيرة ، وتجد كثيرا ممن عقله وراء لسانه يقولون على الله في غيبه ويخبطون خبط العشواء وينسبون المقامات والاحوال لمن ليس منها في قيل ولا دبير نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا بمنه .

وفي سنة أربع وستين وتسعمائة في يوم الاربعاء الثامن والعشرين من رمضان منها كسفت الشمس الكسوف الكلي العظيم .

وفي سنة خمس وستين وتسعمائة كان بالمغرب وباء عظيم كسا سهله وجباله ، وأفنى كمانه وأبطاله واتصل أمره الى سنة ست وستين بعدها .

وفي سنة احدى وسبعين وتسعمائة توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي ثم السملالي الشهير ببلاد السوس أخذ عن الشيخ أبي فارس عبد العزيز التباع، والشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي ثم الملياني . وفي سنة ست وسبعين وتسعمائة ليلة عيد الاضحى منها توفي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عياد الصنهاجي ثم الفرجي الدكالي المعروف بالمجذوب المولى المشهور دفين مكناسة الزيتون، كان مأوى سلفه بمدينة تيط قرب آزمور ثم رحل هو ووالده الى مكناسة فمات بها .

وفي سنة سبع وسبعين وتسعمائة بعد صلاة الجمعة من أول يوم من المحرم منها زلزلت الارض زلزالا شديدا وفزع الناس لذلك، وفي هذه السنة في الحادي والعشرين من ربيع الاول منها توفي الشيخ ابو محمد عبد الله ابن حسين من شرفاء بني آمغار دفين تامصلوحت وقد تقدم ما جرى بينه وبين السلطان الغالب بالله .

وفي سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وذلك اواخر شوال منها الموافق لاواسط مارس العجمي حدث بالمغرب جراد كثير ، وفي أيام السلطان الغالب بالله ظهر نجم لم يكن معهودا، ثم ظهرت في أيام ابنه محمد بن عبد الله أعلام حمر في الجوه من الناحية الشرقية تبعها في الارض أجناد التزك التي جاء بها السلطان أبو مروان من الجزائر كما مر . وفي أيام السلطان أبي مروان

المذكور ظهر الكوكب ذو الذنب الكبير فى برج العقرب وطلع أياما ثم غاب
وظهر بعده كوكب آخر ذو ذنب أصغر منه وعلى اثره كان خروج البرتغال
من طنجة ووقعة وادى المخازن كما مر ؛ والله تعالى أعلم بغيبه

الخبر عن دولة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله السعدى
المعروف بالذهبي وأوليته ونشاته



كانت ولادة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله ابن السلطان
أبى عبد الله الشيخ بفاس سنة ست وخمسين وتسعمائة ، وأمه : الحرة
مسعودة بنت الشيخ الاجل أبى العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتى
الوارزاتى ، وكانت من الصالحات الخيرات وستاتى بقية أخبارها .
وذكر فى «المنتقى» قال : مرض المنصور فى صغره مرضا شديدا حتى
أيس منه ، فرأت أمه فى النوم شخصا يقول لها : أزيهه الشيخ أبا ميمونة
فانما إصابته عين فازارته اياه فعوفى ، وكان ابوه المهدي ينبه على انه واسطة
عقد اولاده .

قال فى «مناهل الصفاء» : حدثنى الشيخ المسن القائد ابو محمد مؤمن
ابن الغازى العمرى ان المنصور اقبل يوما فى حياة أبيه ، وهو صبي والمجلس
غاص بالاكابر ، فاندفع يخرق الصفوف ، قال : فصاح بى المهدي اذ ذاك ، وأنا
أصغر القوم ، فقال « يا مؤمن ، ارفعه فسينفعك أو ينفع عقبك » فابتدرت حمله ،
وكان كذلك ، فان المنصور لما أفضت اليه الخلافة كان القائد مؤمن بن الغازى
عنده بالحظوة الرفيعة والمنزلة العالية .

ونشأ المنصور رحمه الله فى عفاف وصيانة وتعاطى للعلم ومثاقفة لاهله
عليه ، وكانت مخايل الخلافة لاثحة عليه من لدن عقدت عليه التمايم الى أن تم
أمره . حدثنا الفقيه العالم سفير الخلفاء أبو محمد عبد الله بن محمد بن محمد
ابن على الجزولى الدرعى أنه اجتمع بعض أهل المكاشفة بمصر فسأله عن

السلطان أبى عبد الله الشيخ وأولاده ، قال : فسميتهم له واقتصرت على الكبار منهم فلم أذكر المنصور لانه كان أصغرهم سنا يومئذ . فقال لى : « بقى منهم من لم تذكره ، فقلت له « أحمد » فقال : « ذاك واسطة عقدهم ووجه صفقتهم » فكان كذلك .

وقال الشيخ أبو فارس عبد العزيز الفشتالى : « لما أخذ المهدي البيعة لولده السلطان الغالب بالله كما تقدم استقدمه من فاس وأوصاه بالمنصور جداء ، وقال له : « ان الفائدة فيه » أو كما قال . وهكذا كان ينبه على أنه واسطة عقد أولاده : وكان المنصور رحمه الله يحدث أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ، وأنواره تشرق ، قال : فوق فى نفسى أن أسأله عن نصيبى من الخلافة فكاشفنى عليه الصلاة والسلام بما فى خاطرى ، وأجابنى بما حقق لى نيلها ، ثم أشار لى بأصابعه الثلاثة الشريفة ضاماً الإبهام منها الى السبابة والوسطى وقال أمير المؤمنين ، اه .

وقال الامام أبو زيد عبد الرحمن بن محمد التامنارتى فى كتابه «الفوائد الجمة باسناد علوم الامة » : « أخبرنى الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله الدغوغى صاحب «الحسبة» بتارودانت أنه رأى فى منامه كأنه فى حلقة يسرد فيها صحيح البخارى بموضع من دار الخلافة بها ، وأبو العباس المنصور يومئذ بها . وذلك قبل ولايته ، قال : فرأيت فى طرة الكتاب هذا اللفظ : «ورى الزند » فكنت أتأمل معناه فالتفت فاذا برجل انزل ناحية على طنفسة فوق فى نفسى أن أسأله فأتيته بالكتاب وقلت له : ياسيدى ، ما معنى هذه الكلمة التى فى طرة هذا الكتاب ؟ ، فقال لى : « قل لمولايك أحمد : أنا الذى أوريك زندك ما دمت على الحق فان عدلت عنه فانا برىء منك » . فقلت له : « ومن أنت ياسيدى ؟ » فقال لى : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، ثم لم يمض الا قليل حتى ولى الخلافة وحمدت سيرته ، قال أبو زيد : « وناهيك بزند أوراه النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن ولاية الاسلام لا تتعقد الا بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اشتهرت المرائى بذلك » .

« يقرب من هذا ما ذكره صاحب « ابتهاج القلوب فى مناقب الشيخ

المجذوب » : « أن الشيخ الصالح أبا عبد الله محمد الملقب بكدار ابن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علال المالكي البوخصيبي رأى النبي صلى الله عليه وسلم يوما فشكا إليه أولاد مطاع لما رأهم عليه من الفساد في الأرض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « يأتيهم أحمد » ، فكان كذلك أتاهم عقب ذلك السلطان أبو العباس المنصور فأخذهم وقل جمعهم » اهـ . وأخبار المنصور من هذا النمط كثيرة .

وكان رحمه الله طويل القامة معتلى الخدين ، واسع المنكين ، تعلوه صفرة رقيقة ، أسود الشعر ، أدعج أكحل ، ضيق البلج ، براق الثياب ، حسن الشكل ، جميل الوجه ، ظريف المنزع ، لطيف الشمائل .

وكانت بيعته بعد الفراغ من قتال النصاري بوادي المخازن يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واجتمع عليها من حضر هناك من أهل الحل والعقد ، ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة جددت له البيعة بها ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن ، ثم بعث إلى مراکش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه فأذعن الكل للطاعة ، وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة .

قال الفشتالي : لما كانت وقعة وادي المخازن ونصر الله دينه وكبت الكفر وأهله واستوسق الأمر للمنصور كتب إلى صاحب القسطنطينية العظمى وهو يومئذ السلطان مراد بن سليم العثماني وإلى سائر ممالك الإسلام المجاورين للمغرب يعرفهم بما أنعم الله به عليه من اظهار الدين وهلاك عبدة الصليب والاستئصال شأفتهم ، فوردت عليه الأرسال من سائر الاقطار مهنئين له بما فتح الله على يده : وكان أول من وفد عليه رسول صاحب الجزائر ، ثم تلتة أرسال طاغية البرتغال ، وهو الريكي القائم بأمرهم بعد هلاك سبستيان ، وليس خاله وإنما خاله طاغية الاصبنيول فيليب الثاني الذي جمع المملكتين معا بعد هلاك الريكي المذكور وبعد وقعة وادي المخازن بثلاث سنين فقدموا بهدية عظيمة وضعوها يوم دخولهم إلى فاس على الكرايريص والمجل ، فعجب الناس منها عجا

بليغاً، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً وكان من جملة ما فيها ثلاثمائة ألف دكات من ريال الفضة، وأما الطرف النفيسة والاثاث الرفيع فشيء لا يحصى، ثم وردت ارسال طاغية الاصبنيول صاحب قشتالة بهدية عظيمة منها اليواقيت الكبار التسي انتزعها الطاغية من تاج آباءه، وصنديق مملوء من الدر الفاخر، وقضب الزمرذ وغير ذلك، وتكلم الناس فيما بين الهديتين أعنى هدية البرتقالى وهديسة الاصبنيولى أيهما أعظم، ولم يهتد أهل العقل والمعرفة الى مقدار التفاوت بينهما ثم قدمت ارسال السلطان مراد العثمانى ومعهم هدية وهى : سيف محلى لم ير مثله مضاء وصفاء متن، ثم قدمت ارسال طاغية افرانسة ومعهم هدية عظيمة ولم تزل الوفود مترادفة باب المنصور، والارسال تصبح وتمسى على أعتاب تلك القصور، الى أن لم يبق أحد ممن تشوف النفوس اليه وحينئذ اطمأنت بالمنصور الدار وطاب المقام وتم القرار .

وفى جمدى الاولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة مرض المنصور مرضاً مخوفاً وطال به حتى كادت الامور تختل ثم تداركه الله على يد الحكيم الماهر أبى عبد الله محمد الطيب، ولما أبل من مرضه أحسن الى الطبيب المذكور ونثر عليه يوم خروجه من الخلع ما لا يحصى، وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً، وفى ذلك يقول الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن على الهوزالى المعروف بالنابغة:

تردى أذى من سقمك البر والبحر	وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر
وبات الهدى خوفاً عليك مسهداً	وأصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر
فلما أعاد الله صحتك التى	أفاق بها من غمه البدو والحضر
تراعت لنا الدنيا بزينة حسنهما	وعاد الى أبانه ذلك البشر
وصار بك الاسلام فى كل بلدة	يهنى ويدعى أن يطول لك العمر
وصحت لنا الآمال بعد اعتلالهما	وعادت الى الايناع أغصانها الخضر
ولا غرو ان صامت على سمط الندى	إذا اغبر وجه الارض واحتبس القطر
ليت أبى العباس أنضت عجافهما	قديماً فخافت أن يعاودهما الضر
لئن صدئت بيض للمعالى لقد غدت	تسوء الكماة البيض واللدن السمر
بقيت لهذا الدين تحمى دماره	ويحميك رب العرش ما بقى الدهر

عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون



قال الفشتالي : لما أبل المنصور من مرضه المذكور وعاد الى حاله من الصحة أجمع رأى أعيان الدولة واتفقت كلمة كبارها على أن يطلبوا منه تعيين من يلي الامر بعده ويكون ولي عهده ، وكان المنصور مهيبا لا يقدر أحد على مواجهته بمثل هذا فاتفقوا على أن يكون البادى . لذلك القائد المؤمن بن الغازي العمري لما له من الادلال على المنصور بطول الخدمة وسالف التربية فقال له القائد المذكور : « يامولانا ، الله تعالى حفظ الاسلام بابلالك من هذا المرض وعصم الدين بابقائه عليك وقد بقى الناس فى أيام سقمك فى حيرة عظيمة ودخلهم من الدهش ما لا يخفى عليك فلو عينت لنا من أبنائك القساورة من تجتمع كلمة الاسلام عليه ، ويشار بالخلافة اليه ، لكان أولى وأليق بسياسة الملك ، وان ابنك الابن أبنا عبد الله محمد المأمون حقيق بذلك ، وجدير بسلوك تلك المسالك ، لما فيه من خلال الخير وخصال السيادة ، زيادة على ما هو عليه من التيقظ فى أموره والحزم فى شؤونه ، وقد ظهرت للناس محاسن سيرته ، وأطلعوا على جميل سريره ، فاستحسن المنصور ذلك وأعجبه ما أشار عليه به ، فقال له : « سوف أستخير الله فى ذلك فان يكن من عند الله بمضه ، قلت : هذا الذى حكاه الفشتالي على لسان القائد مؤمن فى حق المأمون المذكور اهو بخلاف الواقع كما ستقف عليه من أحوال المأمون بعد هذا ان شاء الله ، ولكن المؤرخين والشعراء يمدحون ويقدحون بحسب أغراضهم لا بحسب اواقع غالبا ، لا سيما اذا كان من يعنونه بذلك مخدوما لهم ومنعما عليهم ، فلا ينبغى لمن وقف على كلام هؤلاء الصنف منهم أن يعتمد عليه الا بعد التثبت والتبصر والله تعالى الهادى الى الصواب بمنه . ثم لبث المنصور بعد هذه الاشارة أياما يستخير ربه فى ذلك ويستشير من يعلم أهليته للمشورة من أهل العلم والصلاح ، فلما انقضت أيام الاستخارة وتواطأت الآراء على حسن تلك الاشارة ، جمع المنصور أعيان حاضرة مراکش وأعيان مدينة فاس وغيرهم من أشياخ القبائل ووجوه الناس من أهل الحواضر والبوادر ، وأوصى

بالمعهد لولده المذكور أبى عبد الله محمد المأمون ، وذلك يوم الاثنين منسلخ شعبان سنة سبع وثمانين وتسعمائة .

وكان المأمون اذ ذاك خليفة ابيه على فاس فلم يحضر هذه البيعة فبعث اليه المنصور بعد ذلك ليقدم من فاس ويباع بحضرته ، ولم يقنعه ما كان عقد له من البيعة وهو غائب ، ولما بعث اليه خرج المنصور بعسكره الى تانسيفت خارج مراكش ثمانى عشر صفر سنة تسع وثمانين وتسعمائة ، ولم يزل بعسكره هناك متلوما ومنتظرا لقدم المأمون الى أن قدم غرة جمادى الثانية من السنة المذكورة ، فكانت ملاقاتهما من عجائب الزمان ، ولما اصطف جيش المنصور وجيش المأمون ترجل المأمون عن فرسه وتقدم حافى القدم فعفر وجهه بين يدي والده ثم قبل رجله ، والمنصور على فرسه واقفا بين الصفين ، فدعا له بخير وأظهر الفرح بمقدمه ، وكان المأمون قد عبا جيشه تعبى لم ير مثلها ورتبهم ترتيبا حسنا فى لباسهم وسائر أمورهم ، فسر المنصور بذلك ، وبعد أيام من بلوغه أمر به فاجلس فى سرادقه الاعظم الذى لم يكن للملوك قبله مثله كما سيأتى ، وأمر أهل الحل والعقد فازدحموا على تقبيل يده واقتضيت منهم الايمان بحضرته ، وقام الشعراء فافصحوا عن وصف الحال ، وغمر المنصور الناس بالنوال ، وكان ذلك اليوم يوما مشهودا ، وبعد أيام منه أمر المنصور المأمون أن يرجع الى حضرة فاس فرجع ودخل المنصور حضرته وتم غرضه الذى قصده .



ثورة داود بن عبد المؤمن بن محمد الشيخ والسبب فى ذلك



قال الفشتالى : لما وقعت البيعة للمأمون وتكامل أمرها نار الرئيس الاجل أبو سليمان داود بن عبد المؤمن ابن السلطان محمد الشيخ ، وهو ابن أخى المنصور ، وفر الى جبل سكسيوة وشق العصا ودعا الى نفسه ، فانثالت عليه أوشاب من البربر وغيرهم ، ونجم أمره وأثرت فى أذن الرعية جعجعته ، فبعث اليه المنصور قائده الزعيم أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن بجة فناوشه

القتال بجبل سكسيوة فهزمه ، وفر الى جبل هوزالة فتحزبوا عليه ، وقويت بهم شوكته ، وأخذ يشن بهم الغارات على أهل درعة الى أن ضاقوا به ذرعا فشكوا أمره الى المنصور فبعث اليه قائده الذي ذكر فلم يزل في مقابله ومقاتلته الى أن شرده عن جبل هوزالة ففر داود منه الى الصحراء ، واستقر به الرحيل بها عند عرب الودايا من بني معقل فلم يزل عندهم الى ان هلك سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وكفى المنصور أمره .

حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثماني وتلاقي المنصور اذلك



قد علمت ما كان من التجاء عبد الملك المعتصم وأحمد المنصور الى السلطان سليمان العثماني وتطارحهما عليه حتى أمدهما بالجيش الذي كان سببا في تملكهما المغرب ، ولما صفا الامر لعبد الملك أهمل جانب العثماني ولم يكتبه بشيء ولا عرج عن ساحته ، ثم لما ملك المنصور وكتب الى النواحي بخبر وقعة وادى المخازن كتب الى السلطان مراد في جملتهم فبعث السلطان المذكور الى المنصور بالهدية التي تقدم ذكرها وكان المنصور استقلها وانف منها فتشاغل عن الوفاء وتركهم مهملين بحضرته ، وتأخر عن جواب السلطان مراد فكان ذلك سببا للنفرة ، وكان وزير البحر للعثماني ، واسمه الرئيس على علوج ، يبغيض للمنصور فلم يزل يسعى به عند سلطانه ويذكره ما كان من أبيه الشيخ من القدح في ولاية الترك والطعن عليهم ، وقال له في ذلك : « قد ضاع صنيعك في هذا الغادر وصنيع والدك من قبلك » ولم يزل يقتل له في الذروة والغارب ويهون عليه أمر المغرب حتى أذن له في توجيه العمارة اليه ومنازلته والاخذ بآفاقه الى أن يستأصل أمر المنصور ويخمد جمرته ، ويقال : ان السلطان مرادا أمر وزيره المذكور أن يذهب بالعمارة الى الجزائر فتكون هنالك ثم يتقدم بالعساكر في البر الى المغرب ، فأخذ الوزير في التأهب لذلك واتصل

الخبر بالمنصور على يد بعض قناصل النجلير ، فارتحل الى فاس من حينه وشحن الثغور وملا المراسى ، وكان على أهبة وكمال استعداد ، وبعث ارساله الى السلطان المذكور بهدية عظيمة تلافيا لما فرط واعتذارا عما سلف : وكان من جملة ارساله القائد الانجد ابو العباس احمد بن ودة العمراني ، والكاتب الشهير ابو العباس أحمد بن يحيى الهوزالى ، فركبوا البحر من مرسى تطاوين قاصدين القسطنطينية العظمى ، وبينما هم فى أثناء الطريق على ثبج البحر لقيهم الوزير علوج فى أسطوله قاصدا ديار المغرب عازما على منازلة المنصور به ، فلما رأهم سقط فى يده ، وأيقن بخيبة مسعاه ، فرام صدهما عما قصدا اليه وأياسهما من تدارك الامر ، وقال لهما : « ان الخرق قد اتسع على الراقع ولو كان لصاحبكم فغرض فى المسألة ما بقى أصحابنا بأبوابه كالكلاب والبادى أظلم » فلم يزل الوزير علوج بالقائد ابن ودة الى أن صرفه عن رأيه وردده معه ، وترك الهوزالى يبلغ الرسالة والهدية ظنا منه أنه صغير السن لا يحسن مخاطبة الملوك العظام ، وابن ودة الذى كان عنده مظنة لكمال التدبير ومثاقفة الملوك رده معه ، فلما لانتهى الهوزالى الى السلطان مراد ودخل عليه أظهر من قبله ولطف مخاطبته ما خلب به قلب السلطان المذكور ، واستل السخيمة من صدره واعتذرله عن تأخر المنصور عن الجواب بما لا يعود بوهن على مخدمه ، ولا يفيد غلبة خصمه ، فقبل السلطان مراد الاعتذار ، وتقبل الهدية بقبول حسن ، وكتب مع الهوزالى الى الوزير علوج بالرجوع عن منازلة المنصور ، فرجع بها الهوزالى يطير سرورا ، ولم يغب عن علوج الا نحو الشهر حتى قدم عليه بأمر الملك ، فقرع لها علوج سن الندم ، وأسف على تفريطه فى الهوزالى وتركه ، وبعث السلطان مراد رسله مع الهوزالى الى المنصور يلومه على التراخى فى أمور الملوك فلما قدموا عليه أكرم وفادتهم وأحسن نزلهم وردهم مكرمين الى مرسلهم ، وبعث معهم الفقيه الامام قاضى الجماعة بحضرة مراکش أبا القاسم ابن عسلى الشاطبى ، والقائد الانجد ابا زيد عبد الرحمن بن منصور الشيطمى المريدى ، فلما وردوا على خاقان الترك فرح بهم كل الفرع ، ورتب الشاطبى كلاما بليغا أعرب فيه عن فضل الدولتين ، وقرر فيه حق أهل البيت وأطرى المنصور

وحض فيه على اتحاد كلمة الاسلام ، وقرأ ذلك على السلطان مراد فاهتز
 لسماعه ، ثم بعد أيام أحسن اليهم وأجزل صلتهم وردهم مكرمين الى مرسلهم .
 وقال صاحب « خلاصة الاثر » : كان المنصور موادعا لسلاطين آل عثمان
 فيرسل اليهم بالهدايا في كل سنة وكانوا هم يرسلون اليه بالمكاتيب والخلع السنية
 حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب اليه أثناء مكاتيبه : « لك على العهد أن لا أمد
 يدي اليك الا للمصافحة » ، وان خاطري لا ينوي لك الا الخير والمسامحة ،
 وكانت رسله دائما تأتي الى القسطنطينية من جانب البحر ويمكنون زمانا
 طويلا ويتعهدون الوزراء ومن له قرب من الدولة من جملتهم الرئيس
 الاديب محمد الامين الدفترى ، فقد ذكر صاحب « خلاصة الاثر » ،
 أن هذا الرئيس كان يجمع نفائس الكتب ويبحث
 بها الى المنصور فبسبب ذلك كانت المراسلات بينهما غير منقطعة ، وقد ذكر
 صاحب « خلاصة الاثر » في ترجمة الرئيس المذكور بعض تلك المراسلات
 فانظره .

ولما تكامل هذا الغرض ، وصح جسم الدولة من المرض ورجعت الارسال
 في أحسن الاحوال عاد المنصور الى مراکش ، وفي يوم خروجه من فاس خرج
 أعيان أهلها ومشايخ العلم بها وقرى البخارى بين يديه سردا على عادة الخلفاء
 في ذلك ، وكان ذلك كله سنة تسع وثمانين وتسعمائة .

﴿

ايقاع المنصور بعرب الخلط والسبب في ذلك



قد قدمنا في أخبار الدولة المرينية ما كان لهؤلاء الخلط من الاعتزاز
 والدالة عليها بسبب ما كان لهم من الشوكة والمصاهرة مع ملوكها . ولما أدبرت دولة
 بنى مرين واستولى على ملكهم أبو عبد الله محمد الشيخ المهدي انحاشوا اليه
 وأظهروا الخدمة والنصيحة ، فلما جاء أبو حسون الوطاسي بجيش الترك
 حسبما شرحناه قبل أوقعوا الهزيمة على المهدي لابي حسون كما مر ، فلما غلب

المهدى على المغرب وصفاله أمره خلعه من الجندية ، ووظف عليهم الخراج ،
ومحا اسمهم من ديوان الخدمة . ونقل أعيانهم الى مراکش واتخذهم رهائن
عنده ، ولم يزل الامر على ذلك الى أيام المنصور فرأى جلادهم يوم وادى المخازن
وحسن بلائهم ، فاختار النصف منهم وردده الى الجندية ، وأبقى نصفهم الآخر
فى غمار الرعية ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه حينئذ من الدهر ثم
عابوا فى البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، ومدوا أيديهم
الى أولاد مطاع فنهبهم وضايقوا بنى حسن فكثرت
الشكاية بهم الى المنصور ، ف ضرب عليهم سبعين ألفا غرامة ، فلم يزدادوا الا عتوا
وشدة ، فأرسل اليهم ليبعثوا طائفة منهم الى تيكورارين فامتنعوا من ذلك فحينئذ
بعث اليهم القائد موسى بن أبى جمدى العمرى فانتزع منهم الخيل وأبقاهم
رجالا . ثم حكم السيف فى رقابهم . واستأصل جمهورهم فمن ثم خضعت
شوكتهم ، ولانت للغامر قناتهم .



استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات وغيرها



لما استقر المنصور بمراكش مرجعه من فاس وأمن من هجوم الترك على
المغرب طمحت نفسه الى التغلب على بلاد تيكورارين وتوات من أرض الصحراء
وما انضاف الى ذلك من القرى والمدائن ، اذ كان أهل تلك البلاد قد انكفت
عنهم أيدي الملوك ولم تسسهم الدول منذ أزمان ولا قادهم سلطان قاهر الى ما
يراد منهم ، فسبح للمصور أن يجمع بهم الكلمة ويردهم الى أمر الله فبعث
اليهم القائد أبا عبد الله محمد بن بركة ، والقائد أبا العباس أحمد بن الحداد
العمرى المعقل ، فى جيش كثيف فقطعوا اليهم القفر من مراکش ، واتهموا
اليهم على سبعين مرحلة منها ، فتقدموا اليهم أولا بالدعاء للطاعة والاعذار
والانذار فامتنعوا فنازلوهم وقتلوهم وطالت الحرب بينهم أياما ، ثم كان
الظهور لجيش المنصور فأوقعوا بهم وأثخنوا فيهم الى أن أذعنوا للطاعة . وصاروا
فى حزب الجماعة ، وأنهى خبر الفتح الى المنصور فسر بذلك سرورا عظيما

وقال الشعراء فى ذلك وعم الفرخ بلاد المغرب، وكان ذلك سنة تسعين وتسعمائة
وبعد هذا تشوفت نفس المنصور الى الاستيلاء على بلاد السودان فكان من أمرها
ما نذكره ان شاء الله .



تلخيص القول فى السودان المغرب والاشارة الى ممالكهم ودولهم من لدن الفتح الاسلامى الى هذا التاريخ

اعلم أن هؤلاء السودان هم من نسل حام بن نوح عليه السلام باتفاق
النسابين والمؤرخين ، ويجاور البربر بارض المغرب منهم أمم كثيرة من أعظمها
أهل مملكة غانة وهم المتصلون بالبحر المحيط من جهة الغرب على مصب النيل
السودانى فيه ، وتتصل بهم من جهة الشرق أمة أخرى تعرف بصوصو بصادين
أو سينين مهملتين مضمومتين ، ثم بعدها أمة أخرى يقال لها : مالى ، ثم بعدها
أمة أخرى تسمى كوكو ويقال : كاغو، ثم بعدها أمة أخرى تعرف بتكرورويقال
لهم أيضا : سغاي، ثم بعدها أمة أخرى تدعى كانم وهم أهل مملكة برنوا المجاورة
لافريقية من جهة قبلتها . ثم بعدها أرض النوبة المجاورة لبلاد مصر وهكذا الى
آخر الشرق أمم لا يحصيهم الا خالقهم .

فأما أهل مملكة غانة فقد كانوا فى صدر الاسلام من أعظم أمم السودان
أسلموا قديما وكان لهم ملك ضخم ، وكانت حاضرة ملكهم هى غانة وهى :
مدينتان على ضفتى النيل السودانى من أعظم مدن العالم وأكثرها عمرا نذكرها
صاحب « نزهة المشتاق » ، وصاحب « المسالك والممالك » وغيرهما .

وقال الفقيه الاديب أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسى الشريشى
فى « شرح المقامات الحريرية » ما نصه : غانة بلد من بلاد السودان وإليها ينتهى
التجار يعنى من المغرب ، والمدخل إليها من سجلماسة ومن
سجلماسة إليها ذهابا مسيرة ثلاثة أشهر ومن غانة الى سجلماسة ايام مسيرة شهر ونصف
ودون ذلك . وسبب ذلك أن الرفاق تتجهز إليها من سجلماسة بالامعة والاثقال
فتباع فى غانة بالتبر فمن سافر إليها بثلاثين حملا يرجع منها بثلاثة أحمال أو

السلطان سليم العثماني أيام تغلبه على مصر سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ، فلما اجتمع الحاج محمد سكية بالخليفة المذكور طلب منه أن يأذن له في امساراة بلاد السودان ، وأن يكون خليفته هناك ، ففوض اليه الخليفة العباسي النظر في أمر ذلك الاقليم وجعله نائبه على من وراه من المسلمين ، فرجع الحاج محمد سكية الى بلاده ، وقد بنى أمر رياسته على قواعد الشريعة وجرى على منهاج أهل السنة ، ولقى بمصر أيضا الامام شيخ الاسلام حافظ الحفاظ جلال الدين السيوطي فأخذ عنه عقائده وتعلم منه الحلال والحرام ، وسمع عليه جملا من آداب الشريعة وأحكامها وانتفع بوصاياه ومواعظه ، فرجع الى السودان ونصر السنة وأحيى طريق العدل ، وجرى على منهاج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره ، ومال الى السيرة العربية وعدل عن سيرة المعجم فصلحت الاحوال ، وبرىء جسد الرشاد من الداء العظام ، وكان الحاج محمد المذكور سهل الحجاب رقيق القلب خافض الجناح شديد التعظيم لائمة الدين محبا للعلماء مكرما لهم يفسح لهم في المجلس ويوسع عليهم في العطاء ولم يكن في أيامه كلها بؤس ولا بأس بل كانت رعيته في خفض عيش وأمن سرب وفرض عليهم شيئا خفيفا من المغارم وظفه عليهم، وزعم انه ما فعل ذلك حتى استشار الامام السيوطي شيخه ، ولم يزل على سيرته المذكورة الى أن اخترمته المنية ، فقام بالامر بعده ولده داود بن محمد فأحسن ما شاء وتبسع طريقة أبيه الى أن لحق بربه ومضى لسبيله ، فقام بالامر بعده ولده اسحق بن داود فعدل عن بعض سيرة أبيه ، ولم يكن في أمره بالذميم ، واستمر حاله على الانتظام الى أن غزته جيوش المنصور فنقضت ملكه ونشرت سلكه ، وانقرض عليه أمر آل سكية بعد أن كان تحت طاعتهم مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان. وسنذكر كيفية ذلك

وأما مملكة التكرور وكانم فقال ابن خلكان ما نصه : « كانم بكسر النون جنس من السودان وهم بنو عم تكرور وكل واحدة من هاتين القبيلتين لا تنسب الى أب ولا أم وانما كانم اسم بلدة بنواحي غانة فسمى هذا الجنس باسم هذه البلدة، وتكرور اسم للارض التي هم فيها وسمى جنسهم باسم أرضهم » اهـ.

قلت: وكان من كانم الاديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى
الاسود الشاعر وهو الذى دخل على يعقوب المنصور الموحدى فأنشده :
أزال حجابہ عنی وعینى تراه من المہابة فى حجاب
وقربنى تفضله ولكن بعدت مہابة عند اقترابى
وأهل كانم هم أهل مملكة برنو المجاورة لافريقية من جهة قبلتها كما قلنا
وكانت لهم مع الدولة الحفصية فى المائة السابعة وما بعدها مهاداة ومواصلة كما
كان لأهل مالى مع بنى مرين .

قلت : ومن أهل برنو الشيخ العارف بالله تعالى أبو محمد عبد الله البرنوى
شيخ الولى العارف بالله تعالى أبى فارس عبد العزيز الدباغ الموضوع فى مناقبه
كتاب « الذهب الابريز » .

واتصل أمر أهل برنو على الانتظام الى أن كان من أمرهم مع المنصور ما
نذكره ، وكل هؤلاء الامم كانوا على دين الاسلام قديما كما رأيت ، وكان فيهم
العلماء والصلحاء والادباء والشعراء كما علمته آنفا وتعلمه فيما بعد ان شاء الله
تعالى .

قال الشيخ أبو العباس أحمد بابا السودانى فى تقييده المسمى « بمعراج
الصعود » : « ان أهل السودان أسلموا طوعا بلا استيلاء أحد عليهم كأهل كنوا
وكنتى وبرنو وسغاي ما سمعنا قط أن أحدا استولى عليهم قبل اسلامهم ومنهم من
هم قدماء الاسلام كأهل مالى أسلموا فى القرن الخامس أو قبله وكأهل برنو
وسغاي » اه . وقد علمت أن أهل غانة تقدم اسلامهم على هذا التاريخ والله
تعالى أعلم . ولنرجع الى ما كنا بصدد من أخبار المنصور فنقول :



وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس وما نشأ عن ذلك من بيعته له والتزام طاعته

كان المنصور رحمه الله مسعودا محظوظا كما أشرنا اليه سابقا ، وكان من سعادته ما هيا الله له من مهادة صاحب مملكة برنو ومخاطبته له حتى كان ذلك سببا في مبايعته له والدخول في طاعته . وكان من خبر ذلك ما حكاه في « مناهل الصفا » قال : « وفي سنة تسعين وتسعمائة ورد على المنصور الحبر وهو بمدينة فاس بقدوم رسول صاحب مملكة برنو من ملوك السودان ، وجلب في هديته ما جرت عادتهم أن يجلبوه من فتيان العبيد والاماء وكسا السودان وطرفه ، وكان من ذلك عدد كثير يناهز المئين ، فوافى للمنصور بعسكره على رأس الماء من ساحة فاس ، وكان يوم ملاقاته يوما مشهودا حسنا وأبهة وجلالة ، جلس نصره الله تعالى بالقبتين التوأمتين المضروبتين أمام السياج المحيط بقبابه ، وهو آفراك ، واستوقف الموالى والممالك سماطين من النوامين الى القبة العربية ، ثم منها الى فسطاط الجلوس المعلوم بالديوان ثم منه الى باب المعسكر القبلى ، وأتى بالرسول يخترق السماطين حتى نزل بالديوان ، وكان الملا من أكابر الدولة وصدور المملكة جلوسا وكرسى المملكة وسرير الخلافة منصوبا به ، والمهابة قد أخرست اللسن وأخشعت القلوب والابصار ، فجلس الرسول هنالك مليا ، ثم توجه به على سبيل الترقى الى القبة العربية فجلس بها ، ثم جاء الاذن الكريم بإيصاله الى مقر أمير المؤمنين بالتوأمتين فوقف بين يديه وتشرف بالنظر الى طلعتة السعيدة فادى الرسالة وقضى فرض التهنة وسنة الهدية وأعرب عن مقاصد مرسله واعترف للمملكة العظيمة بحقها وأظهر من الخضوع والتعلق والاستكانة والخدمة والطواعية ما أوصاه به مرسله ، ثم توجه به الى معسكر ولى العهد وتاج الاسلام وكافل الامة بعد والده المولى الامير أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وكان لصق معسكر أمير المؤمنين برأس الماء ، فأشرف الرسول على دنيا أخسرى وأبهة مدهشة ومحلة هائلة فوقف موقف الحيرة ، واستدرج الى أن وصل

لقباب ولى العهد ومضاربه ، وكان قد قعد له بفسطاط جلوسه أفخم قعود . ولما استؤذن عليه ووقف بين يديه هنا وحى وفدى وانصرف عنه الى محل نزوله بالقصة من فاس ، وأدر عليه من الانعام والاکرام ما لم يكن له فى حساب . وكان من أغراض الرسالة النى أنفذه بها سلطانه طلب المدد من أمير المؤمنين بالعساكر والاجناد وعدة البندق ومدافع النار لمجاهدة من يليهم بقاوية السودان من الكفار ، وكان هذا الرسول قد وفد قبل على سلطان التـسـرك بالاصطنبول السلطان مراد العثمانى يطلب منه المدد لجهاد كفار السودان فأخفق سعيه ولم يحصل على طائل ، فوجهه فى هذه النوبة الى ملك المغرب يطلب منه المدد ، ولما قرىء كتابه على أمير المؤمنين اتفق أن وقع بينه وبين كلام الرسول اختلاف بين وتباين واضح فكان الذى دل عليه الكتاب خلاف ما دل عليه كلام الرسول، جر اليهم ذلك توغلهم فى الجهل والغباوة وعدم من يحسن الاعراب عن مقاصدهم من فرسان الانشاء والكتابة ، لطموس معالم العلوم عندهم على الجملة ، وقارن ذلك ما كان من توجيه أمير المؤمنين عساكره لتدوين قطرى توات وتيكورارين، وأمل أن يجعلهما ركابا لبلاد السودان والاستيلاء على ممالكها التى وجه اليها عساكره بعد ذلك ، فبلغت مملكة مالى عظيم السودان الى أن وردت من نيلها على مائة مرحلة من ثغور المغرب ، فاعتنم المنصور لذلك اختلاف الرسول والرسالة وبنى عليه ما اعتد به على صاحب برنو ورجع الرسول الى مرسله بعد مكافأته وتوجيه هدية من عتاف الخيل وأشرافها بكسى من ملابس الخلافة وأسباب أخر . ولما بلغ الرسول وألقى المذرة الى سلطانه استأنف الهدية وأعرب اذ ذاك عن مراده ورد الرسول ثانية الى باب أمير المؤمنين فوافاه بحضرته ودار خلافته من مراكش ، فأزال اللبس وبين الغرض وصرح بالمقصود ، فلما تحقق المنصور بقصده صدع له بالحق والدعاء الى التى هى أقوم وطالبهم بالبيعة له والدخول فى دعوته النبوية التى أوجب الله عليهم وعلى جميع العباد فى أقطار البلاد الانقياد اليها ، وقرر لهم بلسان السنة الناطق والكتاب المنزل على جده الصادق ، أن الجهاد الذى يتحلون به ويظهرون الميل اليه والرغبة فيه لا يتم لهم فرضه ولا يكتب لهم عمله ما لم

يستندوا في أمرهم الى اذن من امام الجماعة الذي اختص الله أمير المؤمنين بوصفه اذ هو الكافل لهذه الامة ، ووارث تراث النبوة ، وقيضه الله لحماية بيضة الاسلام ، وخصه بالشرف القرشي الذي هو شرط في الخلافة باجماع من علماء الاسلام وأئمة السنة الاعلام ، وألزمهم القيام في أقطارهم بدعوته ، ومجاهدة أعدائهم الكفار بكلمته ، وعلق لهم أيده الله الامداد على البيعة والوفاء بهذا الشرط فالتزمه الرسول ، وزعم أيضا عن سلطانه بالقبول والاجابة ، وطلب من السلطان نسخة يتوجه بها من صورة البيعة اذ ليس ببلدهم من يحسن الانشاء ، ويوفى الغرض لئلا يخلو بشيء من الشروط التي شارطهم عليها أمير المؤمنين فأنشأها كاتب الدولة أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ونصها : « الحمد لله الذي أعلى لكلمة الحق منارا يسمي في مطالعها النجوم ، وأزاح بها عن شمس الهداية المنيرة غياهب الغباوة المذلّمة وسحائب الغواية المركوم ، وحى على الفلاح بها داعي التوفيق الذي نشر للنجاح كتابه الموقوت واستنجز للسعادة أجلها المعلوم ، وشرف هذا الموجود والعالم الموجود بالخلافة النبوية والامامة الحسينية العلوية التي صرفت للوجوه الى قبلتها المشروع ، واستبان الحق بتبليج الصباح في مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة ، ونسخ بدولتها الفراء دول الحيف التي هي سيف النبوة المصلت مقطوعه ، وبلسان السنة مدفوعه ، وقوض بها مباني الادعاء التي هي على غير أساس الشرع الصحيح مرفوعة ، وفسرق بكلمتها المجموعة على التوحيد فرق التثليث التي هي على مشاقة الله ورسوله تابعة ومتبوعة ، وخلع بظهورها على أعطاف الحنيفية السمحة رداء العز الفضفاض واستل بتأييدها للدين المحمدي سيف الانفة والامتعاض ، وأشار للاعادي من بأسها المروع بلسان الحية النضاض ، وفجر للمومنين ينبوع رحمتها الجاري على حصا عدلها الرضاض ، ومهد بسيوفها المنتضة الاتفاق والاقطار تمهيدا أزال عن حكمه الاعتراض ، وجلا بأنوارها المتألقة سدوف الجهالة التي ادلهم جوها وغيم ، وأسعد الوجود بيمينها الذي لبث في أكناف مجدها وخيم ، وقضى لها بتراحم الارض ومن عليها ان شاء الله الى عيسى بن مريم ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذي تعاظمت البراهين القاطعة على صدق رسالته البارة ، ونهج

للدین القویم طريقة الحق المثلی ومادته الشارعه ، وسوغ لمن آمن به مناهل الهدی النمیرة الزلال وموارده العذبة ومشارعه ، نبی الرحمة وشفیع الامه ، وعلى آله وأصحابه الکرام ، أئمة الهدی ومصابیح الظلام ، والدعاء لمولانا الامام العلوی الهمام ، أمير المؤمنین بن أمير المؤمنین ، نبجل سید المرسلین وخاتم النبیین ، وسلیل الوصی والسبطین ، وبعد ، فانه لما أذن الله فی لیل الجهمالة أن ینجاب ، وفی شمس الحق الوهاجة أن یرتفع عنها الحجاب ، وفی العز الخلق الجلاب أن یرعود الی الشیاب ، وفی النجاح والاستقامة أن یفتح لهما الباب ، وفی الامارة أن تستند الی السنة والکتاب ، وتعلق من الشرع بأسباب ، تدارک الله سبحانه الوجود وأعز العالم الوجود واستطارت الانوار المضيئة للاغوار والنجوم بطلوع شمس الخلافة النبویة ، والامامة الهاشمية العلویة ، ففاضت علی أديم البسیطة أنوارها ، وارتفع الی حیث السها والفرقدين منارها ، وتبلغ بالاصباح نهارها ، ولاحت فی سماء المجد بدورها وأقمارها ، وكادت تنهب نجوم السماء أتباعها وأنصارها ، وانتشرت فی الآفاق والاقطار علی البعد والقرب آثارها ، وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها وأخبارها ، وفاض ببرکتها علی أکناف المعموریمها الزاخر وتیارها ، خلافة ینتمی الی النبوة عنصرها ، وتستنبط من رسالة الوحی أسطرها ویناط بعروتها الوثقی خنصرها وامامة علی ولیها والله نصیرها ، والسبط بدرها الذی حیاء منبرها وسریرها والحمد لله الذی اصطفی من هذه الدوحة النبویة السماء ، والشجرة الطیبة الهاشمية التی أصلها ثابت وفرعها فی السماء ، اماما ألقى الله له فی القلوب حبا جمیلا ، ومولی جعله الله علی مرضاته سبحانه علامة ودلیلا ، وخليفة استرعاه فكان بحسن الرعی لخلقه وعباده کفیلا ، وانتضى من بأسه وبساتنه لحماية حمی الشریعة حساما صقیلا ، مولانا أمير المؤمنین وخليفة الله فی الارضین وسلیل خاتم النبیین ووارث الانبیاء والمرسلین ، المفترضة طاعته علی الخلق أجمعین ، والممنون بامامته المقدسة علی العالمین ، بحر الندی والبأس وعصمة الله للناس ، أمير المومنین المنصور بالله مولانا أبا العباس ، صلوات الله علیه وعلى آله الخلفاء الراشدين ، والائمة الطیین الطاهرین ، وطیب بانفاس المغفرة لحدودهم ،

أجمعين ، امام تهتز لذكره أعطاف المناير ، وتتقلد من شريف دعوته أبهى من نفيس الجواهر ، وتستضيء البلاد باكليل شرفه الزاهر ، وتسكن العباد تحت ظل رحمته الوارف الوافر ، أبقي الله أيامه الغر بقاء يصحب النصر دوامه ، وخلد له ولا عقابه هذا الامر الكريم الى يوم القيامة ، ولما طلعت أيده الله على هذه الاصقاع الزنجية طلائع امامته النبوية وخلافته ، ولاحت فسي سمائها شهب مناقبه للنيفة الدالة على فخامة شرفه وأناقته ، وتليت لمجده الآيات الينات التي تشهد له بتراث الرسالة ، وتقضى له على الاسلام وعلى الانام بحكم الولاء والكفالة ، وأوضح الله سبحانه للناس من اعتقاد وجوب طاعته والافتداء بامامته والانقياد لدعوته وتقليد بيعته ما جاء به كتابه الحكيم ووردت به سنة نبيه الكريم ، كما قال عليه السلام : « لا تزال الخلافة في قریش ما بقي منهم اثنان » وكما ورد في صحيح الخبر : « ان الخلافة في قریش والقضاء في الانصار وفي الحبشة الاذان » ويدل على هذا تعاقد الخبر والعيان ، فلا ناكر ان ليس في المعمور على هذا الشرط غيره أيده الله من ثان ، فنهض بدليل الشرع انه امام الجماعة حقا المستوفى شروطها ، والوارث للخلافة النبوية والحريص على بيضة الاسلام أن يحوطها ، وأن القائم بهذا الامر على الاطلاق غيره دعى ، ومحاولة دون اذنه المشروع بدعى ، فتعين لذلك أن الرجوع الى الحق فريضة ، واستبان بما تقرر وعلم ان امارة لا تلاقى في الشروع محلها المشروع منبوذة ومرفوضة ، وعروتها لذلك مفصومة ومنقوضة ، فانتدب لهذه الآثار صحيح الاخبار وصرف الى رضى الله الغاية روقف من الشرائع المشروعة حيث مركز الراية ومنتهى الغاية ، الرئيس أبو العلاء ادريس أكرمه الله انتداب من وقفت به مطية التوفيق ، على حضرة الاخلاص والتصديق ، وأخذت بزمامه السعادة الى حيث الفوز برضا الله ورضا رسوله حقيق ، والتأييد صاحب ورفيق ، وروض الآمال أنيق ، وراح الراحة والاطمئنان عتيق ، الى تقلد امام بيعة الجماعة أمير المؤمنين المنصور بالله زاده الله تقديسا وتشريفا التي تؤسس ان شاء الله على تقوى من الله ورضوان ، وتشهد عقدها الكريم ملائكة الرحمن ، وآثر أسعده الله أن يؤدي فرضها المعدود من فروض

الاعيان ، وحكمها الذى توجه به خطاب الشرع العام الى القاصى والدان ،
وينشر منتها المشروعة فى صقعها وما يليه من الاصقاع والبقاع بالسودان تقلدا
يستغنى ان شاء الله بأنواره ، ويستشرف به للعرز المكين على مناره ، ويخمد به
الجهل جذوة ناره ، وتتنظم به فى اتباع الحق زمر أنصاره ، ويجتلى به صورة
انسانه ، ويستوجب من الله عوارف صنعه واحسانه ، ويرهف به للعبد
على العزمات حد سيفه وسنانه ، ويقرع به لرضا الله باب القبول ، ويتضاعف
له ببركه العمل المقبول ، ويستشيق بمشهد عقده الكريم نواسم النبوه ،
ويعود له به الزمان للشباب والفتوه ، ويرفع به منار الامارة على قواعد الشرع
الوثيقة ، يعدل به فى كل الاحوال عن المجاز الى الحقيقة ، وتتسنى له به
وهى المقصد الاسنى والخاتمة الحسنى ، الاسوة الحسنة بامامى بنى العباس
السفاح والمنصور ، ويحيى سنتهما التى نقلها ثقات الاعلام والصدور ، فى مبايعتهما
الامام الخليفة المهدي الاكبر سليل سيد المرسلين وجسد مولانا امير
المؤمنين الذى رأى امام دار الهجرة أنه بتراث الخلافة النبوية أولى وأحق ،
وفى منصب الامامة على شرطها أعرق ، وبسريرها ومنبرها أليق ، فتأكد
للمنتدب أكرمه الله بهذه الآثار الشريفة والمناقب المنيقة العزم والقصد ،
وأنجز له فيما أراد صدق الوعد ، وساعد نيته الصالحة فيه السعد ، فبايعه
أعلى الله يده على الامن والامانة ، والعفاف والديانة ، والعدل الذى يشيد
للمجد أركانه ، مبايعة شايعه على عقدها الكريم أكرمه الله أتباعه وجموعه
وأشياعه بحكم الوفاق والاتفاق والمواثيق الشديدة الوثاق ، وبجميع الايمان
الصادقة الايمان ، أعطوا بها صفقة أيديهم ، ورفع بها العقيرة مناديهم عارفين
أن يد الله فيها فوق أيديهم ، وامضوها على السمع والطاعة والانتظام فى سلك
الجماعة امضاء يدينون به فى السر والجهر واليسر والعسر والرخاء والشدة ،
والايمان المشتدة ، والتزموا شروطها طوعا ، واستوعبوها جنسا ونوعا ،
بنيات منهم خالصة صادقة ، وعدة من الله لهم بالخير سابقة ،
وسعادة بالحسنى لاحقة أبرموا عقدها ، وأحكموا وعدها وعهدا ، على حكم
الكتاب والسنة والجماعة ، والاخذ بسنتها أعقابا عن أعقاب ، وأحقابا انسر

أحقاب ، الى يوم القيامة واقترب الساعه ، لا يلحق عقدها الكريم فسخ ،
يعقبه بحول الله نسخ ، ولا يتطرق اليه نقض ولا نكث ، ولا يشوبه بشبه
الشبهات بحث ، وأجمع على هذا أسعده الله بالمواثيق المستفيضة ، والايمان
اللازمة المغلظة هو وأتباعه اجماعا شرعيا ، وختموه على أنفسهم حتما
واعقدوه اعتقادا أبديا ، وعرضوا على التزامه بمشهد عقده المبارك أفـ
وأزواجاً ، وحائناً وأفواجاً ، وأشهدوا على الوفاء به بايمانهم الصادقة البـ
ومواثيقهم المثلجة للصدور ، قائلين : بالله الذي لا اله الا هو الملك القد
العليم بالخفيات ، والخير بالآجال والوفيات ، وبجميع الرسل الكـ
والانبياء ، وملائكة الرحمن في الارض والسماء ، وعلى انهم ان حادوا
هذا السبيل وانقادوا لدعاء داعي التغيير والتبديل ، أو انحرفوا عن هذا الـ
وسنته ، فهم برآء من حول الله وقوته ومن دينه وعصمته ، ومستوجبـ
لعذابه وغضبه وسخطه ونقمته ، وبعداء من رحمته ، ومن شفاعة نبيه الـ
يوم القيامة لأئمة ، وانهم خالعون لربقة الاسلام ، وخارجون عن سنة الرـ
عليه السلام ، أعلنوا بهذا اعلانا تعضده النجوى وأدوه بشروطه الجارية
مذاهب الفتوى وأحكامه اللازمة لكلمة التقوى ، استرضاء لله وللـ
النبوية ، والامامة العلوية ، ورياضة للنفوس على بيعتها المباركة الميمونة الـ
واستيفاء لشروطها وأقسامها الواجبة والمستحبة والمندوبة ، مستسلمين الى
بالقلوب الخاشعة ، ومتضرعين الى بابهِ الكريم بالادعية النافعة ، في أن يـ
خير هذا العقد الكريم ، والعهد الصميم ، بدأ وختما ، وأن يمنحهم بركـ
التي تصحبهم حالا ودواما لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، أشهد على
بما فيه وعلى رعيته الرئيس أبو العلاء ادريس أسعده الله وأكرمه ، وبـ
المحرم الحرام من عام تسعين وتسعمائة من الهجرة النبوية « انتهى .

ولما كتبت هذه البيعة دفعت للرسول وأكرم وكأفاه أمير المؤمنين
هدية سلطانه وتوجه الى بلاده بجواب مرسله ، ولم يلبث أن رجعته سـ
ثالثة ووجه معه هدية ورسالة ، وخاض القفر الى دار الخلافة ، فوصل
بلاد تيكورارين وهناك اعترضته منيته فاعتل وهلك ، فأشخص أولوا الـ

الذين بتيكورارين الهدية مع رفقائه القادمين معه من عند سلطانه ، فوصلوا بها الى حضرة أمير المؤمنين بمراكش ، وقدموا اليه رسالتهم وهديتهم فتقبلها بقبول حسن ، وتم السرور وعظم الجور ، واستقامت للمنصور الامور .



بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وكيفية ذلك



لما أدى الوفد الواردون على المنصور من السلطان أبي العلاء صاحب مملكة برنو ما قدموا لاجله ردهم المنصور الى صاحبهم مكرمين ، وانتخب رسولا عارفا مجربا ممن لهم بصيرة بأحوال السودان فبعثه معهم عينا يأتيه بأخبار البلاد حتى كأنه يشاهدها ، وبعث معه رسالة الى السلطان اسحق بن داود من آل سكية صاحب مملكة كاغو ، من أرض السودان يأمره فيها أن يرتب على معدن الملح الذي يتغازى بين المغرب والسودان ، ومنه يحمل الملح الى أقطار السودان ، وظيفاء بأن يجعل كل من يحمل منه شيئا من الواردين عليه متقالا من الذهب العين لكل حمل ، تستعين بذلك الخراج عساكر المسلمين على جهاد الكفار لان ذلك بحر لا ساحل له .

وكان المنصور لم يكتبه في ذلك حتى استفتى علماء ايلته وأشياخ انفتيا بها فافتوه بما هو المنصوص للعلماء رضوان الله عليهم من أن النظر في المعادن مطلقا انما هو للامام لا لغيره ، وأنه ليس لاحد أن يتصرف في ذلك الا عن اذن السلطان أو نائبه ، وبعث اليه المنصور بتلك الفتاوى مع الرسالة الموجه بها مع الرسول ، وكانت من انشاء العلامة الاديب مفتي الحضرة المراكشية المولى أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الشريف السجلعاسي ، لان كاتب الانشاء أبا فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي كان مريضا يومئذ ، ولما فرغ الشريف المذكور من انشائها بقي عليه الصدر فلم يدر كيف يقول في مخاطبة اسحق سكية ولا كيف يمدحه ، وهل يتوغل في المدح أو يتوسط فكتب أبو مالك حين تحرير في ذلك الى المنصور بما نصه : « أيديكم الله ونصر أعلامكم ان

مخاطبة هذا الرجل الذى هو فى مرتبة ممالك الحضرة المولوية أمر تلثم فيه لسانى ، ووقف عن خوض لجهته بنانى ، لان النأى عن هذه المحجة قد مسد بينى وبينها حجابا ، وأغلق فى وجهى بابا ، فلا آمن من أن أقتحم الوقوع فى تفريط أو إفراط ، وخير الامور لو علمته الاوساط ، لكن لا سبيل الى معرفته الا بعد علم الطرفين ، والعبد محجوب عن ذلك دون مين فتركت - أيدكم الله - الصدر لمن هو به منى أقعد ، وتحاميت عقده لمن هو له أعقد ، أبى فارس عبد العزيز الذى فاضت عليه أنواركم ، وأضاءت له سبل هذا المخبر أقماركم ، والا قرعت هواتف لسان الحال سمعى بقول القائل .

يا بارى القوس برىا ليس يحسنه لا تظلم القوس أعط القوس باريها
ولما بلغت رسالة المنصور الى السلطان اسحق سكينة واطلع عليها شق عليه ذلك وماطل فى الجواب ، وحيث أبطأ الرسول فطن المنصور لما انطوى عليه سكينة من عدم اجابته لما طلب من الوظيف على الملاحه ، فاشتد غضبه وعزم على توجيه العساكر الى السودان ، فهذا هو الحامل له على قصد تلك البلاد وتدويخها ، ولما فتح تيكورارين وتوات قوى عزمه على ذلك ، وطمحت نفسه للاستيلاء على ما هنالك على ما نذكره ان شاء الله .



مفاوضات المنصور الملاً من اصحابه فى غزو آل سكينة

وما دارينهم فى ذلك



قال الفشتالى رحمه الله : لما رجعت ارسال المنصور اليه من عند اسحق سكينة وأعلموه بمقالته وامتناعه واحتجاجه بانه أمير ناحية ، والمنصور أمير ناحية ، وأنه لا تجب طاعته عليه ، شاور المنصور أصحابه وجمع أعيان دولته والتقى أهل الرأى والمشورة فاجتمعوا ، وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا ، فقال لهم المنصور : « انى عزمتم على منازلة أمير السودان صاحب كاغو وبعث

الجيش اليهم لتجتمع كلمة المسلمين وتتحد الرعية ، ولان بلاد السودان وافرة الخراج كثيرة المال يتقوى بها جيش الاسلام ويشتد ساعد كنيته ، مع أن صاحب أمرهم وللتولى لسلطنتهم اليوم معزول عن الامارة شرعا ، إذ ليس بقرشى ولا اجتمعت شروط السلطنة فيه العظمى ، فلما نثل المنصور ما فى كنانته وأبدى ما فى خبيثته وعرض ما فى عيته سكت الحاضرون ولم يراجعوا بشيء ، فقال لهم : « أسكنم لستعوا بما لرأى أو ظهر لكم خلاف ما ظهر لى ؟ » فاجاب كلهم بلسان واحد ورأى متفق : « ان ذلك رأى عن الصواب منحرف وانه بمهامه عن الآراء السديدة ولا يخطر ببال السوقة فكيف بالملوك ، وذلك لان بيننا وبين السودان مهامه فيحاط تقصر فيها الخطا ، وتحار فيها القطا ، وليس فيها ماء ولا كلا ، فلا يتأتى السفر فيها ولا اعتساف شىء من طريقها مع كونها مخوفة مملوءة الجوانب ذعرا ، وأيضا فان دولة المرابطين على نهجها ، ودولة الموحدين على عظمها ، ودولة المرينيين على قوتها لم تطمح همة واحد منهم لشيء من ذلك ، ولا تعرضوا لما هنالك ، وما ذاك الا لما رأوا من صعوبة مسالكها وتعذر مداركها ، وحسبنا أن نفتى أثر تلك الدول فان المتأخر لا يكون أعقل من الاول ، فلما قضى أولئك الاقوام كلامهم وأبدوا له رأيهم وملامهم ، قال لهم المنصور : « ان كان هذا غاية ما استضعفتم به أمرى ، وفيلتم به رأى فليس فيه حجة ولا ما يחדش فيما عندى ، أما قولكم بيننا وبينها صحار مخوفة ومفاوز مهلكة لجدوبتها وعطشها فنحن نرى التجار على ضعفهم وقلة استعدادهم يشقون تلك الطرق فى كل وقت ويخوضون فى احشائها مشاة وركبانا وجماعة ووحدا ، ولم تنقطع قط ركاب التجار عنها وأنا أقوى أهبة منهم وللجيش همة ليست للقوافل ، وأما قولكم ان من كان قبلنا من الدول الطنانة لم تطمح أبصارهم لذلك ، فاعلموا أن المرابطين صرفوا عنايتهم لغزو الاندلس ومقابلة الافرنج ومن بذلك الساحل من الاروام ، والموحدون اقتفوا سبلهم فى ذلك وزادوا بحرب ابن غانية ، والمرينيون كانت غالب وقائعهم مع بنى عبد الواد بتلمسان ، ونحن اليوم قد انسد عنا باب الاندلس باستيلاء العدو الكافر عليها

جملة ، وانقطعت عنا حروب تلمسان باستيلاء الترك عليها ، ثم ان أهل تلك الدول لو أرادوا ما أردنا لصعب عليهم لان جيوشهم كانت فرسانا راحمة ورماة ناشبة ، ولم يكن عندهم هذا البارود وعساكر النار المرهبة الصواعق ، وأهل السودان ليس عندهم الآن الا الرماح والسيوف ، وهى لا تقاوم هذه المدافع المستحدثة ، فمقاتلتهم سهلة وحربهم أيسر من كل شىء ، وأيضا فان بلاد السودان أنفع من افريقية فلاشتغال بها أولى من منازلة الترك لانه تعب كثير فى نفع قليل ، فهذا جواب ما عرض لكم ، ولا يحملنكم ترك الملوك الاول ذلك على استبعاد القريب واستصعاب السهل ، فانه كم ترك الاول للاخر وقد يفتح على المتأخر بمالم يفتح به على المتقدم . فلما فرغ المنصور من خطابه وأبدى ما فى وطابه استحسن الحاضرون جوابه واستملحوا اشارته واستجادوا رأيه ، وقالوا له : « قد طبقت المفصل وألهمت الصواب ولم تبق لاحد ما يقول ، وصدق من قال : «عقول الملوك ملوك العقول » . فانفصل للجمع على البعث الى السودان ومناهضة أهله ومتابعة المنصور فى رأيه عليه . قلت : وفى كلام المنصور أمران يحتاجان الى مزيد بيان الاول ما قاله من أن المثلثين لم تكن لهم سلطنة على السودان يعنى بهم الذين أقاموا بأرض المغرب ودبروا أمره مثل يوسف بن تاشفين وبنيه فلا يرد عليه أن الامير أبا بكر بن عمر غزا السودان وفتح منه مسيرة ثلاثة أشهر لان ذلك كان بعد رجوعه الى الصحراء واستقراره بها واعراضه عن ملك المغرب بالكلية كما مر ، الثانى ما قاله من أن البارود لم يكن فى تلك الدول الفارطة يعنى به لم يكن موجودا فيها بكثرة بحيث يستغنى به الجيش عن غيره ساعة القتال ، فلا يرد عليه أن ظهوره كان فى أوائل المائة السابعة لاول دولة بنى مرين كما مر اذ ظهوره فى تلك المدة كلا ظهور . والله تعالى أعلم بحقائق الامور .



استجازة المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذاهم



قالوا ومن اعتناء المنصور رحمه الله أنه بعث الى علماء مصر يستجيزهم رغبة في اتصال جبل السند واقتفاء لاحب ذلك الطريق الاسد ، وممن أجازته : الامام العارف بالله أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن البكري رضى الله عنه ، ومن بعض فصول اجازته له قوله يمدح كتاب المنصور اليه ويشني عليه بالفصاحة والبلاغة ما نصه : ولقد وصل الى المثل العديم المشال ، المزرى نظامه يعقود اللاآل ، فاذا به السحر الا أنه الحلال ، ولو ادعى أحد أن من معجزات أحمد صلى الله عليه وسلم أن يمد الله كراما كاتين فى زمان نجله أمير المؤمنين أحمد بكتاب كريم على أسلوب قويم يرسله الى محب قديم من النبعة والصميم لم تكذب دعواه ، فما من خارق فى الامة الا وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم دال على علاه ، وأما ما شرفنى به من طلب الاجازة فالبيت والحديث له ، ولكن رب أب أرسل الى ابنه على يد عبده عطاء فقبله ، واليه بأمره حملة ، وحيث وقع الامر فامر مولانا حتم ، وطاعته غنم فمولانا مجاز من هذا العهد ، من جميع ما يجوز لهذا العبد ، بجميع ما يجوز له وعنه روايته بشرطه للمعتبر عند أهل الامر ، وكذلك مجاز أهل العصر اجازة عام بعام ، ليكون أبناء الوقت جميعا على مائدة فضل مولانا وتحت ظلال ذلك الانعام ، فانه هو السبب فى تحصيل ذلك المرام وكتب تحريرا فى رابع عشر ربيع الثانى سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة ، محمد بن ابى الحسن الصديقى سبط آل الحسن « اه .

وممن استجازه المنصور أيضا من علماء مصر : الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن يحيى المصرى الشهير ببدر الدين القرافى صاحب « ذيل الديباج » فأجازته اجازة عامة بسط فيها القول ثم ختمها بقوله :

أجزت لمن تفضل واستجازا وبادر لاقتنا خير وحازا
وأبرز فى سلوكك العلم حالا به من فضل مولانا يجازى

امام كامل غوث البرايا أمير المؤمنين حوى مجازا
 وذلك بعد تشريفى بأمر وقصد للاجازة فاستجازا
 فبادرت امثالا قدر وسعى ومقتنيا مناهج من أجازا
 وقد أبدت حقا لا محالا بما صار الامام به مجازا
 بفاتحة وسنة خير هدى وسلسلة لمن حاز امتيازا
 بدار الهجرة العليا امام بما أبداه من فضل مجازا
 وأرجو منه يهدى لى دعاء لما أرجوه من خير مجازا
 بخاتمة تبلغنى مراما بجنت أراها لى مفازا
 وأشياخى يبلغهم رضا ويوصلهم الى خير يجازا

تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المامون وما وقع في ذلك



قالوا : وفي شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة جدد المنصور البيعة لولد
 محمد الشيخ الملقب بالمامون وأخذها له على اخوته خصوصا لانهم كانوا فى البيعة
 الاولى قبل البلوغ فأراد أن يستوثق له منهم بعد البلوغ حسما لمادة النزاع بينهم
 فارتحل المنصور من مراکش الى تامسنا وبعث الباشا عزوز بن سعيد الوزكىتم
 ليأتيه بولى عهده المذكور من فاس ، فتوافى القصد ان بتامسنا ، وباشر المنصور
 أخذ البيعة له بنفسه ، وحضر الاعيان وأهل الحل والعقد وأحضر المصحف الكريم
 الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه وهو من ذخائر الخلفاء
 وأحضر الصحيحان للشيخين ، وقرىء ظهير البيعة فتولى قراءته الكاتب أبو فارس
 عبدالعزيز الفشتالى ، وبحضبه القاضى أبو القاسم الشاطبى يفسر ما أشكل من لفظ
 الظهير .

ولما أخذ البيعة آخر أولاده الى غد يومها فكتبوا خطوطهم عقبها بالموافقة على
 ذلك والالتزام له ، ووقع فى رسالة السلطان زيدان لابی زكرياء بن عبد المنه
 الامام بذكر هذه البيعة فقال : « انى حضرت بيعة محمد الشيخ صاحب الفرد

سامحه الله وحضر أولاد السلطان فاستحلفهم له الا أنا ، فإنه رضى الله عنه قال :
« فلان لا يحلف لا يحتاج اليه فيما تأمر به ونفعه وعظم ذلك على اخوتي وظهرت
فى وجوههم لاجله الكراهية » اه .

ولما فرغ المنصور من تجديد البيعة رأى أن يرشح كلا من أولاده للامارة
ويقسم بينهم البلاد حتى لا تبقى فى نفوسهم احن ولا تنطوى قلوبهم على ضغائن ،
فعقد لابی فارس شقيق المأمون على السوس وسائر عمائره وعقد لابی الحسن
على مكناسة وما والاها ، وعقد لزيدان على تادلا ثم عكس ذلك لامر اقتضاه الحال ،
فنقل زيدان الى مكناسة ، ونقل أبا الحسن الى تادلا ، ولم يزالوا على ذلك الى
أن كان من أمرهم ما نذكره فى محله ان شاء الله .



ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله



قالوا : وفى سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة ثار رجل يقال له : الحاج قرقوش
بجبال غمارة وبلاد الهبط وتسمى بأمر المؤمنين ، وكان فى ابتداء أمره حائكا
فتلبس بالزهد والصلاح ، واعتقدته العامة ثم استحال أمره الى ما ذكرنا فأخذ
وقتل وحمل رأسه الى مراکش وانقطعت مادة فسادة فلم تبكه أرض ولا سماء .



بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش حرسها الله



كانت الحرة مسعودة أم المنصور وهى بنت الشيخ الاجل أبى العباس أحمد
ابن عبد الله الوزكىتى الوردزاتى من الصالحات حريصة على اقتناء المفاخر راغبة
فى فعل الخير ، قال فى المنتقى : « وهى التى أنشأت المسجد الجامع بحومة باب
دكالة داخل مدينة مراکش ووقفت عليه أوقافا عظيمة وكان ذلك سنة خمس
وتسعين وتسعمائة . قال : « وهى التى بنت جسر وادى أم الربيع وغير ذلك » اه .

قلت: المرقوم على رخامة قبرها انها بنت جسر ين بلفظ الشنية وتزعم العامة أنها بنت المسجد المذكور كفارة لما انتهكته من حرمة رمضان وذلك أنها دخلت بستانا من بساتين قصورها وهي في حال الوحم فرأت به خوفا ورمانا فتناولتهما وأكلت منهما في نهار رمضان ثم ندمت على ما صدر منها وفعلت أفعالا كثيرة من باب البر رجاء أن يتجاوز الله عنها، ومنها الجامع المذكور، ولا زال النساء والصبيان يسجعون بقصبتها الى الآن فيقولون : عودة أكلت رمضان بالخوخ والرمان ، في اسجاع غير هذه . ولفظ عودة مخفف من مسعودة على طريقة البربر في مثل هذا والله تعالى أعلم .



بعث المنصور ببياة الرخام الى جامع القرويين من فاس حرسها الله



قال ابن القاضي في «المنتقى المقصور» : « ان المنصور رحمه الله بعث الخصة العظيمة سنة ست وتسعين وتسعمائة الى جامع القرويين من فاس مع كرسي من المرمر توضع عليه وزنهما معا مائة قنطار » قال : « وهي : الخصة التي تحت منار الجامع المذكور » وقال ابن القاضي المذكور فيما نقش برقبتها:

امام دار الهدى المنصور شيدني	بحر المكارم من أبناء عدنسان
حزت المفاخر بالمنصور أجمعها	ومن علاه سنام المجد أرساني
من جاء يشكو الظما يوما وقبلني	أغناه ما قد همى من صوب أجفاني
لا تنكرون وجود الدمع من فرح	فالعين تدمع من افراط سلوان
واشرب هنيئا من السلسال لا حرج	معين دمع جرى من فيض خلجاني
فخر السلاطين من أبناء فاطمة	أشاع صيتي الى أطراف عمان
وقد جرت مقلتي تحكى سحابها	كف الخليفة من أبناء زيسان
لا زال للدين والدنيا يسوسهما	ما هيجت عاشقا ورق بأفنان
انشائي في زمن التاريخ واقفه	للدين والاجر بحر الجود سواني

وفي هذه السنة أعنى سنة ست وتسعين وتسعمائة في ذي الحجة منها

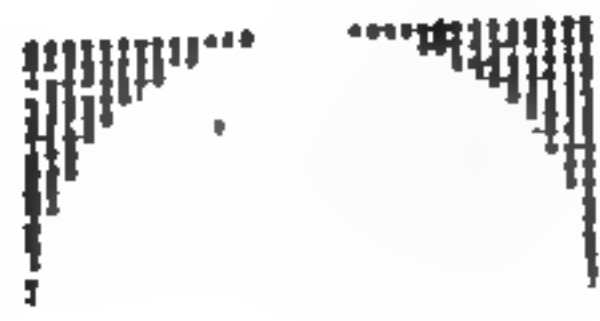
سافر المنصور الى فاس وبينما هو فى الطريق وافقه البشرى بالفتك بنصارى
سبته وان زعيم الفئة الجهادية وهو المقدم أبو العباس أحمد النقيس التطوانى
كمن لهم مع جماعة من الفرسان فى موضع فخرج النصارى بأولادهم
وحشمتهم فحال النقيس بينهم وبين سبته وأوقع بهم وكاد يفتحها ، وسر
المنصور بهذا الخبر ، وأنشده فى ذلك الكاتب أبو عبد الله محمد بن على
الفشتالى بيتين زجر له منهما الفال باستيلائه عليها وهما :

هذه سبته تزف عروسا نحو ناديك فى شباب قشيب
وهى بشرى وأنت كفو اللواتى كافأت بعلمها بفتح قريب
وفى سنة سبع وتسعين وتسعمائة فى اليوم الثانى من ذى القعدة منها
أخلى النصارى مدينة آصيلا حملهم الخوف من كنية المسلمين المرابطة هنالك
على الفرار بانفسهم فتركوها يابا وذهبوا ، وفى ذلك يقول أبو العباس ابن
القاضى :

يا أيها المنصور أبشر بالعللا فالله أبلغ فى العدا المأمولا
أنضاكم سيفا لحقت عداته وبكم غدا سيف الردى مفلولا
وهزمتم الشرك المتين بعزمكم من غير سيف لم يرى مسلولا
وأذيتم كيد الحيث بهمة وفتحتم دار العدا آصيلا
أكرم به من مالك بل صالح أضحى لبارود العدا خليلا
لازال فى أنف الهدى شماوفى عين العلاء يشاكل التكحيفا
وأشار بقوله لبارود العدا خليلا الى ما صنعه النصارى دمرهم الله حين أرادوا
الخروج من آصيلا فانهم حفروا تحت قصبتها وملأوا الحفرة بالبارود وأوقدوا
فتيلا تبلغه ناره عند دخول المسلمين فيهلكون ففر نصرانى منهم وأخبر
المسلمين بذلك فنجاهم الله تعالى من مكيدة الوبال ، وكفى الله المؤمنين القتال،
وقال فى ذلك أيضا الكاتب البارع أبو فارس عبد العزيز الفشتالى شعرا ذكره
صاحب « نشر المثنى » فانظره .

وكان فى زمن المنصور رجال من بيوتات المغرب معروفون بالشجاعة
والنجدة فى قتال العدو ومنهم : أولاد النقيس التطوانيون ، ومنهم : أولاد

أبى الليف من أهل بلاد الهبط ، قال فى « المرأة » : « لما كان المقدم المجاهد الشهيد أبو عبد الله محمد بن الحسن أبو الليف من الشهامة والصرامة على ما كان عليه ومن شدة نكايته فى العدو الكافر الطنجى وبعد أثره فيهم جرت أمور بينه وبين صاحب عمل القصر فسعى به الى المنصور فأمر برحيله الى فاس هو وعشيرته مغربين عن وطنهم كأنهم فى سجن ، فأقاموا بفاس مدة لا أدرى هل هى سنة أم أكثر الا أنى كنت أراه عند الشيخ سنة ثمان وتسعين وتسعمائة وأنا اذ ذاك صغير ، ويعنى بالشيخ والده أبا المحاسن رحمه الله » ، قال : « فضافت عليهم أنفسهم من الاغتراب فقال يوما المقدم عمر ل أخيه كييسره المقدم محمد : لو زرنا الشيخ اليوم وتبركنا به لعل الله يفرج عنا فان الناس كثيرا ما يقصدونه فى المهمات » فقال له : « لا أتحرك فقد غلب اليأس » فسار المقدم عمر وحده فلما وصل الى الشيخ قال له : « قنطستم » قال : « نعم ياسيدى » فقال له الشيخ : « غدا يخلى سبيلكم ان شاء الله » فرجع الى أخيه وأخبره ، فلما كان من الغد بعث اليهم القاضى أبو محمد عبد الواحد الحميدى فلما أتوه قال لهم : أبشروا بالسراح والرجوع الى الوطن ان شاء الله ، فانه قد قرىء الآن بين يدى السلطان بعض الغزوات التى ذكرها ابن النحاس وغناء أبطال المسلمين فيها ، فقال السلطان أو غيره : « ترى هل بقى فى هذا الزمان من يماثلهم » فقالوا : قد بقى من يفعل فعلهم ، وما هم أولاد أبى الليف المغربون هنا يفعلون مثل ذلك » فقال السلطان سرحوهم الى بلادهم ليحموا ثغورهم ويجاهدوا فى سبيل الله فرجعوا الى بلادهم وفعلوا الافاعيل فى عدو الدين الى أن استشهد المقدم محمد فى ربيع الثانى سنة اثنتين وألف ، اه .



غزو السودان وفتح مدينة كاغو ومقتل سلطانها اسحق سكية رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان من مفاوضة المنصور لحاشيته في غزو السودان واستقرار رأيهم على ذلك فبقى المنصور يقدم رجلا ويؤخر أخرى الى أن كانت سنة سبع وتسعين وتسعمائة فقوى عزمه واشتغل بتجهيز آلة الحرب وما يحتاج اليه الجيش من آلة السفر ومهمات ، وأمر القواد أن يقوموا حصص القبائل وما يحتاجون اليه من ابل وخيل وبغال ، وان من أتى بجمل ضعيف يعاقب ، واشتغل هو بتقويم آلة الحرب من المدافع والعجلات التي تحملها والبارود والرصاص والكور ، وتقويم الخشب واللوح والحديد للغلائط والسفن والفلك والمجاذيف والقلوع والبراميل والروايا لحمل الماء ، وألف النجارون ذلك في البر الى أن تألف ، ثم خلعوه وشدوه أحمالا ، واستمر الحال الى أن استوفى المنصور أمر الغزو في ثلاث سنين ، ثم أمر باخراج المضارب والمباني لوادى تانسيفت فخرجت الاحمال والاثقال من مراکش في اليوم السادس عشر من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وتسعمائة ونزلت العساكر وضربت أبنيتها خيلا ورجلا وجعلتها عشرون ألفا ، ومعهم من المعلمين البحرية والطبية ألفان ، فالمجموع اثنان وعشرون ألفا ، وعقد المنصور على ذلك الجيش لمولاه الباشا جوذر وشد أزره بجماعة من أعيان الدولة ، فاختار منهم من يعلم نجده ويعرف كفايته ، وتخير من الابل كل بازل وكوماء ، ومن الخيل كل عتيق وجرداء ، ثم نهضوا في ذي عظيم وهيئة لم ير مثلها ، وذلك في محرم فاتح سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، وكتب المنصور الى قاضى تنبكتوالفقيه العلامة أبى حفص عمر بن الشيخ محمود بن عمر أقيت الصنهاجى يأمره بحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة .

ولما نهضوا من تانسيفت جعلوا طريقهم على ثنية الكلاوى ، ثم على درعة ودخلوا القفر والفيافي فقطعوها في مائة مرحلة ولم يضع لهم عقاب بعير ولا نقص منهم أحد فنزلوا على مدينة تنبكتو ثغر السودان ، فأراحوا بها أياما ، ثم صاروا

قاصدين دار اسحق سكية ، ولما سمع بقدومهم احتشد أمم السودان وقبائلها وقبائل الملثمين المهادين لهم ، وخرج من مدينة كاغو يجر الشوك والمدر يقال : أنه جمع مائة ألف مقاتل وأربعة آلاف مقاتل .

وقال الفشتالى : ولم يقنع بالجيوش التى جمع حتى أضاف اليها أشياخ السحرة وأهل النفط فى العقد وأرباب العزائم والسيمايا ظنا منه أن ذلك يغيه شيئا، وهيهات، ويرحم الله أبا تمام اذ قال فيما يقرب من هذا الحال :

السيف أصدق أنباء من الكتب	فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائح فى	متونهن جلاء الشك والريب
والعلم فى شهب الارماح لامعة	بين الخميسين لا فى السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة	ليست ينبع اذا عدت ولا غرب

ولما تقارب الجمعان عبأ الباشا جوذر عساكره وتقدم للحرب فدارت بهم عساكر السودان من كل جهة وعقلوا أرجلهم مع الابل وصبروا من الضحى الى العصر، وكانت سلاحهم انما هى الحرشان الصفار والرماح والسيوف ولم تكن عندهم هذه المدافع فلم تغن حرشانهم ورماحهم مع البارود شيئا، ولما كان آخر النهار هبت ريح النصر وانهمزم السودان فولوا الادبار . وحق عليهم البوار ، وحكمت فى رقابهم سيوف جوذر وجنده حتى كان السودان ينادون نحن مسلمون نحن اخوانكم فى الدين والسيوف عاملة فيهم وجند جوذر يقتلون ويسلبون فى كل وجه ، وفر اسحق فى شردمة من قومه ولم يدخل قلعة ملكه ، وتقدم جوذر فدخلها واحتوى على ما فيها من الاموال والمتاع ، وكان ذلك منتصف جمادى الاولى من سنة تسع وتسعين وتسعمائة ، ويقال : ان جوذرا لم يدخل مدينة كاغو وانما تحصن بها اسحق فحاصره جوذر فيها ، وكتب الى المنصور بخبر الفتح وبعث اليه بهدية فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا ومائتان من خيار الرقيق وغير ذلك، وامتدت العساكر المنصورة فى بلاد آل سكية تعيث وتفسد وتسبى وتغنم الى أن راسل اسحق الباشا جوذرا فى تقرير الصلح على مال معين يدفعه الآن وضريبة يؤديها كل سنة فأجابه الى ذلك على مشورة المنصور وامضائه اياه، ثم كتب الى المنصور

بذلك وكانت العساكر قد أصابها الحمى ووخامة تلك الارض فاتفق رأى الامراء على الرجوع والاقامة بتبكتو الى أن يأتى جواب المنصور، فرجعوا وأخذ جوذر فى إنشاء الغلاط والسفن وتركيبها ولما أكملها دفعها فى النيل، ولما بلغ المنصور خبر الصلح قام وقعد وقوم عسكرا خفيفا وبعث به مع مملوكه الآخر محمود باشا، وهو أخو جوذر وقلده أمر العساكر كلها، وعزل جوذرا عنها وأمر محمودا أن يبقيه معه، وكتب الى أمراء العسكر يعاتبهم ويوبخهم على ما فعلوه مع اسحق من الصلح، ويؤكد عليهم فى الرجوع الى بلاده واتباعه حيثما توجه ولو عبر النيل الى العدو الاخرى، وخرج محمود باشا فيمن عين له من العسكر فى زمان الحر فى وقت لا يقدر على الحركة فيه الا القطا الكدرى وقطع القفر فى خمسين مرحلة أمر لم يسمع بمثله ونزل بالعساكر على ظاهر تبكتو على رأس سنة الالف فأراح بها ثلاثا ثم شحن الغلاط والسفن والفلك بالرؤساء والملاحين ووجوه الجند فساروا فى النيل وسار السواد الاعظم فى البر الى أن نزلوا على مدينة كاغو قاعدة ملك اسحق سكية، وكان اسحق لما رجعت عنه العساكر الى تبكتو احتشد أمم السودان المجاورين له وتذا مروا وأصفقوا معه على الموت، فلما بلغه رجوع العساكر الى كاغو قصدهم فى جموعه، ولما التقى الجمعان لم يكن الا مقدار فواق ناقة حتى انهزم السودان من سماع رعد المدافع والمهاريس وارتفاع القنابل فى الجو وهدير الطبول، وتبعتهم العساكر يقتلون ويأسرون الى أن غشيهم ظلام الليل ورجعوا بالغنائم والسبي فاستراحوا ثلاثا، ثم أمر محمود أخاه جوذرا أن يقيم بمدينة كاغو عامرا لها، ويترك معه عددا من العسكر يكون ردها لهم، وسار هو فى اتباع اسحق الى أن لحقه بعض الجهات فأوقع به وقعة شنعاء وفر فى فل من قومه فعبر النيل الى العدو الاخرى وتبعه محمود فعبر النيل بعساكره فى السفن وسار خلفه الى أن لحقه فأوقع به وقعة ثالثة احتوى فيها على ما معه من المال والحريم ودخل اسحق القفر فهلك فيه، ثم كانت لمحمود وقعة أخرى مع أخيه الذى كان ينازعه فى الملك فانه قام بعد مهلك أخيه وجمع الجموع وزحف الى محمود باشا فهض اليه محمود فهزمه وقتله فيمن معه من جنده واتباعه، وتمهدت له البلاد واستولى عليها استيلاء كلياً،

وكتب بخبر الفتح الى المنصور .

ولما بلغه هذا الفتح وصورته كان عنده ذلك اليوم عيدا من الاعياد أخرج فيه الصدقات وأعتق الرقاب ، وأقام مهرجانا عظيما بظاهر الحضرة خرج له عامة الناس للفرجة والنزهة وزينت الاسواق وأخرجت المدافع بالنفط وتسابقت الخيول ، وأطعم المنصور الناس عدة أيام ونظم الشعراء قصائدهم ورفعوا أمداحهم ، وأجازهم بما تحدث الناس به دهرا ، وكتب بخبر الفتح وصورته نسخ وجهت الى جميع الآفاق ، وكان مما قيل فى ذلك من الشعر ما أنشده الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالى فقال :

جيش الصباح على الدجا متدفق	فياض ذالسواد ذلك يحرق
وكأنه رايات عسكري التسي	طلعت على السودان بيضا تخفق
لاحت وأفقهم ليال كلسه	كعمود صبح فى الدجا يتألق
نشرت لتطوى منه ليلا دامسا	أضحى بسيفك ذى الفقار يمزق
أرسلتهن جوائحها وجوارحها	فى كل مقلبها غراب ينعمق
وسرت فكان دليلهن اليهم	مشحوذ عزمك والسنان الازرق
لهى الليالى قد جلى أحلاكها	نور النبوة من جبينك يشرق
صعقت بهن رعود نارك صعقة	رجت لصيحتها العراق وجلق
سحقا لاسحق الشقى وحزبه	فلقد غدا بالسيف وهو مطوق
رام النجاة وكيف ذاك وخلفه	من جيش جؤذرك الفضنفر فيلق
جيش أواخره ببابك سيله	عزم وأوله بكاغو محقق
لم يشعروا الا وأسوار الردى	ضربت عليهم من قناك وخندق
كتب لاله على عداتك أنهم	قنص لسهمك غربوا أو شرقوا
ضلت ملوك ساجلوك على العلا	سفها وشأوك فى العلا لا يلحق
أن يشبهوك ولا شبيه يرى لكم	فى الخلق أين من اللجين الزئبق
بشر ملوك الارض أنك فاتح	بالمشرفى على الولا ما غلقوا
وبقاصل لك ذى الفقار مفترق	ما جمعوه وجامع ما فرقوا
دامت طيور السعد وهى غوارد	بالمشتهى لك والمسرة تنطبق

ما دام أصل علاك فى صحف الثنا أصل الفخار وكل غيرك ملحق
 والمشتهى والمسرة بستانان للمنصور ورى بهما هذا الشاعر وسيأتى
 الكلام عليهما . وكان محمود باشا لما استوسق له الامر هنالك بعث بنصف
 جيشه الى المنصور مع هدية عظيمة فيها من الذخائر ما لا يحصى ، من ذلك :
 ألف ومائتان من متخير الرقيق الجوارى والغلمان ، وأربعون حملا من
 التبر ، وأربعة سروج ذهب خالصا ، وأحمال كثيرة من اليانور وقطوط الغالية
 وغير ذلك ، ولما وافى المنصور سر بذلك سرورا عظيما وأمر بعمل المفرحات
 فى بلاد المغرب وتزيين الاسواق غدوة وعشية ثلاثة أيام ، ووفدت عليه الوفود
 من كل ناحية مهنيين له بما منحه الله من الظفر والنصر ، وانتظمت الممالك
 السودانية فى سلك طاعته ما بين البحر المحيط من أقصى المغرب الى بلاد برنو
 المتاخمة لبلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر قال الفشتالى: فكلمة المنصور نافذة فيما بين
 بلاد النوبة الى البحر المحيط من ناحية المغرب وهذا ملك ضخم وسلطان فخم
 لم يكن لمن قبله ، والله يؤتى ملكه من يشاء ، ولما فتح الله عليه ممالك البلاد
 السودانية حمل اليه من التبر ما يعى الحاسيين ، ويحير الناظرين ، حتى كان
 المنصور لا يعطى فى الرواتب الا انصار الصافى ، والدينار الوافى ، وكان باباه
 كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافى دون ما هو معد لغير ذلك
 من صوغ الاقراط والحلى وشبه ذلك ولاجل هذا لقب بالذهبي لفيضان الذهب
 فى أيامه والامور كلها بيد الله .



وفاة أم المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمها الله



كانت الحرة مسعودة هذه من الخيرات الصالحات وتقدم بعض ما ثرها من بناء المسجد الجامع باب دكالة وغيره . وكانت وفاتها سحر يوم الثلاثاء السابع والعشرين من المحرم فاتح سنة ألف ، ومن المستفيض انها ريثت بعد موتها فسئلت ما فعل الله بها فقالت : « غفرلى ، بسبب انى كنت ذات يوم جالسة لقضاء الحاجة فسمعت المؤذن شرع فى الاذان فرددت على ثيابى اعظاما لذكر الله تعالى حتى فرغ المؤذن من آذانه فشكر الله لى ذلك فغفر لى » .

وفى سنة احدى وألف أتى بالفيلة من بلاد السودان الى المنصور، وكان يوم دخولها لمراكش يوما مشهودا برز لرؤيتها كل من بالمدينة من رجال ونساء وشيوخ وصبيان ثم حملت الى فاس فى رمضان سنة سبع وألف . قال فى «نشر المثنى» : كان دخول الفيل الى فاس يوم الاثنين سادس عشر رمضان سنة سبع وألف وبعث المنصور مع الفيل الى ولده المأمون بهدية سنية فيها تحف وأموال عريضة وخرج أهل فاس فى ذلك اليوم للقاء الفيل بنحو مائة ألف نفس . .

قال بعضهم : « وبسبب دخول هذه الفيلة الى المغرب ظهرت هذه العشبة الخبيثة المسماة بتابغ لان أهل السودان الذين قدموا بالفيلة يسوسونها قدموا بها معهم يشربونها ويزعمون أن فيها منافع ، فشاعت منهم فى بلاد درعة ومراكش وغيرهما من بقاع المغرب ، وتعارضت فيها فتاوى العلماء رضوان الله عليهم ، فمن قائل بالتحريم ومن قائل بالتحليل ، ومتوقف ، والعلم فيها عند الله سبحانه ، قاله اليفرنى .

قلت : من تأمل أدنى تأمل فى قواعد الشريعة وآدابها علم يقينا أن تناول هذه العشبة حرام ، لانها من الخبائث التى حرمها الله تعالى على هذه الامة المطهرة ، وبذلك وصفها فى الكتب السالفة اذ قال تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم

بالمعروف وبنهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث .
وبسط هذا المقام : ان تعلم أن الله تعالى اختار هذه الامة من بين سائر
الامم قال تعالى : « كنتم خير أمة اخرجت للناس » واختار لها من الطاعات
وأنواع العبادات ما هو أفضلها ، قال تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » وأفضل تلك
العبادات كلها الصلاة التي هي من الدين بمنزلة الرأس من
سائر الجسد ، ثم اذا أمعنت النظر رأيت الشارع صلوات الله عليه قد بالغ
فى الاحتياط لهذه العبادة الشريفة والاستعداد لها باستعمال كل طيب أمكن ،
واجتناب كل خبيث أمكن ، فشرع أولا الطهارة الكبرى الشاملة لسائر البدن .
وحظر من مقاربة الصلاة وما هو فى معناها حال الخلو عنها ، ثم شرع ثانيا
الطهارة الصغرى المتعلقة باطراف البدن زيادة فى الاعتناء بها لانها تبرز فى
غالب الاحوال فيعلق بها من الاقذار مالا يعلق بغيرها ، وألزم المكلف استعمال
هذه الطهارة عند عروض كل حدث مستقذر حتى الريح والسبب الداعى الى
خروجه ، ثم ندبه الى استعمالها عند القيام الى كل صلاة من الصلوات الخمس .
ثم انا اذا تأملنا أفعال هذه الطهارة وجدناها تشتمل على مبالغات كثيرة
تستدعى غاية النظافة وتنفى كل قدر وان قل ، فشرع الغسل فى أعضاء الوضوء
مكررا ، وشرع مسح شعر الرأس بالماء دفعا لما يعلق به من الغبار ، وشرع
تنيع مسام الوجه بالغسل والتنظيف كالمضمضة والاستنشاق ثلاثا تطيبا للنكهة ،
وشرع مسح الاذنين من ظاهرها وباطنهما حتى الصماخين ازالة لما بداخلهما
من تلك الفضلة ، مع أن الحى ودمعه وعرقه ولعابه ومخاطه كلها طاهرة ، وليس فى
هذا دليل واضح على أن الحكمة فى هذا كله انما هو المبالغة فى النظافة وتطيب
الرائحة والنكهة اذ بذلك يستحق العبد أن يتلبس بالعبادة ويدخل حضرة الرب ،
وشرط للدخول فيها طهارة البدن والثوب والمكان من سائر المستقذرات حتى
يكون على أكمل الحالات بعيدا عن القذر بكل وجه ، ثم لم يكتف الشارع
بهذا حتى شرع السواك عند القيام الى كل صلاة وقال : لولا أن أشق على أمتى
لامرتهم بالسواك عند كل صلاة ، كل ذلك المقصود منه طيب النكهة فانظر

وتأمل اعتناء الشارع بتطيب رائحة فم المؤمن ونكهته حتى في حق الصائم 'ال' « خلوف فمه أطيب عند الله من ريح المسك » هذا كله في حال الصلاة .

وأما خارجها فقد علم من الشرع علما ضروريا أن العبد مطلوب بالمحافظ على هذه الحال والبقاء عليها سائر أوقاته متى قدر على ذلك وتيسر له . وهذا المعنى : ما حرم الله تعالى على هذه الأمة من تناول المستقذرات كاللينة والسائر النجاسات اذ علّة حرمة الاشياء وتناولها اما كونها مستقذرة كالنجاسات اجماعا ، وكالحشرات وما تعافه النفوس على مذهب الشافعية رضى الله عنه ، أو مضرة كالسم والطين ونحوهما مما يضر بالبدن أو ببعض الاعضاء منه ، أو محترمة : اما لذاتها ، كالادمى ، أو لكونها ملكا للغير .

ظاهر . فالشارع له غرض أكيد في اجتلاب الطيبات واجتناب ما يضادها من المستخبثات ، وقد ثبت في الصحيح أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يعمدون في حوائطهم فاذا حضرت الجمعة أتوا الى المسجد وأبدانهم سهكة فأمرهم صلى الله عليه وسلم بالاغتسال عند كل جمعة ، ثم منع كل من تلبس برائحة كريهة كالثوم والبصل والكراث من حضورها ، وحجب الى النبي صلى الله عليه وسلم من دنيانا النساء والطيب ، وندب أمته الى استعماله في المشاهد العامة الجمع والاعياد ونحوها ، وخصال الفطرة انما شرعت لهذا المعنى ففيها كفاية تأملها ، وقال صلى الله عليه وسلم : « ازره المؤمن الى انصاف ساقيه » دفع للسرف والخيلاء ، ولئلا يعلق به شيء من النجاسات والافذار الى غير هذا لو استقصى لطال ، ودل دلالة قطعية على أن المطلوب من العبد أن يكون طيب الرائحة حسن البزّة طاهر البدن والثوب مجانبا لكل خبيث مستقذر وهذه حالة أهل الجنة والعكس بالعكس ، وأنت لا تجد أخبث ولا أقدر من رائحة أفواه شربة الدخان ، ولا أنتن ولا أعفن من نكهات المستفين تابع ، وهذا التن من أقبح العيوب في نظر الشرع حتى انه جعل الخيار الزوجين اذا كان صاحبه أبخر ، فاذا لانشك أن استعمال هذه العشبة في الفم أو الانف من أعظم المحظورات لانها تصدم غرضا كبيرا من أغراض الشارع وتضاده وتنفيه ، وأقول لو كان تنها يعلق ببعض من الاعضاء غير

لكان هينا لكنه يعلق بالفم والانف اللذين وضعهما الحكيم العليم فى وسط الوجه الذى هو أشرف الاعضاء ، فأى مضمضة وأى استنشاق وأى سواك يزيل ذلك اللتن الذى يرسخ فى أنفاس أهلها وأفواههم وخياشيمهم رسوخا لا يماثله شىء . ولقد أفصح العامة عن شدة تنن هذه العشبة وصادفوا الصواب حيث قالوا: ان فضلة الدخان المسماة بالقير تنجس النجاسة هذا الى ما يتبع ذلك من المفسد المتعددة من تغيير عقل متعاطيها حتى أنه اذا انقطعت عنه صار كالمجنون لا يبالى بما يصدر منه ، ومن دخول الشك فى صيامه لان بقايا ذلك الدخان أو ذلك الغبار قد يمتكث فى حلقه الى طلوع الفجر وما بعده ، لان جلهم اذا قرب الفجر والوا استعماله حتى يكون هو خاتمة سحورهم ، وبالجمله ، فلا يستعمل ذلك الا من لا خلاق له ولا يكثر بمروءة ولا دين وهو قاذح فى الشهادة والامامة والله تعالى الموفق بمنه .



نكبة الفقيه ابى العباس احمد بابا السو داني وعشيرته من آل آقيت
والسبب في ذلك



كان بنو آقيت التكروريون من أهل مدينة تبتكتو وممن لهم الوجاهة الكبيرة والرياسة الشهيرة ببلاد السودان دينا ودنيا بحيث تعددت فيهم العلماء والائمة والقضاة وتوارثوا رياسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتى سنة وكانوا من أهل اليسار والسؤدد والدين لا يبالون بالسلطان فمن دونه ، ولما فتح جيش المنصور بلاد السودان أبقاهم الباشا محمود على حالهم الى أن كانت سنة اثنين وألف فكان أهل السودان قد سئموا ملكة المغاربة وآنسوا منهم خلاف ما كانوا يعهدونه من سلطانهم الاول ، وكانت أذنهم مع ذلك صاغية لآل آقيت فتخوف المنصور منهم ، وربما وشى اليه بهم ، فكتب الى عامله محمود بالقبض عليهم وتغريبهم الى مراکش ، فقبض على جماعة كبيرة منهم كان فيها الفقيه العلامة أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد ثلاثة أحامد بن عمر بن

محمد آقيت المدعو : بابا ، صاحب «تكميل الديباج» وغيره من التآليف . وكان فيها أيضا الفقيه القاضي أبو حفص عمر بن محمود بن عمر بن محمد آقيت وغيرهما ، وحملوا مصفدين في الحديد الى مراکش ومعهم حريمهم وانتهبت ذخائرهم وكتبهم .

قال في «بذل المناصحة» : « سمعت الشيخ أبا العباس أحمد بابا يقول : أنا أقل عشرين كتابا وقد نهب لي ست عشرة مائة مجلد ، وكان القبض عليهم في أواخر المحرم سنة اثنتين وألف ، ووصلوا الى مراکش في أول رمضان من السنة المذكورة ، واستقروا مع عيالهم في حكم الثفاف الى أن انصرم أمد المحنة ، فسرخوا يوم الاحد الحادي والعشرين من رمضان سنة أربع وألف ففرحت قلوب المؤمنين بذلك .

ولما دخل الفقيه أبو العباس على المنصور بعد تسريحه من السجن وجده يكلم الناس من وراء حجاب وبينه وبينهم كلمة مسدولة على طريقة خلفاء بني العباس ومن يشبه بهم ، فقال الشيخ : « ان الله تعالى يقول «وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب» وأنت قد تشبهت برب الارباب فان كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الحجاب » فنزل المنصور ورفعت الاستار ، فقال له الشيخ : « أى حاجة لك في نهب متاعى وتضييع كتبى وتصفيدي من تنبكتوا الى هنا حتى سقطت عن ظهر الجمل واندقت ساقى ؟ » فقال له المنصور : « أردنا أن تجتمع الكلمة وأنتم فى بلادكم من أعيانها فان أذعنتم أذعن غيركم » فقال الشيخ أبو العباس : « فهلا جمعت الكلمة بتسرك تلمسان فانهم أقرب اليك منا » فقال المنصور : « قال النبى صلى الله عليه وسلم : «اتركوا الترك ما تركوكم» فامثلنا الحديث » فقال أبو العباس : «ذاك زمان ، وبعده قال ابن عباس : « لاتركوا الترك وان تركوكم » فسكت المنصور وانفض المجلس .

ولما سرح الشيخ أبو العباس تصدر لنشر العلم وأهرع الناس اليه للاخذ عنه ، ولم يزل بمراكش الى أن مات المنصور لانه ما سرحهم حتى شرط عليهم السكنى بمراكش ، ولما توفى أذن ابنه زيدان لآل آقيت فى الرجوع الى

بلادهم بعد أن مات جماعة منهم بمراكش ، وقد كان الشيخ أبو العباس يتشوق الى رؤية بلدته ويسكب العبرات عند ذكرها ولم يئس من روح الله في العود اليها ، وله في ذلك شعر على طريقة الفقهاء . ولما خرج من مراكش قاصدا بلده شيعة أعيان طلبتها فأخذ بعضهم بيده عند الوداع وقرأ قوله تعالى : «ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد» على ما جرت به العادة من قراءتها عند وداع المسافر فيرجع سالما ، فانتزع الشيخ أبو العباس يده بسرعة وقال : «لاردنى الله الى هذا المعاد ولا رجعى الى هذه البلاد » ثم لحق بتبكنو فاستقر بها الى أن مات سنة ست وثلاثين وألف رحمه الله .

تتمة

قد تبين لك بما قصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الاخذ بدين الاسلام من لدن قديم . وانهم من أحسن الامم اسلاما وأقومهم دينا وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلًا ومحبة ، وهذا الامر شائع فى جل ممالكهم الموالية للمغرب كما علمت ، وبهذا يظهر لك شناعة ما عمت به البلوى ببلاد المغرب من لدن قديم من استرقاق أهل السودان مطلقا ، وجلب القطائع الكثيرة منهم فى كل سنة وبيعهم فى أسواق المغرب حاضرة وبادية ، يسمسرون بها كما تسمسر الدواب بل أفحش ، قد تماثل الناس على ذلك وتوالت عليه أجيالهم حتى صار كثير من العامة يفهمون أن موجب الاسترقاق شرعا هو اسوداد اللون وكونه مجلوبا من تلك الناحية ، وهذا لعمر الله من أفحش المناكر وأعظمها فى الدين ، اذ أهل السودان قوم مسلمون فلهم مالنا وعليهم ما علينا ، ولو فرضنا أن فيهم من هو مشرك أو متدين بدين آخر غير الاسلام فالغالب عليهم اليوم وقبل اليوم بكثير انما هو الاسلام ، والحكم للغالب ، ولو فرضنا أن لا غالب وانما الكفر والاسلام متساويان هنالك فمن لنا بان المجلوب منهم هو من صنف الكفار لا المسلمين . والاصل فى نوع الانسان هو الحرية والخلو عن موجب الاسترقاق ، ومدعى خلاف الحرية مدع لخلاف الاصل ، ولا ثقة بخبر الجالين لهم والبايعين لهم لما تقرر وعلم فى الباعة مطلقا مسن

الكذب عند بيع سلعتهم واطرائها بما ليس فيها ، وفى باعة الرقيق خصوصا مما هو أكثر من ذلك ، كيف ونحن نرى أن الذين يجلبونهم أو يتجرون فيهم إنما هم من لا خلاق لهم ولا مروءة ولا دين ، والزمان كما علمت وأهله كما ترى ، ولا يعتمد أيضا على قول ذلك العبد نفسه أو الأمة نفسها كما نص عليه الفقهاء لاختلاف الأغراض والأحوال فى ذلك ، فإن البائع لهم قد يضربهم حتى لا يقرؤن إلا بما لا يقدح فى صحة بيعهم ، وقد يكون للعبد أو الأمة غرض فى الخروج عن ملك من هو بيده بأى وجه كان ، فيهبون عليه أن يقر على نفسه بالرقية كى ينفذ بيعه عاجلا الى غير ذلك من الأغراض ، وقد استفاض عن أهل العدل وغيرهم أن أهل السودان اليوم ، وقبل اليوم ، يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ، ويسرقونهم من الأماكن النائية عن مداشرهم وعمرانهم ، وإن فعلهم ذلك كفعل أعراب المغرب فى اغارة بعضهم على بعض واختطاف دوابهم ومواشيهم أو سرقتها والكل مسلمون ، وإنما الحامل لهم على ذلك قلة الديانة وعدم الوازع ، فكيف يسوغ للمحتاط لدينه أن يقدم على شراء ما هو من هذا القبيل ، وكيف يجوز له التسرى بانائهم ، وفى ذلك ما فيه من الأقدام على فرج مشكوك .

وقد قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضى الله عنه : فى كتاب « الحلال والحرام » من « أحياء علوم الدين » ما نصه : اعلم أن كل من قدم اليك طعاما أو هدية أو أردت أن تشتري منه أو تنهب فليس لك أن تفتش عنه وتسال وتقول : هذا مما لا أتحقق حله فلا آخذه بل أفتش عنه ، وليس لك أيضا أن تترك البحث فتأخذ كل ما لا تتيقن تحريمه ، بل السؤال واجب مرة ، وحرام مرة ، ومندوب مرة ، ومكروه مرة ، فلا بد من تفصيله والقول الشافى فيه : هو أن مظنة السؤال مواقع الريبة ، ثم أطال رضى الله عنه فى تقرير ذلك ، وصرح بأن البائع إذا كان متهما على ترويج سلعته لا يعتمد على قوله . فإذا كان هذا فى الأموال فكيف باسترقاق الرقاب وملك الألباع الذين للشارع بهما مزيد اعتناء كما هو معلوم من الشرع وأصوله .

وقد ذكر الشيخ أبو العباس أحمد بابا فى تقييده الموضوع فى هذه المسئلة ،

سى «بمعراج الصعود» تفصيلا حتم به كلامه وذكر قبائل من كفار السودان
 موشى وبعض فلان وغيرهم : وقال : أن كل من كان من هؤلاء القبائل
 ز استرقاقه . وكذلك ذكر ولى الدين ابن خلدون : « ان وراء النيل
 من السودان يقال لهم مللم » قال : « وهم كفار ويكتون فى وجوههم
 داغهم » قال : « وأهل غانة والتكرور يغيرون عليهم ويسبونهم ويبيعونهم
 ر فيجلبونهم الى المغرب وهم عامة رقيقهم وليس وراءهم فى الجنبوب
 ن يعتبر » الى آخر كلامه ، لكن هذا التفصيل الذى ذكره الشيخ أبو
 ل انما ينفع أهل تلك البلاد المجاورين لهم والمطلعين على المجلوب منهم
 غيرهم ، فأما أهل المغرب الذين هم من وراء وراء وبينهم وبين أرض
 ان مهامه فيح وقفار لا يمرها الا الريح ، فمن الذى يحقق لهم ذلك ،
 لنا انه لا يجوز الاعتماد على قول الجالين لهم ، وأيضا فمن لنا بأن أولئك
 ، لا زالوا على كفرهم الى الان على أن الناس اليوم لا يلتفتون الى ذلك
 ، ومهما رأى أحدهم العبد أو الامة يسمر فى السوق الا ويقدم على
 غافلا عن هذا كله لايسأل الا عن عيوب بدنه لافرق فى ذلك بين أسود
 ض وغيرهما ، بل صار الفسقة اليوم وأهل الجراءة على الله يختطفون
 الاحرار من قبائل المغرب وقراء وأمصاره ويبيعونهم فى الاسواق جهارا من
 كير ولا امتعاض للدين ، وصار النصارى واليهود يشترونهم ويسترقونهم
 منا ومسمع ، وذلك عقوبة من الله لنا لو اعتبرنا فانا لله وانا اليه راجعون
 دينا به فى ديننا .

فالحاصل أنه لما كان الاصل فى الناس هو الحرية كما قلنا ، وعلم تواترا
 ، بلاد السودان الموالية لنا جلهم أو كلهم مسلمون ، واستفاض عن أهل
 وغيرهم انهم يغير بعضهم على بعض ويختطف بعضهم أبناء بعض ويبيعونهم
 عدوانا ، ورأينا بالمشاهدة أن الجالين لهم والمتجرين فيهم انما هم من لا
 لهم ولا دين لهم لم يبق لنا توقف فى أن الاقدام على شراء هذا الصنف
 فى الشرع والمقدم عليه مخاطر فى دينه ، وأما وضع يد الجالين لهم
 لا تكفى شرعا فى جواز الاقدام على شرائهم منهم لضعف هذه العلامة

بما احتف بها من القرائن المكذبة لها، وليستفت المرء قلبه فقد قال صلى الله عليه وسلم « استفت قلبك وإن أفنوك » فانه متى رجع الى قلبه في هذه المعضلة لا ولا يقدر أن يحوم حول هذا الحمى بحال ، ثم تنزل عن هذا كله ونقول : لو لم يكن في ذلك الا الشبهة القوية وفساد الزمان ورقة ديانة أهله لكان في هذه الامور الثلاثة مع ملاحظة سد الذريعة الذي هو أحد أصول الشريعة لا سيما عند الامام مالك رضى الله عنه ما يقتضى وجوب التخلي عن ملابسة هذه المفسدة المزرية بالعرض والدين ، فنسأله سبحانه أن يوفق من ولاه أمر العباد، لحسم مادة هذا الفساد ، فان سبب الاسترقاق الشرعى الذى كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح مفقود اليوم ، وهو السبب الناشئ عن الجهاد المقصود به اعلاء كلمة الله تعالى ، وسوق الناس الى دينه الذى اصطفاه لعباده ، هذا هو ديننا الذى شرعه لنا نبينا صلى الله عليه وسلم وخلافه خلاف الدين وغيره غير المشروع والتوفيق انما هو بيد الله « ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » .



بناء قصر البديع بحضرة مراکش حرسها الله



قال فى « مناهل الصفا » : كان السبب الحامل للمنصور على بناء البديع وانفاقه فيه جلائل الاموال ونفائس الذخائر هو أنه أراد أن تكون لاهل البيت به مآثرة وشفوف على دولة البرابر من المرابطين والموحدين ومن بعدهم ، فان كلا من أهل تلك الدول أبقي بناء يحيا به ذكره ، ولم يكن لاهل البيت فى ذلك المعنى شئ تزداد به حظوتهم مع أنهم أحق الناس بالمجد والسؤدد الاثيل فتصدى لبنائه بقصد تشريف أهل البيت لان البناء كما قيل :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن النبى
ان البناء اذا تعاضم شأنه أضحي يدل على عظيم الشأن
قلت : هذا اعتذار بارد كما لا يخفى .

ولما أراد المنصور أن يشرع فيه أحضر أهل العلم ومن يتسم بالصالح فتحينوا أو ان الابتداء ووقت الشروع فيه فكان ابتداء الشروع في تأسيسه في شوال خامس الأشهر من خلافته سنة ست وثمانين وتسعمائة ، واتصل العمل فيه الى سنة اثنتين وألف . ولم يتخلل ذلك فترة . وحشد له الصناع حتى من بلاد الفرنجة ، فكان يجتمع كل يوم فيه من أرباب الصنائع ومهرة الحكماء خلق عظيم حتى كان بابه سوق عظيم يقصده التجار ببضائعهم ونفائس اعلانهم ، وجلب له الرخام من بلاد الروم ، فكان يشتريه منهم بالسكر وزنا بوزن على ما قيل .

وكان المنصور قد اتخذ معاصر السكر ببلاد حاحة وشوشاوة وغيرهما حسبما ذكره الفشتالي رحمه الله « في المناهل »

وأما جبصه وجيره وباقي أنقاضه فانها جمعت من كل جهة وحملت من كل ناحية حتى انه وجدت بطاقة فيها أن فلانا دفع صاعا من جير حملة من من تنبكتو وظف عليه في غمار الناس .

وكان المنصور مع ذلك يحسن الى الاجراء غاية الاحسان ويجزل صلة العارفين بالبناء ويوسع عليهم في العطاء ويقوم بمؤن أولادهم كي لا تشوف نفوسهم وتشعب أفكارهم .

وهذا البديع دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائقة الهيئـة واحتف بها مصانع آخر من قباب وفصور ودور فعظم بذلك بناؤه وطالت مسافته ولا شك أن هذا البديع من أحسن المباني وأعجب المصانع يقصر عنه شعب بوان وينسى ذكر غمدان ، ويبخس الزهراء والزاهره ، ويبرى بقباب الشام واهرام القاهرة ، وفيه من الرخام المجزع والمرمر الابيض والاسود ما يحير الفكر ويدهش النظر وكل رخامة طلى رأسها بالذهب الذائب وموه بالنظار الصافى وفرشت أرضه بالرخام العجيب النحت الصافى البشرية ، وجعل في أضعاف ذلك الزليج المتنوع التلوين حتى كأنه خمائل الزهر ، أو برد موشى من عمل صنعا وتستر ، وأما سقوفه فتجسم فيها الذهب وطلت الجدران به مع بديع النقش ورائق الرقم بخالص الجبص فتكاملت فيه المحاسن ، وأجرى بين قبابه ماء غير آسن ، وبالجملـة فان هذا البديع كان من المباني المتناهية البهاء والاشراق

المباهية لزوراء العراق ومن المصانع التي هي جنة الدنيا وفنتة المحيا ، ومنتهى الوصف وموقف السرور والقصف :

كل قصر بعد البديع يسدّم فيه طاب المجنى وطاب المشم
منظر رائق وماء نيسر وثرى عاطر وقصر أشم
ان مراكشا به قد تباهت مفخرا فهي للعلا الدهر تسمو
وبه من الاشعار المرقومة في الاستار ، والابيات المنقوشة في الجهات ،
على الحشيب والزليج والجبص ما يسر الناظر ويروق المتأمل ويبهز العقول ،
وعلى كل قبة ما يناسبها ، وفي بعض القباب مفاخرة على لسانها المقابلتها وتتبع ذلك
يطول لكن لا بأس أن نلم هنا بشمالة من ذلك الحوض ونخوض في بحار
تلك البدائع بعض الحوض ، اذ في ذلك عبرة لمن اعتبر ، وترويح للقلوب
بكيفية فعل الدهر بمن غبر ، فمن ذلك ما نقش خارج القبة الخمسينية لان فيها
خمسین ذراعا بالعمل من انشاء الكاتب البليغ أبی فارس عبد العزيز الفشتالى على
لسان القبة المذكورة .

سموت فخر البدر دونى وانحطا
وصفت من الاكليل تاجا لمفرقى
ولاحت بأطواقى الثريا كأنها
وعديت عن زهر النجوم لانتسى
وأجريت من فيض السماحة والندى
عقدت عليه الجسر للفخر فارتمت
ينفض ما بين الغروس كأنه
حواليه من دوح الرياض خرائد
اذا أرسلت لدن الفرع وفتححت
يرنحها من النسيم اذا سرى
يشق رياضا جادها الجود والندى
وسالت بسلسال اللجين حياضه
تطلع منها وسط وسطاه دمية

وأصبح قرص الشمس فى أذنى قرطا
ونيطت بى الجوزاء فى عنقى سمطا
نثر جمان قد تتبعته لقطا
جعلت على كيوان رحلى منحطا
خليجا على نهر المجرة قد غطيا
اليه وفود البحر تغرف ما أنطا
وقد رقرقت حصباؤه حية رقطا
وغيد تجر من خمائلها مرطيا
جنى الزهر لاح فى ذوائبها وخطا
كما مال نشوان تشرب اسفطيا
سواء لديها الغيث أسكب أم أبطا
بحارا غدا عرض البسيط لها شطا
هى الشمس لاتخشى كسوفها ولا غمطا

حكت وحباب الماء فى جنباتها
 اذا غازلتها الشمس ألقى شعاعها
 توسمت فيها من صفاء أديمها
 اذا اتسقت بيض القباب قلادة
 تكفنى بيض الدمى فكأنها
 قدود ولكن زادها الحسن عريها
 سمت صعدا تيجانها فتكسرت
 فيالك شأوا بالسعادة آهـ
 وكعبة مجد شادها العز فانبرت
 ومسرح غزلان الصريم كناسها
 فلكن به ما طاب لا الاثل والخمطا
 ثراه من المسك الفتيت مدبر
 وان باكرته نسمة ينسرى بها
 أقرت له الزهراء والخلد وانثنت
 جناب رواق المجد فيه مظنـب
 امام يسير الدهر تحت لوائهـ
 وفتاح أقطار البلاد بفيلق
 تطلع من خرصانه الشهب فانشنت
 كئائب نصران جرت للمـة
 اذا ما عقدن راية علوية
 فما للسما تلك الالهة انما
 يطاوع أيدي العلوات عنانها
 يد لامير المؤمنين بكفها
 أذار جدارا للعلـا وسرادقا
 وقال أيضا مما كتب بداخل القبة المذكورة :
 جمال بدائعى سحر العيونـا
 ورونق منظرى بهر الجفونـا
 سنا البدر حل من نجوم السماوسطا
 على جسمها الفضى نهرا بها لطا
 نقوشا كأن المسك ينقطها نقطـا
 فانى لها فى الحسن درتها الوسطا
 عذارى نضت عنها القلائد والريطا
 وأجمل فى تنعيمها النحت والخرطا
 قوارير أفلاك السماء بها ضغطـا
 بأكنافه رحل العلا والهدى خطا
 تطوف بمغناها لامانى الورى شوطا
 حنايا قباب لا الكتيب ولا السقطا
 ووسدن فيه الوشى لالسدر والارطا
 اذا مازجته السحب عادبها خلطنا
 الى كل أنف عرف غبره قسطا
 أووين كسرى الفرس تغطه غبطا
 على خير من يعزى لخير الورى سبطا
 وترسى سفائن العلا حيثما خطا
 يفلق هامات العدا بالطبى خبطا
 ذوائب أرض الزنج من ضوءها شمطا
 جرت قبلها الاقدار تسبقها فرطا
 جعلن ضمان الفتح فى عقدها شرطا
 سنايكها أبقت مثالا بها خطا
 فيعتاض من قبض الزمان بها بسطا
 زمام يقود الروم والفرس والقبطا
 يحوط جهات الارض من رعيه حوطا

وقد حسنت بقوسى واستطارت
وأطلع سمكى الأعلى نجوما
وجوى من دخان الند ألقى
علوت دوائر الافلاك سبعا
فصغت من الالهة والحنايا
تكنفى حياض مائحات
يقيد حسنهما الطرف انفساحا
تدافع نهريها نحوى فلما
وقد نشر الحجاب على سماها
فخرت وحق لى لما اجتبانى
هو المنصور حائز خصل سبق
وليث وغى اذا زار امتعاضا
اذا أمت كتابه الاعلى
يدير عليهم من كل حرب
امام بالمقارب لاح شمسنا
بقيت بذى القصور الفر بسدرا
تحف بكم عواكف عند بايى
لك البشرى أمير المؤمنين ادا
وقال أيضا مما كتب فى بهوها بمزمر أسود فى أبيض :

لله بهو عز مبه نظير
رصفت نقوش حلاه رصف قلائد
فكانها والتبر سال نخلها
وكان أرض قراره ديباجة
واذا تصاعد نده نوا نفى
شاو القصور قصورها عن وصفه
فاذا أجلت اللحظ فى جنباته
سنا يعشى عيون الناظرينا
ثواقب لا تغور الدهر حيننا
على أرض الغياهب والدجوننا
لداك الدهر ما ألفت سكوننا
أساور والخلال والبريننا
أمامى والشمال واليميننا
ويجرى الفلك فيها والسفيننا
علاه البحر فى غدا دفينا
لآلى تزدرى العقد الثميننا
لمجلسه أمير المؤمنيننا
وبانى المجد بنينا مكيننا
بروع زئيره هندنا وصيننا
بعن برعه جيشنا كميننا
تدفعهم رحي أو منجنونا
بها الشرق اكسى نورنا مييننا
تلوح بأفقهن مدى السنيننا
ملائكة كرام كاتبيننا
خلوها مع سلام آميننا

لما غدا كالروض وهو نظير
قد نضتها فى النحور الحور
وشى وفقة تربها كافور
قد زان حسن طرازها تشجير
أنماطه نور به مطنور
سيان فيه خورنق وسدير
يرتد وهو بحسنه محسور

وكان موج البركتين أمامه
 صفت بصفقتها تماثل فضة
 فتدير من صفو الزلال معللا
 ما بين آساد يهيج زئيرها
 ودحت من الانهار أرض زجاجة
 راقّت فمن حصبتها وفواقع
 يا حسنه من مصنع فبهـاؤه
 وكأنما زهر الرياض بجنبهـه
 ولدسته الاسمى تخير رصفه
 ملك أناف على الفراقد رتبة
 قطب للخلافة تاج مفرق دولة
 وجرى الى أقصى العراق لرعبها
 نجل النبي ابن الوصى سليل من
 بحر الندى لكنه متموج
 طود يخف حلمه ووقاره
 دامت معاليه ودام ومجده
 وتعاهدته من الفتوح بشائره
 ما زال منزل سعده يرتاده
 وجرت به مرحا جياذ مسرة

حركات سحب صافحته دبـور
 ملك النفوس بحسنها تصوير
 يسرى الى الارواح مهـ سرور
 وأساود يعلو لهن صفير
 وأضلها فلك يضيء منير
 يطفو عليها اللؤلؤ المنثور
 باهى نجوم الافق وهى تنور
 حيث التفت كواكب وبـدور
 فخر الورى وامامها المنصور
 وأقله فوق السماك سريـر
 رميت بجحفلها اللهام الكسور
 جشيت على جسر الفرات عبـور
 حقن الدماء وعف وهو قدير
 سيف العلا لكنه مطـرور
 ولجيشه يوم النزال ثيـر
 طوق على جيد العلا مـزورور
 يغدو عليه بها مسا وبكـور
 نصر يرف لواؤه المنشور
 وأدار كأس الانس فيه سمير

وقال بعض الكتاب مما نقش فى عضادتي باب القبة الخمسينية المذكورة

يا ناظرا بالله قف وتأمل
 واذا نظرت الى الحقيقة فلتقل
 وانظر الى الحسن البديع الاكمل
 السر فى السكان لا فى المنزل

وقال بعض الكتاب ايضا مما طرزت به الاستار المذهبة المحكمة الصنعة

لتستر بها النواحي الاربع من القبة الخمسينية وتسمى هذه الاستار عند أهل
 المغرب بالحائطي ففي الجهة الاولى :

وأدر على حسنى حميا الكاس
لم تغذى بالعارض البجاس
ملى وان يجرى على مقياسى
تأوى الى كفى ظباء كناس

تزرى بغصن البانة الميـاس
ونظرت من شزر الى الكناس
فخرا بمخترعى أبى العباس
بفتى سواء مراتب وكراس

ورماهم بالذل والاعتـاس
ليث الحروب مسعر الاوطاس
قطب الجمال أخو الندى والباس
منه الوهاد بعاطر الانفاس

يعشى سناه نواظر الجلاس
أبهى من الاعياد والاعراس
ويقىم منبـاه على الاساس
دور الندى فى جيده المياس

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

وأرض النديم أهله وشموسا
تلق الفراقـد فى حماى جلوسا
لا ترتضى غير النجوم جليسا
منى على بسط الرياض عروسا

متع جفونك فى بديع لباسى
هذى الربا والروض من جرعائها
انى لروض أن يروق بهاؤه
فالروض تغشاه السوام وانما
وفى الجهة الثانية :

من كل حسنا كالقضب اذا انشى
ولقد نشرت على السماك ذوائبى
وجررت ذيلى بالمنجرة عابثا
ما نيط مثلى فى القباب ولا ازدهت
وفى الجهة الثالثة :

ملك تقاصرت الملوك لعـزه
غيث المواهب بحر كل فضيلة
فرد المحاسن والمفاخر كلها
ملك اذا وفى البلاد تأرجت
وفى الجهة الرابعة :

واذا تطلع بدره من هالة
أيامه غرر تجات كلها
لا زال للمجد السنـى يشده
ما مال بالغصن النسيم وكللت

وقال ابو فارس الفشتالى مما كتب على المصرية المطلة على الرياض المرتفعه
على القبة الخضراء من بديع المنصور ، وكان انشأها فى جمدى الاولى من
سنة خمس وتسعين وتسعمائة :

باكر لدى من السرور كؤسا
واعرج على غرقى المنيف سماؤها
واذا طلعت بأوجها قمر العلا
شرق القصور بريقها لما اجتلت

واعترضت بالمنصور أحمد ضيغما
ملك أرى كل الملوك ممالكها
وهناك يا شرف الخلافة دولة
وقال أيضا مما كتب في بعض المباني البديعية :

معاني الحسن تظهر في المغاني
مشابه في صفات الحسن أضحيت
بكل عمود صبح من لجين
مفصلة القدود مثلثات
تردت سابري الحسن يزرى
وتعطو الخيزرانة من حماها
لمجدك تنمى لكن نماها
يدين لك ابن ذى وزن ويعنو
غدت حرما ولكن حل فيها
مبان بالخلافة آهلات
هى الدنيا وساكنها امام
قصور مالها فى الارض شبه
وقال مما نقش فى بعض الابواب :

هذى وفود السعد نحوى ترتضى
وسمت الى عفاة عرفك مثل مل
حطت بمصراعى السعود بشائرا
وأوان صنعى أن تقول ولا تبلى
وقال الفشتالى ١١ عرضت عليه هذه الايات استحسناها الا أنه كره لفظة
جنة وتغير منها كثيرا ، وقال الوزير الاديب أبو الحسن على بن منصور
الشيظلى مما كتب على مباح قبة الزجاج :

ان شئت تاريخ اكمال البديع ففصل ايوان أحمد ايوان السعادات

وقال الوزير المذكور مما نقش على أحد ابواب البديع :

باب أتى كبراعة استهلال وكانما انقصر القصيد التـالى
ولذلك سمى بالبديع وجاء بال اغراق والتجنيس والايفـال
وأتى التمام فقلت فى تاريخه بيتا بلا عقد ولا اشكال
صرح على تقوى من الله انبى فى طالع للسعد والاقبال
وقال أيضا فى تمام البديع مهنتا :

يا مليكا ملكه فيمن ملك كطلوع الفجر من بعد الخلك
تم هذا القصر فاسكنه على حسن حال بدوام الملك لك
وكان الفراغ من تمام البديع سنة اثنتين وألف ، وفى تاريخه يقول
الوزير المذكور وهو مما نقش باب الرخام أحد أبواب البديع :

الحسن لفظ وهذا القصر معناه ياما أميلح مرآه وأبهـاه
فهو البديع الذى راقى بدائمه وطابق اسم له فيه مسمـاه
صرح أقيمت على التقوى قواعد ودل منه على التاريخ معناه
ولاح أيضا وعين الحفظ تكلاه تاريخه من تمام قل هو الله

قال فى نفع الطيب : « اخترع المنصور من المصانع ثلاثة أشياء فجاءت
غريبة الشكل بديعة الحسن ، وهى : البديع ، والمسرة ، والمشتهى ؛ وفيهما
يقول المنصور موريا :

بستان حسنك أبدعت زهراته ولكم نهيت القلب عنه فما انتهسى
وقوام غصنك بالمسرة ينتهى يا حسن رمان به للمشتهى « اهـ

قال اليفرنى : والذى ذكره صاحب كتاب البيان المغرب عن أخبار
المغرب ، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن عذارى الاندلسى حسبما رأيت
فى السفر الثانى منه : « أن أول من أنشأ المسرة التى بظاهر جنان الصالحية
عبد المؤمن بن على كبير الموحدين » قال : « وهوبستان طوله ثلاثة أميال وعرضه
قريب منها فيه كل فاكهة تشتهى وجلب اليه الماء من أغمات واستنبط له عيوننا
كثيرة » .

قال ابن اليسع : « وما خرجت أنا من مراکش فى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة الا وهذا البستان الذى غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنة على رخص الفاكهة بمراكش » اه ولعل المنصور جدد معالم المسرة بعد اندراسها ، وأفاض سجال الحياة على ميت غراسها ، وكان المنصور يفتخر بالبديع كثيرا وينوه بقدره ، وفى ذلك يقول أبو فارس الفشتالى :

هذا البديع يعز شبه بدائع أبدعتهن به فجاء غريبا
أضى الغزاة حسنه حسدا له أبدى عليها للاصيل شحوبا
وانقضت الزهر المنيرة اذ رأت زهر الرياض به ينور عجيا
شيدتهن مصانعا وصنائعا أنجزن وعدك للعلا المرقوبا
وجريت فى كل الفخار لغاية أدركهن وما مسست لغوبا
فانعم بملكك دام فيه مؤبدا تجنى به ثمن النعيم رطيبا

ولما أكمل المنصور البديع وفرغ من تنميق برده وتطريز حلقه صنع مهرجانا عظيما ودعا الاعميان والاكابر فقدم لهم من ضروب الاطعمة وصنوف الموائد ، وأفرغ عليهم من العطايا ومنحهم من الجوائز ما لم يعهد منه قبل ذلك ، وكان ممن دخل فى غمار الناس رجل من السهاليل ممن كانت له شهرة بالصلاح فى الوقت فقال له المنصور مباسطا : « كيف رأيت دارنا هذه يا فلان ؟ » فقال له : « اذا هدمت كانت كدية كبيرة من التراب ، فوجم لها المنصور وتطير منها . وتحكى هذه الحكاية عن غير المنصور فالله أعلم .

قال اليفرنى : وقد ظهر مصداق ذلك على يد السلطان المظفر المولى اسمعيل ابن الشريف فانه أمر بهدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف لموجب يطول شرحه فهدمت معالمه ومحيت مراسمه ، وفرق ما كان به من جموع الانس ، وعاد حصيدا كان لم يغن بالامس ، حتى صار مرعى للكلاب والمواشى ووكرا للصدى والبوم ، وحق على الله أن لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه ، ومن العجائب أنه لم يبق بلد من بلاد المغرب الا ودخله شىء من أنقاض البديع ، ولقد تذكرت بهذا ما حكاه بعض مؤرخى الاندلس : أن الزاهرة التى بناها المنصور بن أبى عامر ، وهى من عجائب الدنيا ، مر عليها فى أيام المنصور بعض أهل البعائر وهى فى نهاية

العمران والازدهاء بسكانها ، فقال : « يادار فيك من كل دار فجعل الله منك
فى كل دار ، قال : « فضرِب الدهر ضرباته وسلط عليها أيدي العدوان فهدمت
وخربت وتفرقت محاسنها حتى نقل بعض أنقاضها الى العراق .

قال اليفرنى : ولما دخلت البديع مقفلى من الرحلة ورأيت ما هائنسى
أنشدت أبياتا أنشدها الشيخ محبى الدين بن عربى فى كتاب المسامرة لما دخل
الزاهرة فوجدتها متهدمة وهى :

ديار بأكناف الملاعب تلمع	وما أن بها من ساكن فهمى بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب	فتصمت أحيانا وحيناً ترجع
فخاطبت منها طائرا متفردا	له شجن فى القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكى	فقال على دهر مضى ليس يرجع

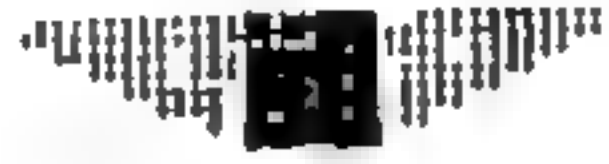
وأنشدت ما أنشده ابن الأبار فى تحفة القادم :

قلت يوما لدار قوم تفانوا	أين سكانك الكرام علينا
فأجابت هنا أقاموا قليلا	ثم ساروا ولست أعلم أيننا

ثم قال اليفرنى رحمه الله :

لطيفة : تأملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة
وسبعة عشر ، وهذا القدر هو الذى بقى فيه البديع قائما ، فانه فرغ منه سنة
اثنين وألف ، وشرع فى هدمه سنة تسع عشرة ومائة وألف ، فمدة عمره
مائة وسبع عشرة سنة على عدد اسمه وذلك من غريب الاتفاق فسبحان من
دقت حكمته ، وجلت قدرته ، وعمت رحمته ، لا اله الا هو الحكيم العليم .

ثورة الناصر بن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله



كان الناصر هذا في حياة أبيه عبد الله الغالب بالله خليفته على تادلا ونواحيها ، ولما توفي أبوه المذكور وقام بالامر أخوه المتوكل كما استوفينا خبره قبض على الناصر فاعتقله فلم يزل معتقلا عنده سائر أيامه الى أن قدم المعتصم بجيش الترك وانتزع الملك من يد المتوكل كما مر : فصرح الناصر من اعتقاله وأحسن اليه ، فلم يزل عنده في ارغد عيش الى ان توفي المعتصم يوم وادي المخازن . وأفضى الامر الى المنصور ففر الناصر الى آصيلا ، وكانت للنصارى يومئذ ، ثم عبر البحر منها الى الاندلس فكان عند طائفة قشتالة مدة طويلة الى ان سرحه الطائفة الى المغرب بقصد تفريق كلمة المسلمين واحداث الشقاق بينهم ، فخرج الناصر بمليية ونزل بها لثلاث مضت من شعبان سنة ثلاث وألف ، وتسامعت به الغوغاء والطلغام من أهل تلك البلاد فأقبلوا اليه يزفون ، فكرت جموعه وتوفرت جيوشه واهتز المغرب بأسره لذلك .

وذكر اليفرنى في « الصفوة » : « أن الفقيه أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار كتب كتابا الى الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد بن علي بن ريسون من أهل بلاد غمارة وكان مسموع الكلمة بها يحضه على الاستمسك بدعوة المنصور وأن يلزم الطائفة له ، فوقع الكتاب في يد المنصور فعرف للشيخ القصار حقه ، ولما قد عليه بعد ذلك وصله وولاه الفتوى والخطبة بجامع القرويين وتفرقة صدقة المساكين . »

ثم ان الناصر خرج من مليية قاصدا تازا فدخلها واستولى عليها ونزعت اليه القبائل المجاورة لها كالبرانس وغيرهم ، فتألبوا عليه وتمالأوا على اعزازه ونصره ، ولما دخل تازا طالب أهلها بالمكس وقال لهم : « ان النصارى يغرمون حتى على البيض . » ولما سمع المنصور بخبره أقلقه ذلك وتخوف منه غاية ، لان الناصر اهتز المغرب لقيامه وتشوقت النفوس اليه لميل القلوب عن المنصور لشدة وطائه واعتسافه للرعية ،

قال فى « ابتهاج القلوب » فى ترجمة الولى الصالح أبى الحسن على بن منصور البوزيدى المعروف بابى الشكاوى دفين شالة : « انه كان سائرا يوما على بغلة ومعه أصحابه فقال لهم : « يافقراء أستمعون ما تقول بغلتى ؟ انها تصيح بالناصر لمولاي الناصر وكذلك الشجر والحجر وانى أرى غير ذلك » فكان الامر كما قال ؛ اهتز لقيام الناصر كل شىء ثم قتل عن قريب ولم يتم له أمر ، اه
ثم ان المنصور بعث اليه جيشا وافرا فهزمهم الناصر واستفحل أمره وتمكن ناموسه من القلوب ، فأمر المنصور ولى عهده المأمون بمنازلته فخرج اليه من فاس فى تعبئة حسنة وهيئة تامة فلما التقى الجمعان كانت الدبرة على الناصر بالموضع المعروف بالحاجب ، ومر على وجهه فاحتل بالجاية ، بلدة من عمل بلاد الزيب ، فلحق به ولى العهد فلم يزل فى مقاتلته الى أن قبض عليه فأزال رأسه وبعث به الى مراکش . وكان ذلك سنة خمس وألف ، وقيل سنة أربع وألف .
قال فى « نشر المثنى » : « كان مقتل الناصر وادخاله مقطوع الرأس الى فاس يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان سنة أربع وألف وهو الاصح » وذكر الشيخ أبو على اليوسى فى « المحاضرات » ما نصه : « حدثوا عن صلحاء تادلا : أنه لما قام على السلطان أحمد المنصور ابن أخيه الناصر قال الشيخ أبو العباس أحمد بن أبى القاسم الصومعى : « ان الناصر يدخل تادلا » يعنى دخول الملك فلما بلغ الخبر الى الشيخ أبى عبد الله محمد الشرقى التادلى قال : « مسكين بابا أحمد رأى رأس الناصر قد دخل تادلا فظنه الناصر يدخلها » فكان الامر كذلك فانه هزم فى نواحي تازا ثم قطع رأسه وحمل الى مراکش فدخل تادلا فى طريقه » اه .

ولما قتل الناصر سر المنصور بذلك وأتمته الوفود للتهنئة وقال الشعراء فى ذلك منهم الكاتب أبو عبد الله محمد بن عمر الشاوى قال :

تهنا أمير المؤمنين فقد جـ	سـطوتك الاقدار جرى السوابق
أضأت لك الايام واحلولكت على	عدوك وارتجت رؤوس الشوايق
وذاك الذى قد خيب الله سعده	تردى فلم تنفعه نصرة مسارق
فكان كما قد قيل لكن رأسه	أتى سابقا والرجل ليست بسابق

ضمن قول بعضهم فى الوزير ابن الفرس وقد رآه مصلوبا منكوس الرأس :
لقد طمع المهر الجموح لغاية تقطع أعناق الجياد السوابق
جرى فجرت رجلاه لكن رأسه انتهى سابقا والرجل ليست بسابق
وكتب المنصور بخبر هذا الفتح الى الآفاق .

فمما كتبه للشيخين الامامين أبى عبد الله محمد زين العابدين البكرى ،
وأبى عبد الله محمد بدر الدين القرافى رسالة يقول فيها ما نصه :

«من عبد ربه المجاهد فى سبيله أحمد المنصور بالله أمير المؤمنين الحسنى،
الى الفاضل الذى اعتجر بالتقوى وهو زين العابدين، وتحلى بحلى المعارف الربانية
وتلك حلى العارفين، والسالك الذى برز فى الطريقة ، وسلك على المجاز الواضح
الى الحقيقة ففات شأو السابقين ، والعارف الذى تجرد عن رعونة الاهواء
الفسانية ، فكان سلوكه على التجريد الى حضرة الواصلين الشيخ العالم الحجة
الوافى، السيد بدر الدين القرافى، والشيخ العارف الواصل، السر الكامل ،
سلالة العلماء ، سبط الفضلاء ؛ أبى عبد الله زين العابدين بن الشيخ السامى
المقام ، قطب المشايخ الاعلام ، فخر علماء الاسلام ، الشهير البركة فى الانام ؛
أبى عبد الله محمد بن أبى الحسن الصديق ، أبقا كما الله وأرواحكما تتعطر
برياحين الانس فى حضرة القدس ، وتنسم النفحات الهابة من رياض المشاهدة
الى مدارج الانس ومعارج النفس ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .
وبعد حمد الله مفيض انوار غناية احمد على صاحبه الصديق ، مظهر

كنوز المعارف الربانية جيلا بعد جيل من بيت عتيق ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد الذى اختار لمرافقته صاحبه فى الغار والعريش والطريق ،
والرضا عن آله أئمة الخلق وسيوف الحق، وأصحابه الذين فاضت أنوار هدايتهم
على الغرب والشرق وبركتهم انتسق لنا الفتح انتساق الاسلاك وبفضلهم يعلم
سعدنا على الكفر علو القطب على دائرة الافلاك ، فكتبنا هذا اليكم من حضرتنا
مراكش حاطها الله ، وصنع الله لها مفعم السجبال وواسع المجال، وعزمتها الماضية
تبعث الى العدا رسل الاوجال ، والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغارب
باسمة الثغور ، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاءة الدهر،

هذا وأنه اتصل بعلى مقامنا كتابكما الذى صدحت على أفنان البلاغة سواجعه ،
وعذبت فى موارد المحبة الصديقية مناهله ومشارعه ، ولطفت فى كل معنى من
المنعنى أفانينه ومنازعه ، وتآلفت على الاجادة فى كل مقصد من المقاصد مواصلة
العذبة ومقاطعه ، وأينعت بأزهار العناية الربانية لباططحه الفيج وأجارعه ، ومعه
المنظومات التى سحت بالحكم ديمها ، ورسا فى البلاغة قدمها ، وربا فى منبت المواهب
الربانية يراعها الفصيح وقلمها ، وحل من نفوسنا موقعها العجيب محلا من دونه
الثريا فى مطلعها ، والبدر ليلة تمامه اعجابا بها وتنويها بمهديها ، وابتهاجا
بالخوارق التى أطلق الله على لسان مبيها ، والى هذا فليحط علمكما بان
مقامنا تنفق فيه على الدوام ان شاء الله نفائس بضائعكم ، وتنمو فيه مع الايام
سعود مطالعكم ، وتسمو فيه على كل مقام مقاماتكم ، وتستوضح فيه على المحبة
الصميمة لاماراتكم الواضحة وعلاماتكم ، فعلى هذا تتعقد منكم الخناصر ، وتشتد
الاواخى والاواصر ، بعز الله ومنه ، ثم مما نستطرد لكم ذكره على جهة
البشرى ، واهداء المسرة الكبرى ، اعلامكم أن عدو الدين طاغية قشتالة الذى
هو اليوم العدو الكبير للاسلام ، وعميد ملل التلث وعبد الاصنام ، لما أنس من
تلقاء جنابنا نار العزم تلتهب منا التهابا ، وبحر الاحتفال تضطرب أمواجه الزاخرة
بكل عدد وعدة اضطرابا ، وهمنا قد همت بتجديد الاسطول ، والاستكثار من
المراكب المتكفلة للجهاد ان شاء الله بقضاء كل دين مطول ، وعلم أن الحديث
اياه يساق ، والى أرضه بالحسف والتدمير بحول الله يهفو كل لواء خفاق ،
رام خذله الله مكافاتا على ذلك بما أمل أن يفت به فى عضدنا الاقوى ، وعزمنا
الذى بعناية الله يزداد ويقوى ، فرمى بمخذول من أبناء أخينا عبد الله كان
ربى لديه ، وطوحت به الطوائج منذ ثمانية عشر عاما اليه ، الى مليية احدى
الثغور المصاوبة لغرب ممالكنا الشريفة التى الى كفالة ولدنا وولى عهدنا كافل
الامة من بعدنا ، الامير الاجل الارضى ، حارم العزم المنتضى ، وحسام الدين
الامضى ، أبى عبد الله محمد الشيخ المأمون بالله ، وصل الله لرايته التأييد
والظهور ، والعز الذى يستخدم الايام والدهور ، فالتف عليه من اغتر بأباطيله
الواهية البناء ، من أوباش العامة والغوغاء ، ومن قضى له من أجناد تلك

الناحية بالشقاء ، جموع تكائر الرمل ، وتفوت الحصا والنمل ، لاح بها للشقى
 خلب بارق أكذبه أميته ، اذ صدقته منيته ، فصمم نحوه ولدنا أعزه الله
 بجنود الله التى انيه ، وبساكر تلك الممالك التى ألقينا زمام تدبيرها فى
 يديه ، فما راع الشقى الا انقضاضه عليه من الجوا انقضاض الابدل ، وتصميمه اليه
 بعزائم تدك الطود وتفلق الصخر والجدل ، فاستولى عليه بحمد الله للحين ،
 وعلى جموعه الاشقياء فى يوم أغرم حجل ، وساعة أنزل الله فيها على الخوارج
 المارقين العذاب المعجل ، فاستأصلتهم الشفار ، وحصدت هشيمهم المصوح
 ألسنة النار ، وقبض على الشقى فى يوم كان شفاء للصدور ، ومنتزها لحملة
 السيوف وربات الخدور ، وأحرز الله تعالى فخر هذا الفتح العظيم ، والمن
 الجسيم ، لولدنا أعزه الله عز وجل فى خاصة أجناده ، ونهض وحده بأعبائه
 ونحن على سرير ملكنا وادعون مطمئنون ، وأجنادنا فى اوطارنا لاهون
 ومفتنون ، فلم يحتج الى ايجاده من قبلنا ولا امداده ، والعاقبة للمتقين ،
 والحمد لله حمد الشاكرين ، وعرفناكم لتأخذوا بحظكم من السرور بهذه
 البشرى التى سرت الاسلام ، وساءت بحمد الله عبدة الاوثان والاصنام ،
 وتعلموا مع ذلك ما عليه الاحوال اليوم بحول الله لدينا من خفق رايات العزم
 وشحذ آراء الحزم ، وأعمال عوامل الجزم الى مجازاة عدو الدين ان شاء الله
 على فعلته التى عادت عليه أسفا ولهفا ، واعادة ما كان أسلف من ذلك ان شاء
 الله بالمكيال الاوفى ، وقدمنا اليكم التعريف لتمدونا ان شاء الله بأدعيتكم
 الصالحة فى أوقات الاجابة ، وتحرصوا على التماسها هنالك وبالحرمين
 الشريفين من كل ذى خضوع واناية ، أن يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله ،
 وينجز لنا وعده الصادق فى اظهار دين الحق على الدين كله ، ويسهل علينا
 بفضله ومعونته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله
 الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فى أرضها بكلمة الله التى طالما سكنت عنها
 نداؤه وخرس ، وشرق بريقه ففص وخنس ، فيده الحول والقوة ، وعنايته
 العناية المرجوة ، ثم نوصيكم بحسن الوقوف مع أصحابنا فيما يشتري من الكتب
 العلمية برسم خزانة الكريمة لإمامية العلية ، ثم الاتحاف بذيوان الشيخ

والدكم التماسا لجميل بركاته ، وتمسكا بما سبق من الاجازة العامة فى سائر منظوماته وموضوعاته ومروياته ، وهذا موجه اليكم ، والسلام الاتم معاد عليكم ورحمة الله وبركاته ، فى ربيع البوى سنة خمس وألف ، هـ . وهذه الرسالة من املاء المنصور على ما قيل .

ومما كتب به أيضا بخط يده الى سلطان مكة والمدينة والحجاز الشريف أبى المحاسن حسن بن أبى نمى بن بركات ما نصه :

من عبد الله المجاهد فى سبيله الامام المنصور بالله أحمد أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنى الى الاصلالة التى تبجحت من ذؤابة هاشم فى صميمها ، وتوغلت من غرفات حرمة الله بين زمزمها وحطيمها ، وتمتعت من عرارة نجد باتت شاق نفحاتها الاربعة وشميمها ، اصالة السلطان الاثيل الاثير الاسنى الاسمى الازكى السلطان حسن بن أبى نمى أبقاكم الله والبيت ذو الاستار تنفيأون ظلاله ، وتلثمون من الحجر الاسود الاسعد خاله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى أعز هذه المثابة العلوية ، الامامية النبوية ، العزيزة الانصار ، السامية المحتد والنجار ، الساحبة أذيال عزها الوريث الظلال على أهل البيت السامى المقدار ، سكان الحمى والذين تبسواوا الدار ، والصلاة والسلام على مولانا محمد الذى أطلع شمس الهداية الساطعة الانوار والرضا عن آله الذين تتضاءل لمجدهم السامى المنار الشموس والاقمار ، وعن أصحابه الذين استأصلوا شأفة الكفر بمواضى الشفار وصلة الدعاء لهذا المقام العلى الامامى المنصورى الحسنى بنصرتجنى الفتوح من قضب رماحه، وتجرى الاقدار على وفق اقتراحه ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراکش حاطها الله ووسع لها المجال فى ميادين السجبال والايام بعز صولتها ويمن دولتها بهذه المغارب باسمه الثغور ، مؤذنة باتصال أمرها العزيز بحول الله الى أن تطوى ملاءة الدهور ، بعز الله وعنايته . هذا وان شيخ الركب المغربى وهو الم رابط الخير الحاج محمد بن عبد القادر لما أزمع الى المعاهد الشريفة الرحيل لتجديده رسم الطاعة الذى ليس بعاف ولا محيل ، وهب له من محارم الله نسيم يميل ،

وآن للمطايا أن تعمل الوخذ والذميل ، مد الى على مقامنا أكف الرغبة في كتاب كريم يتشرف بحمله ، ويتعرف منه السعادة بحول الله في مرتحله وحله ، يتضمن الايصاء به اليكم في المورد والمصدر ، ومدة مقامه من جواركم بحرم الله تجاه البيت والمشعر ، فحملناه هذه العجالة لترعوا له ان شاء الله عنها الحق المعبر ، وتولوه من جانبكم بما يصدق به الخبر ، وتدنوا له من آماله قطوف كل فن مهتصر ، ومما نكلفكم النهوض لاجل حقوق الاخوة باعبائه ونطالبكم لوشائج الرحم بالاعتناء بأدائه التماس الدعاء مع الاحيان تجاه البيت الحرام وعند الملتزم والمقام ان يؤيدنا الله على عدو الدين بفضله ، وينجز لنا وعده الصادق في اظهار دينه على الدين كله ويسهل علينا بفضله ومعوته أسباب فتح الاندلس ، وتجديد رسوم الايمان بها واحياء اطلاله الدرس ، حتى ينطق لسان الدين فيها بكلمات الله التي طالما سكت عنها نداؤه وخرس ، وشرق بريقه ففص وخنس ، فذلك دعاء لا يرد لانه جرى من أهله في محله ومعاد السلام الاثم عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى . وقوله حتى ينطق لسان الدين فيه تورية بابن الخطيب رحمه الله .



ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتنائه بسائر الاعياد



قال الفشتالي : « كان ترتيب المنصور في الاحتفال بالمولد النبوي الكريم أنه اذا طلعت طلائع شهر ربيع الاول صرف الرقاع الى الفقراء أرباب الذكر على رسم الصوفية والمؤذنين النعارين في الاسحار فيأتون من كل جهة ويحشرون من سائر حواضر المغرب ، ثم يأمر الشماعين بتطريز الشموع واتقان صنعها فيتبارى في ذلك مهرة الشماعين من كل ما يبارى النحل في نسج أشكالها لطفا وادماجا فيصوغون أنواعا من الشمع التي تحير النواظر ولا تذبل زهورها النواضر فاذا كان ليلة المولد تهيأ لحملها وزفاف كواعيها الصحافون المحترفون بحمل خدور العرائس عند الزفاف فيتزينون لذلك ويكونون في أجمل شارة

وأحسن منظر ويجتمع الناس من أطراف المدينة كلها لرؤيتها، فيمكثون الى حين يسكن حر الظهيرة وتجنح الشمس المغرب فيخرجون بها على رؤوسهم كالعذارى يرفلن في حلل الحسن ، وهي عدد كثير كالنحل ، فيتسابق الناس لرؤيتها وتمتد لها الاغناق ، وتبرز ذوات الخدور ويتبعها الاطبال والابواق ، وأصحاب المعازف والملاهي حتى تستوى على منصات معدة لها بالايوان الشريف فتصطف هناك فاذا طلع الفجر خرج السلطان فصلى بالناس وقعد على أريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة ، وأمامه تلك الشموع المختلفة الالوان من بيض كالدمى وحمرة جلوت في ملابس أرجوان وخضر سندسية واستحضر من أنواع الحسك والمباخر ما يلهمي المحزون ويدهش الناظر ، ثم دخل الناس أفواجا على طبقاتهم فاذا استقر بهم المجلس تقدم الواعظ فسرده جملة من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكر مولده ورضاعه وما وقع في ذلك باختصار ، فاذا فرغ اندفع القوم في الاشعار المولديات ، فاذا فرغوا تقدم أهل الذكر المزمعون بكلام الششتری وأشعار الصوفية ، ويتخلل ذلك نوبة المنشدين للبيتين ، فاذا فرغوا من ذلك كله قام شعراء الدولة ، فيتقدم قاضي الجماعة الشاطبي بلبل منابر الجمع والاعياد فينشد قصيدة يفتتحها بالتغزل والنسيب ، فاذا تم تخلص مدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم يختم بمدح المنصور والدعاء له ولولي عهده ، فاذا قضى نشيده تقدم الامام المفتي المولى أبو مالك عبد الواحد الشريف فينشد قصيدته على ذلك المنوال ، فاذا فرغ تلاه الوزير أبو الحسن علي بن منصور الشيطمي ، ثم تلاه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي ، يليه الكاتب محمد ابن علي الفشتالي ، يليه الاديب محمد بن علي الهوزالي النابغة ، يليه الاديب الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد المسفيوي ، فاذا طوى بساط القصائد نشر خوان الاطعمة والموائد فيبدأ بالاعيان على مراتبهم ثم يؤذن للمساكين فيدخلون جملة فاذا انقضت أيام المولد الشريف برزت صلات الشعراء على أقدارهم ، هكذا كان دأبه في جميع الموالد ، ولا يحصى ما يفرغ فيه من انواع الاحسان على الناس ، اه من كتاب « مناهل الصفاء » .

وقال صاحب « النفحة المسكية » « في السفارة التركية » : وهو العلامة

المشارك أبو الحسن علي بن محمد التامجروتى : « حضرت المولد الشريف بعد القفول من بلاد الترك فاستدعى المنصور الناس لايوانه السعيد، واستدخلهم لقصره البديع المشيد . المحتوى على قباب متقابلة عالية وقد مد فيها من فرش الحرير ، وصنت النمازق وتدلّت الاستار والكلل والحبال المخصوصة بالذهب . على كل باب قبة وحنية سرير ، ودار على المحيطان حائطيات الحرير التى هى كأزهار الخمائل مارثيت قط فى عهد الاولائل ، وتلك القباب مرفوعة الجوانب، على قواعد وأساطين من رخام مجزّع مطلية الرؤس بالذهب الذائب ، مفروش جلها بالمرمر الابيض مخططا بالسواد يتخلل ذلك ماء عذب ، فيدخل الناس على طبقاتهم وياخذ كل مرتبته من قضاة وعلساء وصلحاء ووزراء وقواد وكتاب وأصناف الاجناد ، فيخيل لكل منهم أنه فى جنة النعيم ، والسلطان جالس فى فاخر ملابسه تعلوه الهيبة والوقار ، وترمقه الابصار بالتعظيم والاكبار، ويجلس من عادته الجلوس ويقف على رأس السلطان الوصفان والعلوج وعليهم الاقية المخصوصة والمناطق المرصعة والحزم المذهبة مما يدهش الناظر ، وركز أمامهم الشمع الملون وأذن لعامة الناس فدخلوا من أصناف القبائل على أجناسها من الاجناد والطلبة ، وسكنت بعد حين الجلبة وأوتى بأنواع الطعام فى القصاع المالقية والبلنسية المذهبة والاولانى التركية والهندية، وأوتى بالطسوس والاباريق وصب الماء على ايدى الناس ، ونصبت مباخر العنبر والعود وأبرزت صحائف الفضة والذهب واغصان الريحان الغض فرش بها البساط ورش من ماء الورد والزهر، وأنشدوا قصائد وتكلم المنشدون وأحسن اليهم السلطان ثم ختموا المجلس بالدعاء للامير . واذا كان يوم السابع يكون ترتيب أبداع من الاول ، وهذه سيرته دائما ، اه .

وهكذا كانت سيرته فى شهر رمضان عند ختم صحيح البخارى وذلك أنه كان اذا دخل رمضان سرد القاضى وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخارى وهى عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا فى كل يوم سفرا الا يوم العيد وتاليه ، فاذا كان يوم سابع العيد ختم فيه صحيح البخارى وتهيا له السلطان أحسن تهية ، الا أن العادة الجارية عندهم فى ذلك أن القاضى

يتولى السرد بنفسه فيسرد نحو الورقتين من أول السفر ، ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل ، ويلقى من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له ولا يزالون في المذاكرة فإذا تعالى النهار ختم المجلس ، وذهب القاضي بالسفر فيكمله سردا في بيته ، ومن الغد يتبدى سفرا آخر ، وهكذا والسلطان في جميع ذلك جانس قريب من حاشية الحلقة قد عين لجلوسه موضع .

قال الفشتالي : « وكان المنصور يعطى أموالا لذوى الحاجات عند انقضاء رمضان ، وقيم مهرجانا يوم عاشوراء لختان أولاد الضعفاء ، وكل من ختن منهم أعطى أدراعا من كتان وحصاة من الدراهم وسهما من اللحم » اهـ .
وأما ترتيب جيش المنصور وعادته في أسفاره فسنذكرها في الفصل بعد هذا ان شاء الله ، ولنذكر بعض القصائد الميلاية التي أنشدت بمجالس المنصور حسبما تقدمت الإشارة إليه ، فمن ذلك قول القاضي أبي القاسم بن علي الشاطبي رحمه الله :

ما بال طيفك لا يزور لاما	وبمنحني الاحشا ضربت خياما
أيعيش فيك عواذلى لسلوهم	وأأموت فيك صباة وغراما
وتبيح نهرك سائلا من أدمعى	أو ليس نهر السائلين حراما
ما ذقت ماء لماك في سنة الكرى	الا انتبهت فكان لى أحلاما
عرض اذا حدثت عن بان الحمى	فحديث قلبى بالاجارع هاما
أروى حديث الرقمتين مسلسلا	عن دمع باكية الغمام سجاما
وتلق من جيب النسيم تحية	أضحى الهوى بردا لها وسلاما
يا جهرة العلمين دعوة شيق	للذيد عيش بالفضا لو داما
فخذوا بجرعاء الحمى قلبى فقد	ألف الاقامة بالحمى فاقاما
وخذوا بثار أهل نجدانهم	سلبوا الفؤاد وأدنفوا الاجساما
فى كل غرب دموع عيني مشرق	لكواكب فيها ائرن ظلاما
صليت بنار الشوق نم رئت الى	انسانها فى لجة قد عامما
وتسلسلت عبراتها شوقا لمسن	وقفت عليه صلاتها وسلاما
خير الانام محمد الهادى السدى	أردى الضلال وجب منه سناما

كنز العوالم سر طينة آدم
 وأجل أرسال الاله ومن به
 وتقاصرت عن فردة اعدادهم
 أسرى الى السبع الطباق فأقبلت
 فى ليلة غصت بأمالك السما
 ياخير من بهر المعاند شأنه
 أعبى جلالك أن يحيط بوصفه
 صلى عليك الله ما زار الحيا
 ما لذتى فى مدح غير محلصا
 خير الورى وامامها المنصور من
 أضفى على الارضين ظل مهابة
 وسما على الدنيا عقاب تنوفة
 قل للملوك هبوا لملككم فدى
 هذا الذى يحيى البلاد بعدله
 هذا الذى وعد الاله بأه
 يا مشبه المهدي فى آرائه
 أنت الذى بنيه أبناء الملا
 فكانها من حولك الاشبال فى
 وأمينها المأمون غضب سماها
 وأجل مضطلع تخيره الورى
 وحياه أحمد عهد أمة أحمد
 لا يعدون النصر سيفك انه
 خذها ينم على العيسر مديحها

وقال العلامة مفتى الحضرة أبو مالك المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف

الفيلالى :

أرقت وشاقتنى البروق اللوامع وذكرى خليط هيبتها المرامع

تراق من الاشواق فيها المدامع
اذ السلك منظوم وشملى جامع
وأين اللوى منى وأين الاجازع
وجفن الردى عنا وحاشاك هاجع
أنازعها الشكوى بها وتنـازع
وضمت هواهم بعد ذاك الاضالع
ولاح لهم برق من الغور لامع
عراص بها للوحى فاضت ينابيع
وهبت على الاشراك منها زعازع
وياخير من تثنى عليه الاصابع
وأنت الذى يرجوه عاص وطائع
لاهواله كل النبين جازع
وليس لنا والله غيرك شافع
جزاء به يشجى المناوى المخادع
أصول وآباء كرام فوارع
عوارف فى أعناقنا وصنائع
إليك اشتراؤها وبغيرك بائع
يخب الى نيل العلا ويسارع
لفيض الندى من راحته تدافع
أحاديث صحت ليس فيها منازع
وفاضت بحور للعلوم هوامع

مراجع عفتها الروامس والسما
كان لم تكن من قبل قدما أو اهلا
تذكرنى عهد الاجازع واللوى
سحبنا بها ذيل الصباية برهـة
وقفت بها بالبزل والليل دامس
أسائلها عن جيرة بان حيهم
فهل قدموا نحو العقيق صدورهم
يخبر عن دار الرسول وقربها
ديار بها حل الحمى سيد السورى
عليك صلاة الله يا خير مرسل
فلولاك هذا الكون ما زال معدما
لك الفخر فى الدارين والموقف الذى
فآدمهم والكل تحت لوائكم
فجازاك رب العرش ما أنت أهله
وجازى اماما قد نمته اليكم
سميك وابن السبط حقا ومن له
قدم للعلا يا ابن الخلائف مفردا
ودام ولى العهد بعدك صارما
هو الآمن المؤمن من كل فتنة
ففيك أقول والنصوص شواهد
بكم رأس هذا القرن جدد ديننا

أشار بهذا الى ما أخرجه أبو داود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : « ان الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الامة أمر دينها » .
وحمله بعض الائمة على ان المجدد من الملوك ، وقيل من العلماء ، وقيل
من الاولياء والصواب الاطلاق .

وقال الوزير المقائد أبو الحسن على بن منصور الشيطمى رحمه الله تعالى :

شوقى يزيد وعز ذاك عزائى
 ما فى الخواطر من صدى وصداء
 تلك المعاهد ساكن الحمراء
 ذات السنا والرنند والاضواء
 تدع القلوب جسومها بفضاء
 ومجيب داعى البعد بعد ندائى
 للهمز الا فى المنادى النائى
 طلى الملا بنجبية فوداء
 سر تولج فى ضمير حجاب
 تجرى القلوع بها بريح رخاء
 وأزور بعد معاهد الزوراء
 فى ظل أحمد بغيتى ومنائى
 وطته رجلا خاتم النبىاء
 بالبيض والخطية السمراء
 لؤما وما أجلى الدجا ابن ذكاء
 أكرم بهم من سادة فضلاء
 سبط الرسالة غرة الابناء
 حاز الكمال وشرط كل علاء
 والكوكب الوقاد فى الظلماء
 حاط الهدى وبرأيه الوضاء
 كالزهر فى الاكمام والاوزاء
 كالصبح يدرأ فى نهج عدا
 للوائك المنصور دون مرء
 بظبى نيك السادة النجباء
 وزر البرية عدة الامراء
 درج الكمال ودب للعلباء

من بعد أهل قبا وأهل كداء
 ولى الشفاء بقربهم وهم جلا
 لكنه بعد المزار فأين من
 بانوا وهاج الشوق ذكر ربوعهم
 وشدا بهم حادى الركاب فكاد أن
 يأسعد لو ان الزمان مساعدى
 لركبت حرفا كانهلال منافرا
 ونجبت أحياء الفلا وطوبتها
 تختاض فى جوف الظلام كأنها
 وتخال فى لجج السراب سمينه
 هل أنزلن بها المحصب من منى
 فأحط عنها الرحل ثم مخيما
 وامرغ الحديد ملتثما ترى
 محبى الهدى ماحى الضلالة والردا
 صلى عليه الله ما نسخ السخا
 وعلى صحابه الكرام وآله
 أكرم بوارث مجده وعلائه
 خير الخلائف أحمد المنصور من
 الصارم الهندى فى معنى الهدى
 يا أيها الملك الذى بسيفه
 ذخرا لاله لك الفتوح وصانها
 لا بد من فتح يروكك واضمح
 وستملك الحرم الشريف وينتمى
 وترى الجهات وقد أتت منقادة
 وتقر عينا بالخليفة مهمم
 بمحمد المأمون خير من ارتقى

فرع سيحكي أصله ولقد حكى بمقاصد قد سددت ودهاء
 وقال الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي رحمه الله تعالى :
 هم سلبوني الصبر والصبر من شأني وهم أخفروا في مهجتي ذمم الهوى
 لئن أترعوا من قهوة البين أكؤسى وإن غادرتني بالعراء حمولهم
 فف العيس واسأل ربهم أية مضوا وهل باكروا بالسفح من جانب اللوا
 وأين استقلوا هل بهضب تهامة وهل سال في بطن المسيل تشوقا
 واذ زجروها بالعشى فهل ثنى وهل عرسوا في دير عبدون أم سروا
 سروا والدجا صبغ المطارف فانشى وأدلج في الاسحار بيض قبابهم
 لك الله من ركب يرى الأرض خطوة أرحها مطايا قد تمشى بها الهوى
 ويمم بها الوادى المقدس بالحمى وأهد حلول الحجر منه تحية
 لقد نفحت من شيخ يثرب نفحة وفتت منها الشرق في الغرب مسكة
 وأذكرني نجدا وطيب عراره أحن الى تلك المعاهد انها
 وأهفوا مع الاشواق للوطن الذى وأصبوا الى أعلام مكة شائقا
 أهيل الحمى دينى على الدهر زورة متى يشتفى جفنى القريح بنظرة
 وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني فلم يشتم عن سفكها حبي الجاني
 فشوقهم أضحى سميرى وندماني كفى أن قلبي جاهداثر أظماني
 أللجزع ساروا مدجلين أم البان ملاعب آرام هناك وغزلان
 أناخوا المطايا أم على كتب نعمان نفوس ترامت للحمى قبل جثمان
 أزمتهما الحادى الى شعب بـوان يؤم بهم رهبانهم دير نجران
 بأحداجهم شتى صفات وألوان فلحن نجوما في معارج كئبان
 اذا زمها بدنا نواعم أبدان تمشى الحميا في مفاصل نشوان
 به الماء صدا والكلا نبت سعدان تفاوح عرفا ذاكى الرند واللبان
 فهاجت مع الاسحار شوقى واشجاني سحبت بها في أرض دارين أرداني
 نسيم الصبا من نحو طيبة حياني معاهد راحاتي وروحي وريحاني
 به صبح لى أنسى الهنى وسلواني اذا لاح برق من شمام وشهلان
 أحث بها شوقا لكم عزمى الوانى يزعج بها فى نوركم عين انساني

ومن لى بأن يدنسوا لقاكم تعطفوا
سقى عهدهم بالخيف عهد تمده
وأنعم فى شط العقيق أراكة
وحيا ربوعا بين مروة والصفى
ربوعا بها تلو الملائكة العلى
وأول أرض باكرت عرصاتها
وعرس فيها للنسوة موكب
وأدى بها الروح للأمين رسالة
هنا لك فض ختمها أشرف الورى
محمد خير العالمين بأسرها
ومن بشرت بالبعث من قبل كونه
وحكمة هذا الكون لولاه ما سمت
ولا زخرفت من جنة الخلد أربع
ولا طلعت شمس الهدى غب دجية
ولا لحقت بالذنين شفاعنة
له معجزات أخرست كل جاحد
له انشق قرص البدر شقين وارتوى
وانطقت الاونان نطقا تبرات
دعا سرحنة عجم قلبت وأقبلت
وضاءت قصور الشام من نوره الذى
وقد بهج الانوا بدعوتيه التى
وأن كتاب الله أعظم آية
وعدى على شأو البليغ بيانه
نبي الهدى من أطلع الحق أنجما
بعزتها ذل الاكساسة الالى
وأحرز للدين الحنيفى بالظبا

ودهرى عنى دائما عطفه ثانى
سوافيح دمع من شؤونى هتان
بأفائها ظل المنى والهوى دانى
تحيه مشتاق لها الدهر حيران
أفانين وحى بين ذكر وفسرآن
وطرزت البطحا سحاب ايمان
هو البحر طام فوق هضب وغيطان
أفادت بها البشرى مدائح عنوان
وفخر نزار من معد بن عدنان
وسيد أهل الارض الانس والجان
نوامس كهان وأخبار رهبان
سماء ولا غاضت طوافح طوفان
تسبح فيها آدم حور وولدان
تجهم من ديجورها ليل كفران
يذود بها عنهم زباني نيران
وسلت على المرتاب صادم برهان
بماء همى من كفه كل ظمان
الى الله فيه من زخارف ميان
تجر ذبول الزهر ما بين أفنان
على كل أفق نازح القطر أودانى
كست أوجه الغبراء بهجة نيسان
بها افتضح المرتاب وابتأس الشانى
فهيمات منه سجع قس وسحبان
عما نورها اسداف أفك وبهتان
هم سلبوا تيجانها آل ساسان
تراث الملوك الصيد من عهد يونان

ونقم من سمر القنا السم قيصرا
وأضحت ربوع الكفروا الشرب بلقما
وأصبحت السمحا تروق نضارة.
أيا خير أهل الارض بيتا ومحتدا
فمن للقوافى أن تحيط بوصفكم
اليك بعثناها أمانى أجديت
أجرنى اذا أبدى الحساب جرائمى
فأنت الذى لو لا وسائل عزه
عليك سلام الله ما هبت الصبا
وحمل فى جيب الجنوب تحية
الى العمرين صاحبك كليهما
وحى عليا عرفها وأريجها
اليك رسول الله صمت عزمة
وخاطبت منى القلب وهو مقلب
فياليت شعرى هل أزم قلائصى
وأطوى أديم الارض نحوك راحلا
يرنجها فرط الحنين الى الحمى
وهل تمحون عنى خطايا اقترفتها
وما ذا عسى يثنى عنانى وان لى
اذا صد عن زوارك الباس والعنا
عمادى الذى أوطأ السماكين أخصى
متوج املاك الزمان وان سطحا
وقارى أسود الغاب بالصيد مثلها
هز بر اذا زار البلاد زئيره
وان اطلعت غيم القتسام جيوشه
صبين على أرض العداة صواعقا

فجرعه منه مجاجة نبيان
يناغى الصدا فيهن هاتف شيطان
ووجه الهدى بادی الصباحة للرانى
وأكرم كل الخلق عجم وعربان
ولو سجلت سبقا مدائح حسان
لتسقى بمنز من أياديك هتان
وأثقلت الاوزار كفة ميزانى
لما فتحت أبواب عفو وغفران
وماست على كبنائها ملد قضبان
يفوح بمسراها شذا كل تربان
وتلوهما فى الفضل صهرك عثمان
ووالى على سبطيك أوفر رضوان
اذا أزمعت فالشحط والقرب سيان
على جرة الاشواق فيك فلبانى
اليك بدارا أو أقلقل كيرانى
نواجى المهارى فى صحاصح فيعان
اذا غرد الحادى بهن وغنانى
خطى لى فى تلك البقاع وأوطان
بآلك جاهها صهوة الغز أمطانى
فجود ابك المنصور أحد أغنانى
وأوفى على السبع الطباق فادنانى
أحل سيوفنا فى معاهد تيجاسى
اذا أضرب الخطى من فوق جدران
تضائل فى اخياسها أسد خفان
وارزم فى مركومه رعد نيران
أسلن عليهم بحر خسف ورجفان

كثائب لو يعلون رضوى لصدعت
 عديد الحصا من كل أروع معلم
 اذا جن ليل الحرب عنهم طلى العدا
 من اللاء جرعن العدا غصص الردى
 وفتحن أقطار البلاد فأصبحت
 امام البرايا من على نجاره
 دعائم ايمان وأركان سؤدد
 هم العلويون الذين وجوههم
 وهم آل بيت شيد الله ملكه
 وفيهم أتى الذكر الحكيم وصرحت
 فروع ابن عم المصطفى ووصيه
 ودوحة مجد معشب الروض بالعلا
 بمجدهم الاعلى الصريح تشرفت
 أولئك، فخرى ان فخرت على الورى
 اذا اقتسم المداح فضل فخارهم
 امام له فى جبهة الدهر ميسم
 سما فوق هامات النجوم بهمة
 وأطلع فى أفق المعالى خلافة
 اذا ما احتبى فوق الاسرة وارتدى
 توسمت لقمان الحجا وهو ناطق
 وان هزه حر الثناء تدفقت
 أيا ناظر الاسلام شم بارق المنا
 قضى الله فى عليك أن تملك الدنا
 وانك تطوى الارض غير مدافع

صفاه الجياد الجرد تعدو بعقبان
 وكل كمي بالردىنى طعان
 هدتهم الى أوداجها شهب خرسان
 وغفرن فى وجه الثرى وجه بستان*
 تؤدى الحراج الجزل أملاك سودان
 ومن عترة سادوا الورى آل زيدان
 ذووهم قد عرست فوق كيوان
 بدور اذا ما احلولكت شهب أزمان
 على هضبة العلياء ثابت أركان
 بفضلهم آيات ذكر وقرآن
 فهايك من فخرين قربى وقربان
 يجاد بأمواء الرسالة ريان
 معد على العرباء عاد وقحطان
 ونافس بيتى فى الولا بيت سلمان
 فقسمى بالمنصور ظاهر رجحان
 ومن عزه فى مفرق الملك تاجان
 يحوم بها فوق السموات نسران
 عليها وشاح من علاه وسمطان
 على كبرياء الملك نخوة سلطان
 وشاهدت كسرى العدل فى صدرايوان
 أنامله عرفا تدفق خلجان
 وباكر لروض فى ذرا المجد فينان
 وتفتحها ما بين سوس وسودان
 فمن أرض سودان الى أرض بغدادان

* المراد به سبستيان ملك البرتقال لكنته عربيه فقال بستان

وتملاها عدلا يرف لسواؤه
فكم هنأت أرض العراق بك العلا
فلو شارفت شرق البلاد سيوفكم
ولو نشر الاملاك دهرك أصبحت
وشايحك السفاح يقتاد طائعا
فما المجد الا ما رفعت سماكه
وهاتيك أبكار القوافي جلوتها
أتك أمير المؤمنين كأنها
تعاظمن حسنا أن يقال شبيها
فلا زلت للدنيا تحوط جهاتها
ولا زلت بالنصر العزيز مؤزرا
انتهت القصيدة الفريدة .

قال في نفح الطيب : « أخبرني ناظمها أنه أراد بقوله : « ونافس بيتي
في الولا بيت سلمان » قبيلة سلمان التي منها لسان الدين ابن الخطيب ، اشارة
الى ولاء الكتابة للخلافة كما كان لسان الدين رحمه الله ، وفيه مع ذلك تورية
بسلمان الفارسي رضى الله عنه ، انتهى .

وهذه القصيدة على طولها من غرر القصائد ولذا لم يذكر في المنتقى
من الامداح المنصورية غيرها ، وقد أثنى عليها في « نفح الطيب » جدا ،
وتتبع ما قيل في هذا الاحتفال ، واقامة المولد العديم المثال ، من الامداح
يفضى الى الطول وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات أسفاره



قال الفشتالى : « كانت السيرة على عهد أبى عبد الله المهدي وولده الغالب بالله وابنه المتوكل سيرة العرب فى الجيش والمأكل والملبس وغير ذلك ، ولما ولى المعتصم حمل الناس على السيرة العجمية وجنح اليها فى سائر شؤونها لما رأى منها فى بلاد الترك حيث كان بها ، فكره الناس ذلك وأنفوا منه وقفوا مع العوائد . فلما جاء الله بالمنصور ألف بين سيرتى العرب والعجم ، واصطفى من العجم موالى رباهم بنعمته وأشملهم درور احسانه ، منهم : مصطفى باى ، ومعناه بلغة الترك : قائد القواد ، ويختص به قائد الاصباحية ؛ وكان يرسم حراسة الباب العالى . ومنهم الباشا محمود وهو صاحب خزائن الدار بيده مفاتيح بيوت الاموال . ومنهم القائد علوج قائد جيش العلوج ؛ والباشا جوذر فاتح السودان وهو قائد جيش الاندلس . وكان لاهل الاندلس جيش عظيم رماة وعمار قائد جيش السوس فهؤلاء اكابر العلوج . وتليهم طائفة أخرى منها بختيار ، وبغا . ثم ان جيش العجم من الاتراك والعلوج قسمه الى اقسام ؛ منها البياك : وهم اهل القلانص الصفريّة المذهبة ذوات الاعراف من ريش النعام الملون يقفون سماطين أمام قبة أو فسطاطه . والسلاق : اهل القلانص الطويلة البيض المرسلة على المناكب ويناط بها من أعلى الجباه جعاب صفر مذهبة ويضيفون اليها وقت الحزام أجنحة طوالا يؤلفونها أيضا من ريش النعام الباقي على أصل خلقته ويركزونها فى الجعاب المنوطة بالقلانص من أعلى الجباه ويرسلونها الى وراء ويقف هؤلاء خلف البياك . وبلبلدروش . وهم اهل اللقايف وهى رماح قصيرة غليظة العصى مغشاة بالحديد ومرصعة بالمسامير البيض ركبت عليها أسنة عظام وزجاج هائلة ينبت من ريشتى كل سنان منها اضلاع مستقيمة ، ويقف هؤلاء خلف السلاق . والشنشرية . وهم اهل الطعام وضعا ورفعا لا غير وقائدهم بختيار من سبى وادى المخازن . والقبيجية : وهم اهل حفظ الابواب وغلقها وفتحها

وقائدهم مولود المشاوري ، وطائفة من هؤلاء تحرس ليلا وتطوف على مسايف السور المحيط بالدار ، ومن وظيفة هؤلاء خدمة الكرسي والسرير اللذين يجلس عليهما السلطان بالايوان وتعاهد انماط الجلوس وكنسها . والشواش : وهم الذين يتولون ضبط الجيوش في المصاف في حرب أو سلم وانهاء الكتب والرسائل للجهات بخير أو شر .

قال الفشتالي : « وهذا مما زادت به دولته على سائر الدول ، فاذا خرج في يوم عيد أو ملاقة أو تهنئة خرجوا متزينين وكل قائد يقف عند مبدا انبعاث جبل جيشه تحت ألوية محفوفة بجيش من رؤساء جنده أهل الحيل وهم الذين يدعون عندهم : بالكباشات ، فاصلا بذلك بين جيشه وجيش من يردفه خلفه ، وهكذا يمتد الى انبعاث الجيش من تلقاء أمير المؤمنين ، وكل يعرف مركزه ورتبته لا يتعداه الى غيره بتقدم أو تأخر ولا يجد السبيل الى ذلك لو اراده » .

قال الفشتالي : « والترتيب الذي جرى به العمل في عساكر النار أن يتقدم أولا جيش السوس ثم يردفه جيش شراكة وكل منهما ينقسم حبلين ، ثم يردفهما العسكران العظيمان عسكر الموالي من المعلوجي ومن انضاف اليهم وعسكر الاندلس ومن لبس جلدتهم ودخل في زمرتهم ، وهذان يسيران صفين متساويين لاستواء مرتبتهما » وعند العطاء تارة يتقدم هؤلاء وتارة هؤلاء ، غير ان الموالي يكونون في الميمنة لمزية الولاء ، وكلاهما يحظى بموالة ركاب السلطان ، ويتقدم قائدهما محمود قائد الموالي ، وجوذر قائد الاندلس ، وترفع على رأس كل منهما الرايات ويحفضه عسكر من بلكباشات . ثم يتصل بهذين العسكرين الدخاة العظيمة المؤلفة من البياك والسلاق وبلبدروش فتسير الفرق الثلاث أمام المنصور صفوفًا متساوية ، فأما البياك فيلون ركابه يحفون به يمينا وشمالا ويرفع البعض رماحه الزينة المنصوبة أمامه ، ومنهم صاحب المظل المرفوع على رأسه كالغمامة يحمله حالة ركوبه أقربهم درجة لقائدهم ابرويز ، واذا مشى المنصور الى جامع المنصور من جهة قبور الاشراف أو للمشتى وهو الروض المتصل بقصر البديع على رجلية حمله ابرويز بنفسه ، ثم يسير

عن يمينهم وشمالهم السلاق ، ويسير عن يمين هؤلاء وشمالهم بلبدروش أهل اللقايف ، وتكيف من الجميع صورة تزرع الرعب في القلوب ، وتسير الجناث فيما بين سماطى هذه الدخلة بجنوبة صفا صفا الى ألوية عساكر النار ومنبعث حبالها الممدودة يقودها صنف يدعون السراجة ركبانا ، وكانت جنائب الحلفاء يقودها الرجل من الوزعة وهذا أكمل مزية ؛ وجيش الاصباحية الذى الى نظر بيلاربای ينقسم كتيبتين عظيمتين تسير احدهما ذات اليمين والاخرى ذات الشمال أمام الموكب الذى يرفع اللواء العظيم الابيض المدعو باللواء المنصور ، علامة على شعار الدولة على رأس المنصور يسامته من خلفه ؛ وهناك ألوية كثيرة ذات ألوان مختلفة . وأمامه الطبل العظيم الذى يسمع دويه من مسافة بعيدة ؛ ومن خلفه الطبول الاخر معها الغيطات - واحدها غيطة - يتولى النفخ فيها قوم من العجم أساتيد تعلمونها فينفخون فيها فتنبعث منها أصوات وتلاحين لا تحرك الطباع ولا تبعثها على شىء دون الحرب ، فانها تتسجع الجبان وتقوى جأش الحائف ، حكمة فيلسوفية ؛ وهناك مزامير أخر وجعاب طوال صفرية على مقدار النفير تسمى الطرباط مما أحدثه أيضا فى دولته وزادت به دولته فخامة وضخامة ؛ ثم يردف هذه الألوية والآلات من خلف أمير المؤمنين موكبه العظيم . فهذا ترتيب جيش المنصور انتهى باختصار من كتاب « مناهل الصفا » ، وليس اتخاذ المظل مما أحدثته الدولة السعدية كما زعم بعضهم ، بل كان ذلك موجودا فى الدول القديمة شرقا وغربا .

قال اليفرنى : « وما ذكره الامام الفشتالى من توافر أجناد المنصور وتكاثر جيوشه هو كذلك ، وقد أولمت العامة فى ذلك بأخبار واهية ، وزعموا ان المنصور خرج مرة الى الرملة بظاهر مراكش ولم تعلم اصحابه بخروجه ، فحين علموا بخروجه تبعوه خفافا وثقلا فأمر بعد ما معه هنا لك من الجيش فوجد ثمانين ألفا ، فقال : « ياسبحان الله ، قد خاطرنا بأنفسنا حيث ركبنا فى هذا العدد » يستقله ؛ ولا يخفى ما فى هذا الكلام من الافراط ، والذى ذكره الشيخ أبو العباس أحمد أبقاى الاندلسى فى كتابه المسمى بـ « رحلة الشباب الى لقاء الاحباب » ما معناه قال : ان جزيرة الاندلس التى استردادها

من أيدي الكفار سهل واسترجاعها منهم قريب لما دخلت مراکش في أيام المنصور وجدت عنده من الخيل نحو من ستة وعشرين ألفا ، فلبسوا تحركت همته لفتحها لاستولى عليها في الحين اه بالمعنى ، اه كلام اليفرنى .
 وأما بيان حالة المنصور في السفر فقد قال شارح « زهرة الشماريخ » :
 « ان المنصور كان قليل الاسفار ، وانما سافر الى فاس مرتين لا غير ، وانما كان متفرغا للذاته واستيفاء شهواته مدة خلافته » . قال اليفرنى : « وبه يعلم أن ما شاع على اللسان من أنه كان يمكث بفاس ستة أشهر وبمراكش مثلها ليس بصحيح والله أعلم » .

وكان المنصور اذا سافر استعد غاية الاستعداد وأحسن في التهيئة ما شاء . قال صاحب النفحة المسكية : « كان له قصر من عود مسمر بمسامير ونحاطيف وحلق وصفائح مفضضة على هيئة عظيمة ، وقد احدث بذلك كله سرادق كالسور من نسيج الكتان كأنه حديقة بستان ، وزخرفة بستان ، وفي داخل القصر المذكور القباب الملونة بيضا وسودا وحمرا وخضرا كأنها أزاهير الرياض قد نقش ذلك أحسن النقش وملى بأبهى الفرش ، وللسرادق الذى هو كالسور أبواب كأنها أبواب القصور المشيدة يدخل منها الى دهاليز وتعاريج ثم ينتهى منها الى القصر الذى فيه القباب وهذا القصر كأنه مدينة تنتقل بانتقاله وهو من الابهات الملوكة التى لم يوجد مثلها عند الملوك الماضين » اه .

ومما يتعلق به ما حكاه أبو فارس الفشتالى فى المناهل قال : « خرج المنصور يوم الاثنين عاشر شعبان سنة اثنى وتسعين وتسعمائة لزيارة أضرحة الصالحين بأغمات » ، قال : « فتأخرت وراءه فلحقنى المولى عبد الواحد بن أحمد الشريف وأنا فى أخريات الناس فأشده :
 أبا فارس بان الخليل وودعوا ،

فقلت : وولوا وحسن الصبر منى شيعوا

فقال :

وغرد حادى البين وانشقت العصا وكاد فؤادى للنوى يتقطع

فقلت :

الى الله أشكو فرقة منهم وقسد تجرعت من كأس النوى ما تجرعوا
ثم زدت :

لئن شرد السلوان غنى بعدهم ففى صحبة المنصور أنسى أجمع
ثم قال :

تدور عليه هالة لقبابه ومركزها قصر الخلافة يلمع
فقلت :

سياج به بحر الندى متموج ومن أفقه شمس الامامة تطلع
وكان المنصور خرج لزيارة أغمات فى شارة حسنة ، فلما بلغ أغمات
مكث فيه يومين وفى الثالث نهض الى زيارة الامام أبى عبد الله الهزميرى ،
وعاج على ضريح الشيخ سيدى عبد الجليل ووقف عند الجبانة الكبرى فدعا
ما تيسر وفرق أموالا على ذوى الحاجات على يد القاضى الشاطبى ، والفقيه
الامين أبى الحسن على بن سليمان الثاملى ، وكان معه الفقيه القاضى أبو مالك
عبد الواحد بن أحمد الحميدى كان قد استقدمه من فاس برسم القراقة معه ؛
وكان الحميدى لودعيا خفيف الروح ، وفى هذه السفرة صدرت منه الايات
التى تبارى فى معارضتها شعراء الدولة ، وقد ذكرها فى النزهة فلتنظر هنالك ،
ومما يتعلق بأخبار الحميدى المذكور : أن المنصور سافر مرة الى
تارودانت ومعه جماعة من الاعيان كالقاضى الحميدى وأبى العباس المنجور
وغيرهما ، فخيم المنصور بباب تارودانت وضرب الناس أخيتهم ، فمر رجل
عليه أطمار بالية وهيئة رثة ، ويقال ان هذا الرجل هو أبو عثمان الهلالى
الرودانى ، فوطىء على طنب من أطناب خباء القاضى الحميدى فصاح القاضى
« من هذه البقرة التى قوضت على خيمتى ؟ » متهمكا بالرجل ! فألقى اليه الرجل
فرطاسا فيه أبيات وقال : « البقرة من لا يجب عن هذه » ونص الايات :
الى بابك العالى مسائل ترتقى تفطن لهن يا حميدى واصدق
فما الحكم فى الاوزاغ هل ساغ أكلها وما الحكم فى موتى المجانين فانطق
وهل جاز للمسبوق بعد تشهد دعاء اذا ما رام اكمال ما بقى

وما وزن ليس يا أديب وأصله
وما وزنه شمر ولاتن واثنتا
وبين لنا (من) في أعوذ بربنا
فبدا للحميدى ما لم يكن يحتسب وتوقف عن الجواب ، فرفعت القضية
الى المنصور فاستغريها وقال : « هذا رجل من أهل البادية فضح قاضى قضاة
الحواضر » وأمر المنجور فأجاب عنها ، يقال بعد أربع سنين وبعد موت
السائل ، ونص الجواب :

جوابك فى الاولى اباحة أكلها
كذا ابن حبيب فى الحشاش أباحه
وقد قيل فى الاوزاغ يحرم أكلها
ومستقذر يحكى المخالف منعه
ورجح ما يحكى المخالف بعض من
وميت مجنون جرى خلف حكمه
وتحقيقها ان الجنون الذى طرا
فأونة بعد البلوغ طروه
وأونة اثر الصلاح وقوعه
وحينا يدوم للممات وتارة
ويندب للمسبوق دعوى تشهد
وليس له فعل كقال وأصله
وجمك صاعا فى القليل لأصوع
وان شئت فاقبله فيرجع أصعا
وصاع كعام عينه فرع ضمة
وجمع سواء فالذى منه جامد
ومشتقه وزن الخطايا قياسه
ومقصد (من) فى العوذ بدء لغاية
بمذهبنا فاجزم بذاك وصدق
لمحتاجه مثل العقارب فاسبق
وذلك فى الكافى ليوسف فاتق
وأنكره التبييه فافهم ودقق
له العزو للتحقيق لا للتشدد
بعلم كلام لا تكن غير متق
يصير كموت فصل الحق يعبق
وحينا يرى قبل البلوغ فطبق
وحينا بعصيان الكبيرة يلتقى
يفيق فخذ حكم الجميع ووثق
وفاق امام فى المناجاة فارتق
بكسر لياء فاكسر العين ترتق
وأصوُع بهمز الواو فانهج ونمق
لضابط تصريف فللعلم شوق
وتحريكه فتح فزنه وحقق
بأسوية علم يقاس ففرق
سواسية ثقل فبالحق فانطق
فابليس مبدأ العوذ عند الموفق

انتفاض ولى العهد محمد الشيخ المأمون على أبيه المنصور وما آل إليه أمر لا في ذلك



كان المأمون كما تقدم ولى عهد أبيه المنصور ، وكان خليفته على فاس وأعمالها سائر مدة أبيه ، وكان للمنصور اعتناء تام به واهتمام بشأنه حتى قيل ان المنصور كان لا يختم على صندوق من صناديق المال الا قال : « جعل الله فتحه على يد الشيخ » رجاء ان يقوم بالأمر بعده ، فلم يساعد القدر وخرج الأمر كما قال القائل :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن
فأساء المأمون السيرة وأضر بالرعية .

قال اليفرنى : « وكان فسيقا خيث الطوية ، مولعا بالعبث بالصبيان ، مدمنا للخمر سفاكا للدماء ؛ غير مكترث بأمور الدين من الصلاة وشرائطها . ولما ظهر فساد وبان للناس عواره ، نهى وزير أبيه القائد أبو اسحق (*) إبراهيم السفينى عن سوء فعله فلم ينته واستمر على قبح سيرته ، فأعاد عليه اللوم فليج فى مذهبه ؛ ولما أكثر عليه من التقرير سقاء السم فكان فيه حتف القائد المذكور . ومما انكر عليه انه قبض على كاتب أبيه أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن عيسى وهو مؤلف كتاب : « الممدود والمقصود من سنا السلطان المنصور » ووظف عليه أموالا وابتززه ذخائره حتى كان مما أخذ منه ثمانون حسكة مذهب ومائة تخت من الملف المختلف الألوان . فلما كثرت قبائحه وترددت الشكايات لآبيه كتب إليه لينكف عن غيه وينزجر عن خبثه ، فما زاده التحذير الا اغراء ؛ فلما رأى المنصور انه لم يكثر بأمره ولم ينزجر عن قبائحه عزم على التوجه الى فاس بقصد أن يمكر به ويؤدبه بما يكون رادعا له ، فسمع الشيخ بذلك فجمع عساكره وهيا جنده ودفع المرتب لأصحابه ، وكان عدد

(*) بل أبو سالم كما فى الدرّة

جيشه فيما قيل اثنين وعشرين ألفا كلهم بكساوى الملف والحرير على أحسن شارة وأكمل زى ، وعزم انه ان بلغه خروج ابيه من مراكش أن يتوجه في أصحابه الى تلمسان ويستجير بالترك ؛ فلما بلغ المنصور ما عزم عليه الشيخ من الذهاب الى تلمسان تخلف عن الخروج من مراكش ، وكتب الى الشيخ يلاطفه ويأمره أن لا يفعل ، وولاه سجلماسة ودرعة وتخلي له عن خراجهما ، وقال له : « قد سوغتكم ولا أطالبك نيه ، ومراده بذلك أن تسكن نفرتيه ويرجع اليه عقله ؛ فأظهر الشيخ امتثال الامر وخرج يؤم سجلماسة ، فما انفصل عن فاس بشيء يسير حتى ندم ورجع اليها ، وعاد لما كان عاكفا عليه ؛ فبعث اليه المنصور أعيان مراكش وعلمائها فنصحوه ووعظوه وخوفوه سخط والده وحذروه عاقبة العقوق ، ولم يألوا جهدا في نصحه ، فوجدوه مشغول القلب عن نصيحتهم ، مغمور الذهن بخلاف قولهم ، الا أنه أظهر الرجوع عما كان عازما عليه من الفرار عن أبيه ، وأقصر في الظاهر عن بعض تلك المساوى . فرجع الوفد الى المنصور وقالوا له : « انه قد تاب وحسنت حاله واطمأنت نفسه وانه واقف عند الامر والنهى » ؛ فلم يطمئن المنصور لقولهم وقال لهم : « لعل هذا اطفاء لنار الشحنة وكذب لاصلاح الباطن » وصمم على المكر بالشيخ ، فكتب اليه كتابا طويلا يلومه فيه على بعض الاشياء وفي ضمن ذلك تسكين خاطره حتى يبقته على حين غفلة ، ونص الكتاب :

« من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى أيد الله أوامره وظفر عساكره ، الى ولدنا وولى عهدنا الامير الاجل الافضل الاكمل الاعز بابا الشيخ وصل الله كمالكم وسنى من خير الدارين آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله ؛ أما بعد ، فكتابنا هذا اليكم من حضرة مراكش حاطها الله ولا جديد الا ما عوده مولانا من الخير لله الحمد وله المنة . هذا ، والذي أوجبه أسعدكم الله وكلاككم انه بلغنا انكم قد استخدمتم هناك جماعة من أولاد طلحة كأولاد أخى على بن محمد وأخى على بن ملوك وغير هؤلاء وأنك قد فرضت لهم في إعطياتهم نحو خمسة آلاف ، والى هذا اى مصلحة ظهرت لك في

استخدام هؤلاء القوم حتى تتحمل كافة فرض هذه الفروض ، بل ما فسى ذلك الا الفساد البين لان هذا الذى تعرضتم له لا يفى به المغرب ولا يقوم معه بكم شىء ، ومسئلة هؤلاء أولاد طلحة ان كنت رأيت استخدامنا وأردت تقليدنا فى ذلك واقتفاء سيرتنا فيه فاعلم ان بيننا وبينكم فى هذه المسئلة فرقا من وجوه ، منها : ان مراکش ليست كفاس ، وان خدمتهم هنا لبعدهم عن بلادهم ليست كخدمتهم هناك ، وأيضا هؤلاء الناس أنا أعرفهم وكنت فى بلادهم ، وهذه الخدمة كانوا قد دلبوها منى وأنا هناك فوعدتهم اذ لا يمكننى وأنا ببلادهم الا مساعفتهم ، فلما جاءوا اليوم وطالبونا بالوعد لم يمكن الا الوفاء لهم به فعليه شرطنا عليهم مراکش وسكنها وعلى هذا الشرط استخدامهم ومع هذه الوجوه كلها والاعتبارات فقد ندمت والله على استخدامهم غاية الندامة ، وكنت فى ذلك على خطأ اذ كان الاولى ان كنا حاسناهم وتركناهم من الخدمة . وأما أنت ففى مندوحة عن هذا كله لانه لا وعد لك سابق حتى يلزمك الوفاء به ، ويمكنك أن تحيلهم على اذننا ومشورتنا فنكفهم عنك بالشرط الذى شرطنا عليهم من الخدمة هنا بمراكش وسكنها . وعلى هذا الشرط استخدامنا منهم من استخدامنا ، والى هذا فالذى نؤكد به عليك أن تنقصهم من الخدمة ولا تستخدم منهم حتى فارسا واحدا أصلا من الذين ذكرنا لك ومن غيرهم من كافة أولاد طلحة ، وأمرناك أن تنصل لهم فينا وتقول لهم : ان السلطان منعنى من استخدامكم هنا وتقرأ عليهم كتابنا الواصل اليكم صجة هذا لتفادى منهم ، ولكن الجفاء مع هذا كله لا تظهره ، بل تحسن اللقاء بهم وتواليهم باظهار البشر والقبول وباب الطمع تسده دونهم .

والذى شق علينا أعظم من هذا كله واستكرناه ولم نجد صبرا عليه هو ما وجدناهم قد أطلعوا عليه ، اعنى أولاد طلحة على بن محمد وغيره ، من أحوالكم وأخباركم وألفيناهم قد توصلوا من ذلك الى ما لم يتوصل اليه أحد من كبار خدامكم أهل بلادنا وخواص أهل بساتنا ، لان أهل بلادنا أحباء ما لهم بحث الا فى مصالح أنفسهم ، هؤلاء انما يتقنون ويبحثون عن الغرة وعورات المملكة . فاذا بكم تتخذونهم بطانة وأصدقاء وتطالعونهم

بأحوالكم وأموركم مع ان القوم لا زالوا ببلاد العدو وبين أظهرهم وما يطلعون عليه تحتاج تقطع وتجزم بأن الترك قد اطلعوا عليه حتى كأنهم شاهدوه ووقفوا بأنفسهم عليه . وأيضا لو كانوا أصدقاء ولا يريدون بنا الا خيرا فالقوم عرب لا يتحفظون على ما يطلعون عليه ولا يفهمون ما يحسن اخفاؤه ولا ابداءه ولا يتمالكون قولا ولا نطقا ؛ وبالجمله ، فقد أحرقتنا هذه المسئلة وتفطرت لها أكبادنا ، وصارت قلوبنا منها مطعونة وما عندكم علم بأن الناس كانوا يتحفظون في أقل الامور أن يطلع عليها الاجانب وان كانوا أحب من كل محب وأقرب من كل قريب . وهل ما عندكم علم بأن أخينا بابا منصور كان عرض له غرض ضعيف جدا أراد أن يطلبه من أخينا بابا عبد الله وحضر في المجلس منصور بن المزوار فلم يرد بابا منصور أفضنته أن يذكر ذلك حتى يشاور من بازائه لئلا يكون عيب في ذكر ذلك بمحضره ، فعليه شاور القائد دحو بن فرج - كان بازائه - فقال له : « هذا رجل برانى فلا تطلب شيئا قدامه ، على أن منصور بن المزوار هذا كان مع أسلافنا من أقرب ما اليهم من خواص الخدام أهل بساطنا محبة وقربا لانه أسلف معهم خدمة عظيمة ، فقد كان عدوا للترك وبينه وبينهم أرواح ، وحضر مع أخينا بابا حمو الحران جميع ما كان في تلك البلاد أيام استيلائه على المغرب الاوسط ، ثم مع بابا عبد القادر كذلك ، وشرب معهم الحلوة والمرة . ولما جاء من تلمسان جاء بأولاده منها راحلا كما جاء منها بابا عبد الله بأولاده ، وكما جاء معهم خدامنا أهل تلك البلاد ؛ وما زال على الخدمة والوفاء حتى حصلت له يد عظيمة مع أسلافنا وناهيك بمن بلغ الى ان قلدوه حاضرة تازا ثم بلاد الفحص التي لا تعطى كلتاها الا لأقرب الخدام الموثوق بمحبتهم وخدمتهم وقربهم ، ومع بلوغه الى هذا المبلغ كله محبة وصدقة وهجرة وانقطاعا حتى انه في دخول صالح رئيس مدينة فاس رحل بأولاده مع السلطان الى هنا كما فعل أهل هذه البلاد ، وحين دخلنا نحن من جهة الشرق لفاس رحلوا أيضا مع صاحب الجبل الى مراكش ، ولا يعدوا أنفسهم من هذا الجانب ابدا في الحديث والتقديم ؛ ثم ان الناس استبعدوا أن يطلبوا أقل المسائل بمحضره ، وقالوا انه برانى فضلا عن هؤلاء

الذين ما زالوا الى اليوم في بلاد العدو يباكرونه ويرأفون به فاذا بكم تنزلون معهم الى ان تطالعوهم على اموركم ريتوصلوا الى المعرفة بأحوالكم فما تالكنا لهذه المسئلة ولا وجدنا عليها صبرا . ومن جملة الامور التي غاظتنا وقلنا كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور أن على بن محمد كان يتكلم يوما معنا وأخذ يثنى عليكم في نجدتكم وصبركم عند الشدة وسخائكم عند الحاجة ، ثم قال : «الا أن الحيل ليست عنده لا في الحركة الاولى ولا في الثانية لان القبائل أهل الحيل امتنعوا من الحركة معه ، وهي التي غاظتني وقلت : كيف يتوصل الرجل البراني الى أمثال هذه الامور حتى اننا ما وجدنا الا الرد عليه وعكس ما عرفنا لانهم اعتقدوه وقلنا اللهم نسبة التقصير اليكم ولا اعتقادهم خلو البلاد من الحيل لاننا فهمنا منهم ذلك ، ولهذا أجبتهم وقلت له : ان ولدنا لم يعطهم شيئا وأعطى من لا يستحق من ضعفاء القواد المعروفين بأكل المال وعدم المخزنية ، ولو أعطى تلك القبائل لحشرها عليه لان أولاد مطاع عندهم من الحيل نحو الثلاثة آلاف ، وعند أولاد أبي عزيز نحو ألف ووصف ، وعند الغربية وعند أولاد عمران وعند عبدة وعند الشياظمة وعند أولاد أبي رأس وعند أحرر وعند المنابهة أهل سايس وعند المنابهة أصحاب عمر بن محمد عبو ، وجعلت اعدد له قبائل السوس وقبائل مراکش وأحصى له خيلهم بما بهته ، وقلت له : لو أنصفهم لحرك منهم معه ستة عشر ألفا أو أكثر ، ويكون قد ملأ بهم تلك البلاد ، وسال عليها من سيل العرم لا في الحركة الاولى ولا في الثانية ، ولو وجه اليهم المحركين والرماة لانتوهم أيضا بلا خلاص . والى هذا نوصيكم على المحافظة من أولئك الناس ومن رفع الحجاب لهم عن أموركم والاطلاع على أحوالكم وعدم الغفلة عن أمثال هذا . واعلم أن من جملة ما بلغنا أيضا ان الخلط رجعوا كلهم رماة على يد مصطفى باشا مع حديث عهدهم بالفساد والخلاف ، وكنا انتشينا معهم بالعودات فاذا بهم اليوم بالمدافع وعدة النار ؟ وهل هذا مما يجوز عليكم حتى تسمحوا فيه مع ان هذه المسائل ليست بغائبة عنكم سمعتموها بالسمع فقط ولا طويلة عهد حتى تنساها ، بالامس شاهدت وباشرت ورأيت فما الذي أنساك فعلهم وما

زال جرحهم الآن لم يبرأ ، لان خروج القائد مؤمن الخارج الآن ما كان الا اليهم . والآن نؤكد عليك أن تنقصهم من الخدمة ولا تسمع لمصطفى في هذه المسئلة ؛ وقد سمعنا أيضا أن قواد الفساد الذين عندكم من أولاد حسين قد صارت جملتهم من باب الخميس الى دار الديبيغ ، وكأنكم نسيتم أيضا ما عمل أولاد حسين بالامس دون بعد من النهب وأضرموا من الفساد في البلاد حتى ينزلوا تلك المنازل ؛ والى هذا فساعة وصوله اليكم تقبض على قواد الفساد هؤلاء خصوصا : أحمد بن عبد الحق من أولاد يحيى بن غانم الذي كان أبسوه حاجبا عند المرينى فهو أصل الفساد ، ثم لا تترك لقبائلهم جناحا واحدا . وزد للقائد مؤمن بن ملوك ألف رام ليستوفى لكم الغرض في هؤلاء وأمثالهم من كل ما تأمره به ، لان بقاء الرماة هنا لك ما فيه الا الاشتغال بالفساد في المدينة فتحتاج أن تتولاهم بالقتل كل يوم باطلا فكان خروجهم اذذاك دفعا لمضررتهم وجلبا للمصالح بهم ؛ وحتى الكاتب اللائق بأمثالكم ورسائلكم لم يكن عندكم لان كتبكم تأتى بخط سالم وهو غير عارف بالانشاء وتارة بخط الكريني وهو جاهل ، مع انك لما كنت خليفتنا وولى عهدنا كنت بصدد ان يكتب لك كل أحد لا صاحب الجزائر ولا صاحب تونس وحتى صاحب الترك وصاحب النصارى ، وكل من يكتب لنا من ملوك الارض بصدد أن يكتب لك فتحتاج حينئذ الى من يحسن الجواب عنك لكل من يكتب اليك ويكون أيضا ممن يوثق به فى المحافظة على أسراركم ، والى هذا فلا بد من تعيين قائد المحلة وحاجب وكاتب سرك وصاحب مشورك وصاحب المظالم كما هنا هو عندنا السيد على بن سليمان ، واعلم ان مما تحتاج ان تنبهك عليه مسئلة القواد الذين يريدون أن يحملوك أثقال أولادهم مثل ما فعلت في أولاد القائد بركة (*) واخوتهم الذين استخدمتهم وجعلت لهم خمسمائة أوقية ، فنؤكد عليك أن لا تستخدم منهم أحدا فما أعطينا سلا الا ليرفع فيها أولاده واخوته وكذلك الحكم فى أمثاله ممن أعطينا عملا وقلدناه قيادة ومن جملة من نحذرك من استخدامهم فى الرماية اهل الجبال من أهل

(*) لاله الذى تنسب اليه عين بركة الداخل ماؤها لمدينة سلا .

الصحفة والدينار فلا تستخدموا منهم أحدا والا فاعلموا أنكم ما أردتم حينئذ ان يغرموا لكم ولا يعطوكم شيئا ، وان أردتم الخدمة فهاهم أهل هذه البلاد مثل أهل السوس وأهل درعة وأهل مراکش ، فكل ما تستخدمون من هؤلاء فلا عليكم ، واذا لم يكن من هؤلاء وكان ولا بد من غيرهم فمن أهل فاس سكان الحاضرة ، وأما من عداهم فلا ؛ على ان الرماة أهل السوس هاهي هنا عندنا كثيرة ، فكل ما تريد منهم عرفنا نبعثهم اليك ونضيفهم الى خدمتك ، ونؤكد عليك أن تكتب بجواب هذه الامور كلها فصلا فصلا مع المملوك الحامل لهذا الكتاب ان شاء الله ولا بد ولا بد ، وهذا موجب اليكم ، والله يحرس بمنه علاكم والسلام . وفي مهل جمدي الاولى من عام أحد عشر وألف « اه » :

ثم لم يلبث المنصور أن بعث الى ولده زيلان - وكان خليفته على تادلا - يأمره أن يرسل مائة من الفرسان على طريق تاقبلات ، وكل من وجدوه قاصدا للغرب من ناحية مراکش بردونه ، وأرسل مولاة مسعود الدورى على طريق سلا يفعل مثل ذلك ، وخرج المنصور من مراکش* في اثنى عشر ألفا أوائل جمدي الاولى سنة احدى عشرة وألف ، وجد السير ، فلم يمض الا أيام قلائل حتى نزل بالدوح ، موضع قريب من فاس ، والشيخ فى جميع ذلك لا شعور له بخروج أبيه ولا بما هو عليه ؛ فبعث يوما عيونه يرصدون له من قدم من مراکش ، ويكشفون عن الخبر ، فما راعهم الا الاباطح تسيل بأعناق الجياد ، وأفواه الشعاب تقذف بالجيوش من بطون الاودية والوهاد ، لانهم كانوا قد عبيت عليهم الانباء بقطع المنصور للسابلة . فرجعوا الى الشيخ مسرعين ، والرعب يفت فى أعضادهم ويطفئ جذوة عزائمهم ، فقصوا عليه ما دهمهم وأخبروه بما رأوا ، فعلم أنه محاط به فلم يمكنه الا الفرار ؛ فركب من حينه وفر الى زاوية الشيخ الصالح أبى الشتاء من بلاد فشتالة قرب نهر ورغة . وكان الشيخ أبو الشتاء قد توفى قبل ذلك سنة سبع وتسعين وتسعمائة كما فى المرأة . فنزل بالزاوية ومعه بطائته وأصحاب دخلته من الاحداث

* بعد ان استخلف عليها ولده ابا فارس

رقرناء السوء ، فبلغ خبره المنصور فبعث اليه الباشا جوذرا مع القائد منصور النبلي ، وحلف لهما بأغلظ الايمان ان لم يأتياه به ليكرن بهما ويجعلهما عبرة ؛ فذهبا اليه فامتنع من الدخول في يدهما ، وانعزل في أصحابه حتى ناوشوه للقتال ، وتراموا بالنبال ، ثم قبضوا عليه وأتوا به الى المنصور في حبر طويل ، فأمر به الى مكناسة فسجن بها .

ودخل المنصور دار الملك من حضرة فاس الجديد وشكر الله على ما اولاه من الظفر والنصر من غير اراقة دم ، وتصدق في ذلك بأموال عظيمة ، وكتب بذلك الى ولده أبى فارس خليفته على مراکش يعلمه بماكيف الله له من الظفر والنصر ، ونص الكتاب .

« الى ولدنا الاجل الارضى "لاكمل الاسعد الاصعد الامجد الاسمى الاسنى بابا أبى فارس وصل الله كمالكم ونسنى بمنه آمالكم وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد ، فكتابنا هذا اليكم أسعدكم الله من محلتنا السعيدة بالمستقى ولا شىء الا ما جرت به الاقدار ، وحكم به الفاعل المختار ، وما جاء به من عجائب الدهر الليل والنهار ، وهى قضية أخيكم التى ثارت الى بها صروف الدهر من مكنى ، وطلعت على من مأمنى ، الا ان الله تعالى بصنعه الجميل كفانا أولا ، ثم شفانا آخرا لله الحمد دائما والشكر واطمنا ، وشرح ذلك أسعدكم الله ووقاكم السوء ان الحال كان انتهى فى معالجة أمره الذى تجاوزنا فى وجوه الخير اليه حد الاستقصا ، وأتينا فى محاولة استصلاحه من أحوال السياسة المرجوة النجح بما لا يحصى ، الى ما كنا سوغناه من ولاية سجلماسة بخراجها وخراج درعة وأبحنا له التوجه اليهما بجملته وجمعه ، رجاء أن تسكن بالانتباز اليهما نفرتة ، وتطمئن نفسه ويشوب اليه قلبه الطائر ، ويراجعه أنسه الحائر ، فأظهر أولا التوجه اليهما ، ونهض مرتحلا عن فاس موريا بالقدوم عليهما ، ثم بدا له على الحين فكر راجعا الى فاس ، ورجونا أن يكون قد ذهب عنه النفار والشماس ، وثاب لنفسه السكون والاستئناس ، فاذا به قد انطوى برجوعه على خلاف ما أظهر ، فأبدى ما أضمر ، فما كان الا ان طرأ عليه خبر نزولنا بالدوح فلم يتمالك أن أقلع ليلة الخميس خامس

عشر شهر تاريخه اقلاعا أزعجه من الدار فريدا ، وطارت به النفرة الى أن حل بزأوية الشيخ ابي الشتاء وحيداً، فتلاحق به من جيش رماته اليكشارية ومتفرقة سمسرة الفتن وطلائع الشؤم والمحن جمع عظيم ، وعدد من كثرته لا يريم ، فبادرت حينئذ بتجهيز جوذر باشا من غير اغفال في خمسمائة صباحية ومعه القائد مؤمن بن ملوك في خمسمائة فارس ، ثم أردفناه ببعوث أخر نألبت اليه وتناثلت عليه تناهز الالفين ورماة بابا زيدان حفظه الله فأحدثت به من كل الجهات ، وملكوا عليه الفجاج والشيآت ، ونحن مع ذلك خلال هذه الاحوال لم نهمل مقابلة نفره بالتسكين ، وما يخشن من أحواله بالتلين ، بارسال المرابطين تجاهه بمواثيق تهنيه ، وعهود تؤمنه وتقرب أمانه، رجاء أن يثوب اليه نائب استبصار ، أو يخطر له خاطر اقلاع عما هو عليه واقصار ، وقرناء السوء المتلاحقون به من جيشه يقدحون للشر نارا ، ويزينون له عقوقا ونفارا ، فدهمتهم حينئذ عساكرنا المظفرة بالله في مصافهم دونه ودارت بين الفريقين حرب عظيمة فخدمت النار من وقت الظهر الى العصر فأظهر الله تعالى فئة الحق على فئة الباطل ، وقضى بما جرى به القضاء المحتوم الحكم العادل ، وكتبناه اليكم وقد حصل في القبضه كما سبق به القضاء والقدر، وجعل بمكان الاحتياط عليه من مكناسة فكانت مشيئة الله في ذلك من احدى العجائب والاعبر ، وعرفناكم أسعدكم الله لتستشعروا صنع الله في هذه الداهية التي فجئت بها الايام ودهمت ، والغاشية التي اعتكرت وادلهمت ، وتقذروا ما صنع الله في ذلك من حسن العاقبة حق قدره ، وتشكروه فهو الجدير بجميل حمد كل لسان وشكره ، ونسأله تعالى أن يجعلكم في حيز الكفاية ، وجانب الوقاية حتى لا تساؤا بقريب مأمون ، ولا بعيد مظنون ، وفي ليلة الثلاثاء الموفى عشرين من جمدى الاولى عام أحد عشر وألف ، اه .

نسم ان أم الشيخ واسمها الخيزران بعثت الى أعيان مراكش الذين قدموا مع المنصور. ترغب اليهم في أن يشفعوا لولدها عند أبيه ويعتذروا عنه بما يزيل ما في باطنه عليه ، فتقدموا الى المنصور وقالوا له : « ان الشيخ قد صلحت حالته ، وتاب مما كان عازما عليه ، وانه ندم على ما قرط منه ،

(الاستقصا - خامس - 12)

فقال لهم : « اذهبوا الى مكناسة واختبروا أمره كافيا ، وانظروا هل رجس عن أباطيله ، وتتصل من أضاليله » : فلما أتوه وجدوه أخبث مما تركوه وعانوا منه من القبائح ما يقصر عن وصفه اللسان ، فلما جلسوا اليه في محبسه لم يسألهم الا عن اصحاب بطانته وقرناء السوء من اهل غيه ، ولم يظهر الاسف الا على تلك العصابة وآثم اهل الاصابة .

وكان من الاعيان الذين وجههم المنصور أولا وآخر ا اولاد الشيخ ابي عمرو القسطلی ، واولاد الشيخ ابي محمد عبد الله بن ساسی ، واولاد الشيخ ابي زكرياء يحيى بن بكار وغيرهم . فلما رجعوا الى المنصور من مكناسة سألهم عن الخبر فنافق بعضهم وقال : « وجدناه تائبا نادما على ما صدر منه » وتكلم بعض اولاد الشيخ ابن ساسی فقال : « لا والله لا داهنت في حق الله ولا واجهت الامير بالحديعة ، ان ولدك لا نأذن لك أن تؤمره على اثنين ولا تحكمه على عيال الله فانا وجدناه خيث الطوية قبيح السريرة لم يندم على ما فرط منه ، فسكت الحاضرون ولم يتكلم أحد ، فقال لهم المنصور : « لاقتوني في أمر هذا الولد ؟ » فلم يجبه أحد الا باشاء عبد العزيز بن سعيد الوزكيتي فانه قال له : « الرأي أن تقتله ، فانه لا ينجبر أمره ولا يرجى صلاحه وقد رأيت ما صنع ، فلم يعجب المنصور ذلك وقال : « كيف أقتل ولدي ؟ » ثم بعث الى مكناسة يأمر بالتضييق على الشيخ والزيادة عليه في ذلك . ثم خرج المنصور فنزل بمحلته في ظهر الزاوية قاصدا مراکش بعد ان استخلف ابنه زيدان على فاس وأعمالها ، وقد كان كتب الى ولده ابي فارس خليفته على مراکش برسالة أجابه فيها عما كتب به اليه في شأن الوباء الذي ظهر بالسوس ومراكش هل يفر منه أم لا . ونصها :

« من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الامام الخليفة المنصور بالله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسنی أيد الله بعزیز نصره وأوامره وظفر عساكره ، وأسعد بمنه موارده ومصادره ، الى ولدنا الاجل الافضل الاكمل الاعز الاير الاسعد الامجد الارضى بابا ابي فارس ، وصل الله تعالى عنايتكم ووالى بمنه رعايتكم وسلام عليكم ورحمة الله . اما بعد ، فكتابنا هذا

اليكم من حضرتنا العالية بالله المدينة البيضاء حاطها الله عن الخير والعافية ،
 ونعم الله المتوافية ، لله الحمد وله المنة ، وانه اتصل بعلى مقامنا كتابكم الاعز
 عشية يوم الثلاثاء فكشبتنا اليكم صبيحة يوم الاربعاء ، ولولا انه وصل يوم
 الديوان ما كنا نؤخر كتب الجواب لكم عن ساعة وصوله في اليوم بنفسه
 حرصا منا بذلك على المبادرة بوصوله اليكم في الحين ؛ والى هذا أسعدكم الله
 ان أول ما تبادرون به قبل كل شيء هو خروجكم اذا لاح لكم شيء من
 علامات الوباء ولو أقل القليل حتى بشخص واحد ، ويبقى في القصبة وصيفنا
 مسعود مع القائد محمد بن موسى بن أبي بكر ، وتركوا مائة رام تثقون بها
 من رمايتكم مع أصحاب السقيف وتكملون على الله وتخرجون بالسلامة ، ثم
 لا تعملوا كعملنا في الاقتصار على الرميعة والتقلب بها ، بل لا تزيدوا اذا
 خرجتم على المقام أكثر من يومين ، ثم اطوا المراحل الى ان تنزلوا بسلا
 وتدخلوها دخول هناء وعافية ان شاء الله ، وهناك يكون لقاءنا بكم لقاء يمن
 وسعادة ان شاء الله ، ثم لا تغفلوا عن استعمال الترياق اسعدكم الله فلازموه ،
 واذا استشعرت من حرارة وتخوفتموها فاستعملوا من الوزن الوصف
 المعروف منه ولا تهملوه . وأما ولدك حفظه الله فلما كان من سن الشبيبة
 بحيث يمنعه الحال من المداومة على الترياق فهامى الشربة المعروفة النافعة
 لذلك قد تركناها كثيرة هناك عند التونسي ، فيكون يستعملها هو والابناء
 الصغار المحفوظون بالله ، حتى اذا أحس ببرد المعدة من أجلها تعطوه الترياق
 المرة والمرتين على قدر الحاجة فيعود اليها والله تعالى بمنه وبحرمة صفوة
 خلقه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم يتولى حمايتكم جميعا ويحلكم من
 جميل كلاته ورعايته حصنا منيعا ، وأر يعافى البلاد والعباد بمنه وفضله ؛
 والسلعة أسعدكم الله تبادرون بارسالها إلينا ، وكذلك القائد مسعود النبلي
 تعزمون بارساله الى حيث أمرناه بالمقام من خنق الوادي بالسوس وطريق
 تاحظيشت ؛ واعلم أسعدكم الله ما قطع أرضانا أن أمرها يتم ، وقبل عقلنا
 الكريم ان أهل درن يتجرون بسببها ، ولكن هذا سبب يكون حجة عليهم
 ان شاء الله ، وأنتم تحاولون اسعدكم الله سلوك الناس على بويان على العادة ،

وتجهدوا في أن تكون ان شاء الله سابلة ، وأولائكم أعنى أهل طريق تاحظيشت
يسكت عنهم حتى نصل بخير وعافية لتلكم البلاد ان شاء الله . ومسألة ايسى
التي كتبت لكم من خنق الوادي على الزرع وانه ما عندهم ما يكفيهم منه
سوى شهر فلقد كنا كتبنا لكم أسعدكم الله على حمل الزرع اليهم على البحر،
فان كان قد تيسر ذلك فيكون قد بلغ اليهم وان لم يكن ذلك قد تيسر فلنأمر
ايسى هذا بالتدبير على الزرع ولو بالشراء والزموه وعهدته وشددوا عليه في
أمره ، وخالنا القائد حمو بن محمد الذي استأذنكم في الخروج عن ذلكم المرض
من المحمدية(*) فاذا تفاحش فلا عليه في الخروج ويلتحق بأهل تلك المحلة
بخنق الوادي ويترك في القصبة أهل الاندلس مع قائدهم . ومسئلة مؤمن بن
منصور مع هكسيمة التي ذكرتم أسعدكم الله ان مؤمنا قد تناقل بدمناات بسبب
مرض ألم به حتى جاء به شاوش ، وان أخاه ذلكم المفسود بعث اليه يلتقي
معه بتامصلوحت فعلى بركة الله والحاضر بصيرة ، وهذا موجه اليكم ، والله
يصل بمنه رعايتكم والسلام . وفي يوم الاربعاء رابع عشر رمضان المعظم عام
أحد عشر وألف ، عرفنا الله خيره وبركه . وبعد أن كتبنا لكم هذا بلغنا
كتابكم ونحن نجيبكم عما تحتاجون اى الجواب عنه ، والبطاقة التي ترد
عليكم من السوس من عند الحاكم أو ولد خالكم أو غيرهما لا تقرأ ولا تدخل
دارا بل تعطى لكتابكم هو يتولى قراءتها ويعرفكم مضمونها ، ولاجل ان كتابكم
يدخل مجلسكم ويلابس مقامكم حتى هو لا يفتحها الا بعد أن تغمس في خل
ثقيف وتشر حتى تيسر وحينئذ يقرأها ويعرفكم بمضمونها اذ ليس يأتيكم من
السوس - والله سبحانه أعلم - ما يوجب الكتمان عن مثل كتابكم ؛ وقد طالعا
كتاب ولد خالكم أحمد بن محمد الصغير وصح عندنا من فحوى كلامه ما
ذكرتم عنه من أنه أكثر من خبر الوباء ليجده ذريعة للخروج من السوس ،
والذي تأمرونه به أنكم تحذرونه من القدوم عليكم بمراكش ، وإن ذلك لا

(*) المحمدية هي تارودانت نسبة الى محمد (فتحا) الشيخ بن القائم بأمر الله، وغالب

السكتة السعدية ضرب بها

يرضينا منه ، وكيف يروم الخروج من موضع عيناه له من غير أمرنا لاسيما مع غيبتنا عن البلاد ، وانه ان فعل ذلك لا محالة تسقط منزلته عندنا ، ثم لا يعود أبدا اليها ، الا ان تفاحش المرض بتلك الناحية فلا عليه في الخروج والتنقل قرب البلاد أو يلتحق بمحلة أصحابه الذين يخفق الوادى . وأما ما ذكرتم عن محمد بن عبد الرحمن الوردى فقد طالعنا الجريدة التى جرد لكم وتصفحناها ورأينا أن جل ما يطلبه بها لا يمكن مع غيبتنا ، والذي نأمركم به فى مسئلته أنكم تحاولون فى رده لموضعه فانه بذلك الموضع أليق من أخيه بكثير ، وكل ما يمكنكم من أغراضه المسطرة فاقضوه له ، وما لا يمكن عدوه به عند قدومنا ان شاء الله . وأما أمر أخى أحمد بن الحسن الذى عيناه لجباية درعة وذكركم أنه غير لائق بها وأنكم استصغرتموه عن تلك العمالة فلا شك أنه كما ذكرتم ، ولكن انما وقع الاختيار عليه لامرين : الاول الذمة لانه بماله ولا نخشى ان شاء الله على مالنا ، الثانى ان خراج درعة سهل معلوم ، ولعله يكره هذه الولاية ويحب الجلوس بداره ويفرى من يتكلم فيه عندكم ، فان كان من ذكره لكم مثل مسعود أوتاودى فاتهمه ؟ وقد طالعنا فى جريدتكم انكم وجهتم مع زرع المعاصر مائة رام ، وهذا الذى ذكرتم ما نعلم انا كتبنا لكم عليه قط ، وانما كتبنا لكم على الزرع تحملونه فى البحر برسم المحلة التى هناكم يخفق الوادى ، فان كان هو هذا فنحن أردناه للمحلة ، وان كان غيره فعرفنا بقضيته ، فان زرع المعاصر انما يلزم اليهود والنصارى المكثرين للمعاصر ، وفيها أيضا ما أخبركم به أحمد بن محمد بن موسى بخبر ما سقط من القنطرة ، وانكم عنفتموه على عدم المبادرة وقد أشكل علينا الامر لانكم لم تعرفوا مقامنا بالساقط هل هو من القديم أو من هذا الاصلاح الذى أمرنا به فعرفنا لنكون على بصيرة من ذلك ؟ وفيها أيضا مسألة أولاد طاحنة قدبروا عليهم اما من عند ايسى أو غيره حتى لا يرجعون الينا شاكين . وولد ابراهيم بن الحداد الى الآن لم يصل ، وزمام الاسرى وصل . واما الدراقة التى ذكرتم فيها السلة المعدة لها عند صاحب بيت ثيابنا ، فوجه ليوسف العبد حتى تكلمه ومره يخرجها من عنده وركبها فى موضعها ولا تركب التى عندكم

بل تمسكونها لانفسكم . واعلم انى تركت عند اولئك المعلمين أعنى معلمى
بركاضو سلاتى برسم ابنتنا العزيزة طاهرة صانها الله وكلاها ، وحيث يفرغون
من الدراقة اجمعهم عليها كى نجد ذلك طالما ان شاء الله فاننا قد أمرنا بنسج
دراوق تلکم السلاتى* . هذاء والمراد أن نجد السلاتى قد فرغ منها ان شاء الله .
وقصر الحيل مع الحمام حرض المعلمين على المبادرة باشتغالهما بهما ، وحاول
ان تسقفوا ذلك البلاط الذى يوالى سور القصبة من قصر الحيل والقبه التى
فيه لنجده كاملا ان شاء الله عند قدومنا عليكم ، وحتى سوارى الرخام
ركبوها فى تلك الجهة اذا سققتم ، ولا تزالوا تعرفونا بما تزايد من الاشغال فى
الموضعين المذكورين . وأوصيكم أعزكم الله أن تتفقدوا فرسنا الاحمر الصغير
ولا تتركوهم يعطونه القصيل لثلا يكثر لحمه ويزداد ألمه ، بل انظر له من
يركبه كل يوم بل لا تنزع السرج بالكلية عن ظهره بياض النهار كله .
أو أعطوه لصاحب المسرة يركبه فى ذهابه وإيابه لداره والمسرة ، وأوصوه
أن لا يركبه غيره ولا ينزل عن ظهره النهار كله . وأوصيكم أيضا اذا ظهر
المرض بترككم الناحية وخرجتم خروج يمن وسلامة بحول الله وقوته أن لا تتركوا
وراءكم بنت عمكم والددة ولدنا العزيز بابا عبد الملك حفظه الله . وامر يوسف
العبد أن يخرج لكم من عند صاحب بيت الثياب القدر المحتاج اليه من الترياق
الجديد الذى كان بقبة المشور ويدخل على أيديكم لدارنا ، واستدعوا أم المال
قهرمانة الدار واعطها اياه برسم أهل دارنا ، وأمرها أن تعطيهم اياه فى كل
رابع من اليوم الذى يأكلونه فيه ، وهى أيضا تأكل منه ، والعبد يوسف أيضا
يأكل منه وحتى صاحب السقيف أعطوه منه أعنى مسعود بن مبارك ، والله
سبحانه يرعاكم ويتولى حفظكم أتم وأولادكم وقد استودعناكم الله الذى لا
تضيع لديه الودائع ، وأتم فى أمان الله وحفظه ، والله سبحانه خليفتى عليكم
أتم فى يمين الرحمن وكلتا يديه يمين ، والسلام الاثم عائد عليكم ورحمة الله
تعالى وبركاته ، ونسلم على ولدنا الاعز الارضى بابا عبد الملك ، وعلى ابنتنا
الرضية سيدة الملك ونحن فى غاية الاشتياق والتوحيش لها جمع الله بكم الشمل

* لعل العبارة فيها قلب وأصلها : بنسج سلاتى تلکم الدراوق .

جميعا آمين، بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله خير آل والسلام اه
قال مؤلفه عفا الله عنه : قد وقع فى كلام المنصور رحمه الله أمران
يحتاجان الى التنبيه عليهما ، الاول : اذنه لولده ابى فارس فى الخروج من
مراكش اذا ظهر بها أثر الوباء ولو شيئا يسيرا وهذا الامر محظور فى الشرع
كما هو معلوم ومصرح به فى الاحاديث ، والثانى : أمره أياه أن لا يقرأ
البطائق الواردة عليه من السوس وانما يتولى قراءتها كاتبه بعد أن تنفس فى
الحل ، وهذا عمل من أعمال الفرنج ومن يسلك طريقهم فى تحفظهم من
الوباء المسمى عندهم بالكرتينة ، وقد اتفق لى فيها كلام أذكره هنا تسميها
للفائدة ، وذلك انه لما كانت سنة ست وتسعين ومائتين وألف عرض لنا سفر
الى حضرة السلطان المولى أبى على الحسن بن محمد الشريف أيده الله عز
وجل بمراكش المحروسة بالله فخرجنا من سلا أواخر ربيع الاول من السنة
المذكورة ، ومررنا فى طريقنا على المحب القائد الانبل أبى عبد الله محمد بن
ادريس الجرارى بئر الجديدة ، وهو يومئذ متول لعمليها ، فأجل قدومنا على
عادته حفظه الله فى محبة العلم ومن ينتمى اليه ، وحضر معنا عنده بعض فقهاء
الوقت ، وكانت السنة سنة وباء ، فجرت المذاكرة فيما يستعمله النصارى فى
أمر الكرتينة من حبس المسافرين وشذاذ الاتفاق عن المرور بالسبل والدخول
الى الامصار والقرى ومنع الناس من مرافقهم وأسباب معاشهم ؛ وحصل
التوقف تلك الساعة فى حكمها الشرعى ما ذا يكون لو أجريت على قواعد
الفقه ، ثم بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر وقفت على رحلة العلامة الشيخ رفاعه
الطهطاوى المصرى فى اخبار باريز فرأيت ذكر فى صدرها : انه وقعت
المحاورة بين العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد المناعى التونسى المالكى المدرس
بجامع الزيتونة ، ومفتى الحنفية بها العلامة الشيخ أبى عبد الله محمد البيرم
فى اباحة الكرتينة وحظرها ، فقال المالكى بحرمتها وألف فى ذلك رسالة ،
واعتماده فى الاستدلال فيها على ان الكرتينة من جملة الفراء من القضاء .
وقال الحنفى باباحتها ، واستدل على ذلك من الكتاب والسنة أيضا . فلما
وقفت على هذا الكلام تجدد لى النظر فى حكم هذه الكرتينة وظهر لى أن

القول بإباحتها أو حرمتها منظور فيه الى ما اشتملت عليه من مصلحة ومفسدة ولو مرسلة على ما هو المعروف من مذهب مالك رحمه الله ، ثم يوازن بينهما وأيتهما رجحت على الاخرى عمل عليها ، فان استوتا كان درء المفسدة مقدما على جلب المصلحة كما هو معلوم في أصول الفقه ، ونحن اذا امعنا النظر في هذه الكرتينة وجدناها تشتمل على مصلحة وعلى مفسدة ، اما المصلحة فهي : سلامة أهل البلد المستعملين لها من ضرر الوباء ، وهذه المصلحة كما ترى غير محققة بل ولا مظنونة ، لانه ليست السلامة مقرونة بها كما يزعمون وانه مهما استعملها أهل قطر أو بلد الا ويسلمون لا دائما ولا غالبا بل الكثير أو الاكثر انهم يستعملونها ويبالغون في اقامة قوانينها ثم يصيبهم ما فروا منه كما هو مشاهد ، ومن زعم ان السلامة مقرونة بهذا دائما أو غالبا فعليه البيان اذ البينة على المدعى ، فتتج من هذا أن مصلحة الكرتينة مشكوكة أو معدومة ، واذا كانت كذلك فلا يلتفت اليها شرعا بل ولا طبعا لانها حينئذ من قبيل العبث .

وأما المفسدة فهي : دنيوية ودينية ، أما الدنيوية فهي الاضرار بالتجار وسائر المسافرين الى الاقطار بحبسهم وتعويقهم عن أغراضهم وتعطيل مرافقهم على أبلغ الوجوه وأقبحها كما هو معلوم ، واما الدينية فهي تشويش عقائد عوام المؤمنين والقدح في توكلهم وإيهام ان ذلك دافع لقضاء الله تعالى وعاصم منه ، وناهيك بهما مفسدتين محقتين ترتكبان لشيء يكون أو لا يكون ، فان العامة - لقصور افهامهم - قد تذهب او هامهم مع هذه الظواهر فيقفون معها ويقعون في ورطة ضعف الايمان عياذا بالله فان قلت : هذا الكلام فيه ميل الى سوء الظن بالعامة وهم جمهور الامة . قلت : ليس فيه ميل الى سوء الظن بهم وانما فيه تقرير الخوف عليهم والاحتياط لهم حتى لا تتركهم هملا يفعلون ما شاؤا أو يفعل بهم ما يضرهم في دينهم ودنياهم مع ان سد الذريعة قاعدة من قواعد الشرع لاسيما في المذهب المالكي ، ولامر ما جاءت الشريعة المطهرة ممثلة من التحذيرات من مكامن هذه المفاسد ونحوها ورد الاسباب والمسببات كلها الى الله تعالى . مع ما في استعمال هذه الكرتينة من الاقتداء بالاعاجم والتزيى بزي الكفرة الضلال ورمقهم بعين التعظيم ونسبتهم الى الاصابة والحكمة كما

قد يصرح به الحمقى من العوام . فاما اذا وافق قدر بالسلامة عند استعمالها فهي الفتنة والعياذ بالله ؟ فاي مفسدة اقبح من هذه ؟ فالحاصل ان الكرتينة اشتملت على مفسد كل منها محقق فتعين القول بحرمتها ، وجلب النصوص الشاهدة لذلك من الشريعة لا تعوز البصير . وقد ذكر العلامة الحافظ القسطلاني في تفسير سورة النساء من الجامع الصحيح عند قوله تعالى : « ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم » ما نصه : « دل ذلك على وجوب الحذر من جميع المضار المظنونة ومن ثم علم أن العلاج بالدواء والاحتراز عن الوباء والتحرز عن الجلوس تحت الجدار المائل واجب ، اهـ . وهو يقتضى بظاهره أن الاحتراز عن الوباء واجب بأى وجه كان ، ولا يخفى أنه يتعين تقييده بالوجه الذى ليس فيه مفسدة شرعية ، كعدم القدوم على الارض التى بها الوباء ونحو ذلك مما وردت به السنة ولا تأباه قواعد الشريعة كبعض العلاجات المستعملة فى ابائه المنقولة عن أئمة الطب ، اما بالوجه الذى يشتمل على مفسدة أو مفسد كهذه الكرتينة فلا . هذا ما تحرر لنا فى هذه المسئلة والله أعلم .

ولما وقف على هذا الكلام اخونا فى الله العلامة الاستاذ أبو محمد عبد الله بن الهاشمى بن خضراء السلاوى وهو اليوم قاضى حضرة مراکش كتب الى ما نصه : « وأما حكم الكرتينة فهو ما ذكرتم من الحظر وبه أقول لما فيه من الفرار من القضاء مع المفسد العظيمة التى لا تفى بها مصلحتها على فرض تحققها أو غلبة ظن حصولها سيما وقد انتفيا بعد التجربة المتكررة فى الجهات المتعددة ، ولا يخالف فى هذا الحكم الا مكابر متبع للهوى فماذا بعد الحق الا الضلال ، ثم جلب حفظه الله من النصوص ما يشهد لذلك ، تركناها اختصارا والله تعالى الموفق بمنه .



وفاة المنصور رحمه الله



كان المنصور رحمه الله بعد فراغه من قضية ابنه المأمون قد عزم على الرجوع الى مراكش ، فلما بلغه ظهور الوباء بتلك الناحية تربص الى أن دخلت سنة اثنتى عشرة وألف فانتشر الوباء فى بلاد الغرب أيضا فكان مصاب المنصور به على ما نذكره .

قال صاحب الاصلية وهو الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسى المعروف بأبى محلى : « كنا نسمع أن السلطان المنصور اذا خرج من مراكش قاصدا مدينة فاس لا يرجع الى مراكش ، وذاع هذا الخبر فى الناس قبل نزوله فكان الامر كذلك ، ثم لا أدري من أين للناس بذلك ، هل أنطقهم الله به أو عن علم تلقوه عن أربابه وكأنه الاشبه والله أعلم ، قال : « ومن هذا ما ذكره بعضهم أيضا لكن بعد الوقوع والنزول ، ان دخول رايات أبى العباس المنصور فى حياته للسودان واستيلاءه على سلطانها سكية فى دار امارته كاغو مع تنبكتو وأعمالها ، كل ذلك من امارات خروج الامام المهدي الفاطمى ؛ وكذلك الوباء المنتشر فى هذه الاعوام وكثرة الهرج والغلاء فى سائر البلاد حتى الآن ، وبقي من امارات خروجه فيما نسمع فتح وهران اما على يده أو باذنه فيما يقوله من لا علم عنده بحقيقة الامر ، اه .

وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجديد قرب سيدى عميرة يوم الاربعاء حادى عشر ربيع النبوى سنة اثنتى عشرة وألف ، ودخل الى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم واحتل بها بعد الغروب وتوفى هنالك ليلة الاثنين الموالى لتاريخه ، ودفن بازاء مقصورة الجامع الاعظم هنالك ضحوة يوم الاثنين المذكور ، وحضر جنازته ولده زيدان وقدم للصلاة عليه مفتى فاس وخطيب جامع القرويين بها الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار قال اليفرنى : « كانت وفاة المنصور بالوباء ، وقال الشيخ أبو محمد عبد الله بن يعقوب السملالى فى شرحه لجامع شامل بهرام : « كان بالمغرب وباء

استطال به من سنة سبع الى سنة ست عشرة وألف ، وعم سهل المغرب وجبله
 حنى أفنى أكثر الخلق ومات به جمع من الاعيان ، وبه مات السلطان أبو العباس
 أحمد المنصور رحمه الله ، ونحوه ذكره صاحب الفوائد وغيره . قال اليفرنى :
 « وبه تعلم أن ما شاع على اللسنة من ان المنصور سمه ولده زيدان بإشارة من
 أمه الشبانية فى باكور أوائل ظهوره ، وقطع عنه الاطباء الى أن هلك ، وان
 المنصور لما أحس بذلك قال : استعجلتها يازيدان لا هناك الله بهما ؛ أو كلاما
 هذا معناه ، : قالوا : وبسبب ذلك لم تنصر لزيدان راية ، فانه انهزم فى
 زهاء سبع وعشرين معركة كله كذب لا أصل له ، لان المنصور طعن بالبواب
 ولم يذكر أحد ممن يوثق به ما شاع على السنة العامة وأضرابهم من الطلبة ،
 اه . ثم نقل المنصور رحمه الله بعد دفنه الى مراکش فدفن بها فى قبور الاشراف
 قبل جامع المنصور من القصبة ، وقبره هنالك شهير عليه بناء حفيل ، ومما
 نقش على رخامة قبره هذه الايات .

به المعالى تفتخر	هذا ضريح من غدت
لكل مجد مبتكر	أحمد منصور اللوا
بكل نعمى تستمر	يا رحمة الله اسرعى
من رضاه منهمر	وباكرى الرمس بما
ند كذكره العطر	وطيى نراه من
ة دون تفنيد ذكر	وافق تاريخ الوفا
عند ملك مقتدر	مقعد صدق داره



بقية اخبار المنصور وبعض سيرته



كان المنصور رحمه الله حسن السياسة حازما يقظا مشاورا فى مهمات الامور ، وكان قد اتخذ يوم الاربعاء للمشورة ، وسماه يوم الديوان ، تجتمع فيه وجوه الدولة ويتطرحون فيه وجوه الراى فيما ينوب من جلائل الامور وعظيم السوازل ؛ وهناك يظهر شكايته من لم يجد سبيلا للوصول الى السلطان ، قالوا : ومن حزمه انه كان متطلعا لخبار النواحي بحاثا عنها ، غير متراخ فى قراءة ما يرد عليه من رسائل عماله ولا يبطىء بالجواب ، ويقول : « كل شىء يقبل التأخير الا مجاوبة العمال عن رسائلهم » . وكان الكتاب لا يفارقون مراكزهم الا فى اوقات مخصوصة .

قال الفشتالى : « ولقد كنا بالباب يوما - يعنى معشر الكتاب - قبل أن يخرج المنصور فورد النذير على الكاتب أبى عبد الله محمد بن على الفشتالى بأن ولدا له فى النزاع فلم يملك نفسه أن ذهب الى داره ، فخرج المنصور على اثره فسأل عنه ، فقليل انه ذهب الى داره ، فاستشاط غضبا وبعث اليه فجىء به مزعجا ، وما شككنا فى عقوبته ، فلما مثل بين يديه قال له : « ما الذى ذهب بك ؟ » فذكر له أمر ولده وانه اشتد به المرض ولم ينجع فيه دواء طبيب ، فرق له وقال : « ان امراض الصبيان قلما ينجع فيها الا طب العجائز ، ولا كعجائز دارنا فابعث من يسألهن » .

ومن حزمه انه اخترع أشكالا من الخط على عدد حروف المعجم وكان يكتب بها فيما يريد أن لا يطلع عليه أحد يمزج فيها الخط المتعارف فيصير الكتاب مغلقا ، فاذا سقط ووقع فى يد عدو أو غيره لا يدري ما فيه ولا يعرف معنى ما اشتمل عليه ؛ فكان اذا جهز أحد أولاده ناوله خطا من تلك الخطوط يفك بها رسائله اليه ويكتب عنوانه كذلك .

ومن ضبطه أنه تعلم الخط المشرقى فكان يكتب به علماء المشرق كتابة كاحسن ما يوجد فى خط المشاركة ، ومما وقع له فى ذلك : أنه بعث بطاقة

بخط يده على طريقة أهل المشرق لكاتبه أبى عبد الله ابن عيسى يسندعى منه كتابا ، فبعثه ابن عيسى إليه وبعث معه بهذين البيتين :

سقتنى كؤس السرور دهاقا خطوط أتنسى فى مهرق

رأت كف أحمد فى الغرب بحرا فجاءت إليه من المشرق

وكان المنصور على ما هو عليه من ضخامة الملك وسعة الخراج يوظف على الرعية أموالا طائلة يلزمهم بأدائها ، وزاد الأمر على ما كان عليه فى عهد أبيه حسبا مر ، وكانت الرعية تشتكى ذلك منه ونالها اجحاف منه ومن عماله ، وكان غير متوقف فى الدماء ولا هيب للوقعة فيها . قال اليفرنى : « وتبع ما وقع فى ذلك يناقض المقصود من الاغضاء عن العورات والسنن على الفضائح ، وقد ألعنا لك بما يكون دالا على ما وراءه » . وذكر أن بعض عمال المنصور عدا على امرأة من دكالة فأخذ منها أموالا فقدمت المرأة على المنصور بمراكش تشكو له ما نالها من عامله ، فلم يشكها ولا كشف ظلامتها فخرجت الى أولادها بالباب وقالت لهم : « انصرفوا فانى كنت أظن ان راس العين صافية فاذا بها مكدره فلذا تكدرت مصارفها » .

ويحكى أن الفقيه القاضى أبا مالك عبد الواحد الحميدى قد سافر فى جمع من فقهاء فاس وأعيانها الى مراكش بقصد العيد مع المنصور كما هى العادة ، فمروا فى طريقهم على جماعة رجال ونساء قد سلخوا فى سلسلة واحدة ، وفيهم امرأة أخذها الطلق وهى فى كرب المخاض ، فرأوا من ذلك ما أهمهم وأحزنهم ؟ فبقى ذلك فى نفس القاضى ، فلما جلس الى المنصور ذكره له وأظهر الشكاية منه ، فسكت المنصور عن جوابه وهجره على ذلك أياما ، ثم ان القاضى تطف فى القول وأظهر التوبة مما صدر منه وعدها بادرة ، فقال له المنصور : « لولا ما رأيت ما أمكنك أن تجيء مع أصحابك مسيرة عشرة أيام فى أمن ودعة ، فان أهل المغرب مجانين مارستانهم هى السلاسل والاغلال » .

ولقد وفد القاضى المذكور على المنصور فى بعض المواسم مع الفقهاء فلما انصرفوا من الحضرة جمعهم الطريق بأرباب الموسيقى وأصحاب الاغانى

من أهل فاس ، وقد كانوا وفدوا أيضا على المنصور على سبيل العادة ، فأخرج بعضهم شبابة من الابريز مرصعة أعطاه اياها المنصور ، وبعضهم قال أعطاني كذا ، وقال الآخر أجازني بكذا ؛ مما لم يعط مثله للقاضي وشيعته من الفقهاء ، فقال القاضي : « لئن بلغت فاسا لأردن أولادى الى صنعة الموسيقى ، فان صنعة العلم كاسدة ، ولولا ان الموسيقى هى العلم العزيز ما رجعنا مخفقين ، ورجع المغنى بشبابة الابريز ، فنقل الى المنصور هذا الكلام فلذعه عليه يسير من الملام .

وذكر أبو زيد فى الفوائد ما صورته : « عدا محمد الكبير خال المنصور على رجل بدرعة فى ضيعة له فسكاه الى المنصور ، فقال له : « كم تساوى ضيعتك ؟ » قال : « سبعمائة اوقية » قال : « خذها وقل لحالى الموعد بينى وبينك الموقف الذى لا أكون أنا فيه سلطان ولا أنت خال السلطان » فرجع صاحب الضيعة وأبلغ الى العامل كلام المنصور ، فأمسك برأسه ساعة ثم قال له : « ألحق بضيعتك ، وغرم له كل ما أكل منها » اهـ .

وقال فى المناهل : « كان للمنصور مصانع اخترعها وماثر خلفها منها : المعقلان الكبيران اللذان أنشأهما بفاس ، أحدهما خارج باب عجيسة ، والآخر قبالة باب الفتوح ؛ وهذان المعقلان يعرفان عند العامة بالبستيون ، وهما من الاتقان بحيث لا يعرف قدرهما الا من وقف عليهما ، وكان الشروع فى بنائهما يوم الاثنين الثانى والعشرين من ربيع الاول سنة تسعين وتسعمائة . ومن ذلك الحصنان اللذان بناهما بثمر العرائش أحدهما يعرف بحصن الفتح ، وهما أيضا فى نهاية الوثاقة والحسن . ومن ذلك معاصر السكر فانه أحدثها بمراكش وبلاد حاحة وشوشاوة . قال الفشتالى : « وكان ابتداء ذلك والده أبو عبد الله الشيخ فكثر السكر فى أيامه بالبلاد المغربية حتى لم تكن له قيمة ، وقد تقدم انه كان يشتري الرخام من النصارى بالسكر ؛ ومن مآثره البيلة العظمى مع كرسيها من المرمر بجامع القرويين تحت منار الجامع المذكور ، وقد تقدم الخبر عنها . وقال ابن القاضى فى «المنتقى المنصور» : « ان اللباس المسمى بالمنصورية - وهو لباس من الملف - لم يكن مستعملا قبله ، وهو أول

من اخترعه واضيف اليه فليل المنصورية .

وكان فى مدة المنصور من الاحداث أنه :

فى سنة سبع وثمانين وتسعمائة وقع غلاء عظيم بالمغرب حتى عرف ذلك العام بعام البقول ، قال فى المرأة : « لما انتهب الناس غنيمة وادى المخازن كان الناس يتوقعون مغبتها لاختلاط الاموال بالحرام فظهر أثر ذلك من غلاء وغيره وكنا نسمع ان البركة رفعت من الاموال من يومئذ . وفى هذه السنة ايضا اصاب الناس فى بعض فصولها سعال كثير قل من سلم منه ، وكان الرجل لا يزال يسعل الى أن تفيض نفسه فسمى العامة تلك السنة سنة كحيكحة .

وفى سنة احدى وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ العارف بالله تعالى الكبير الشأن أبو النعيم رضوان بن عبد الله الجنوى نسبة الى جنوة من بلاد الفرنج ، كان أبوه نصرانيا وأمه يهودية ؛ وسبب اسلام والده ما حكاه أبو العباس الاندلسى فى رحلته : انه كان له فرس ببلده جنوة فانطلق ليلا ودخل الكنيسة العظمى وراث فيها من غير أن يشعر بذلك أحد من السدنة ولا غيرهم ، ثم بادر باخراج الفرس ؛ ولما أصبح أهل الكنيسة ورأوا الروث قالوا : « ان المسيح جاء البارحة على فرسه الى الكنيسة وراث فيها » فاهتز البلد لذلك وتنافس النصارى فى شراء ذلك الروث حتى بيع قدر الذرة منه بمال جزيل ، فعلم أن النصارى على ضلال وهاجر الى بلاد الاسلام فنزل برباط الفتح من أرض سلا فوجد هنالك امرأة يهودية فتزوج بها وولدت له الشيخ أبا النعيم ، فنشأ مثلاً فى العلم والولاية ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم . وكان رضى الله عنه يقول : « خرجت من بين فرث ودم » ؛ أخذ الطريقة عن أبى محمد الغزوانى وقدم عليه مراکش ثم عاد الى فاس فمات بها فى السنة المذكورة ودفن خارج باب الفتوح .

وفى سنة خمس وتسعين وتسعمائة توفى الشيخ العلامة الامام أبو العباس أحمد بن على المنجور ، كان متبحرا فى العلوم خصوصا أصول الفقه ، أخذ عن اليسيتى وأبى زيد سقين العاصمى وأبى الحسن بن هرون وأبى مالك الوائيسى وغيرهم .

وفي سنة سبع وتسعين وتسعمائة توفي الشيخ أبو الشتاء الشاوي دفين جبل آمركو من بلاد فشتالة ويقال اسمه محمد بن موسى وكنى بأبي الشتاء لان الناس قحطوا ولجأوا اليه فسقوا في الحين ، وهو من أصحاب الشيخ الغزواني . ويقال : ما لقيه الا مرة بقيلتها الشاوية فعينه ومكنه فهام على وجهه وكان من أمره ما كان .

وفي ثامن عشر ربيع الثاني سنة ثلاث وألف توفي القاضي أبو محمد عبد الواحد بن احمد الحميدى ودفن بروضة الشيخ أبي زيد الهزميرى خارج باب مصمودة من عدوة فاس الاندلس وقد تقدمت بعض أخباره .

وفي سنة أربع وألف توفي الشيخ أبو الحسن علي بن منصور البوزيدى المعروف بأبي الشكاوى دفين شالة وبها كان سكناه ، أخذ عن الشيخ المجذوب وأبي الرواين المحجوب وغيرهما ، وأولاده يتسبون الى عيسى بن ادريس الحسنى دفين آيت عتاب والله تعالى أعلم .

وفي سنة ست وألف توفي الشيخ الرباني أبو عبد الله محمد بن مبارك الزعرى دفين تاستاوت من مشاهير الاولياء ، كان أول نشأته بمكناسة الزيتون ثم خرج الى البادية بعد أن صعبت عليه القراءة ، ورأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : « انك لن تقرأ ولكنك شيخ » فخرج الى البادية وكان يظن انه يكون من اشيخ القائل حتى هبت عليه نفحة رحمانية فقدم مراکش وأخذ عن الشيخ أبي عمرو القسطلی ورجع الى باديته فبنى مسجدا في الموضع الذي عين له شيخه لسكناه ، فيقال انه لما قيل له جعلت محرابه منحرفا عن القلة اشار بيده الى جهة مكة فترحزحت الجبال حتى شاهد الحاضرون مكة والله على كل شيء قدير وكان الشيخ ابو عبد الله محمد الشرقي معاصرا له فقل له : ان الشيخ ابن مبارك قال : « أهل زماننا محسوبون علينا ، فقال : « اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك . وفي هذه السنة أيضا كان الطاعون العظيم بمراكش وغيرها بحيث عم تلول المغرب واستطال فيها ومات به جمع من الاعيان منهم الشيخ ابن مبارك المذكور .

وفي سنة تسع وألف في جمدي الآخرة منها كان سيل عظيم بفاس ،

ثم فى شعبان من السنة المذكورة كان سيل أعظم من الاول تهدمت منه الدور والحوانيت ، وتهدم سد الوادى بفاس على وثاقته وأحكامه ، وهذا السد هو الذى كان جدده السلطان أبو العباس أحمد الوطاسى ، ثم جدده المنصور فى هذه المرة من أحباس القرويين .

وفى سنة عشر وألف توفى الشيخ العارف بالله الربانى أبو عبد الله ، ويقال أبو عبيد محمد (فتح) الشرقى ابن الولى الصالح أبى القاسم الزعرى الجابرى ثم الرثمى (*) ، هكذا نسبه صاحب المראה وغيره ، ورفع أبو على المعدانى فى كتابه « الروض الفائح » نسبه الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ثم نقل عن حفيده العارف بالله تعالى أبى عبد الله محمد الصالح ابن المعطى ما نصه : « ان الشيخ سيدى محمد الشرقى لم توجد هذه النسبة العمرية بخطه فيما عثرنا عليه ، أما بنو أخيه وبنوه وحفدته فقد وجدت بخط الثقة منهم وتواتر نقلها عنهم وكتبت فى اجازاتهم وكذا فى تمليكاتهم ، اه وهذا الشيخ - أعنى أبا عبد الله الشرقى - كان من أكابر أهل وقته ، يقال انه بلغ درجة القطبانية وتخرج به جماعة من الاولياء ، وبعث اليه المنصور جماعة يختبرونه فظهرت لهم كراماته ، واتفقت له مع الشيخ المنجور كرامة حملته على أن وفد عليه زائرا ومدحه بقصيدة ذكر بعضها اليفرنى فى الصفوة ، وله مع أبى المحاسن الفاسى مراسلات ومواصلات ، ووقع بينهما كلام طويل انظر « ابتهاج القلوب » ؛ أخذ رضى الله عنه عن والده عن الشيخ التباع واعتمد على الشيخ الكبير أبى عبد الله محمد بن عمرو المختارى من أحواز

(*) وفى (نشر المثنى) عن الشيخ أبى عبد الله المسناوى فى نسب الشيخ المذكور السمرى هكذا بلفظ التصغير قال وأولاد سميير بالتصغير ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفى تقييد لمؤلف الممتع : ما نصه : (هو من بنى جابر ثم من ورديغة ثم من الرثمة ثم من اولاد بعر ثم من اولاد سميير وكلهم ينتسبون الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه) اه من خط مؤلفه

مكناسة ، وأخذ أيضا عن ابن مبارك الزعري وأبى محمد بن ساسى ، وتوفى
 أوائل المحرم من السنة المذكورة ودفن بجعيان وقبره شهير نفعا الله به
 وبسائر أهل الله .



تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس
 وأولـه :

الخبر عن دولة السلطان أبى المعالى زيدان بن أحمد المنصور رحمه الله تعالى

فهرس الموضوعات

صفحة

- ٣ الخبر عن دولة الاشراف السعديين من آل زيدان وذكر
اوليتهم وتحقيق نسبهم
- ٦ الخبر عن دولة الامير ابي عبد الله محمد القائم بأمر الله
وبيعته والسبب فيها
- ٨ أول نائبة فرضت في دولة السعديين
- ١٢ أخبار الامير ابي عبد الله القائم في الجهاد وما هيا الله له
من النصر فيه
- ١٣ عقد الامير ابي عبد الله القائم ولاية العهد لابنه ابي العباس
الاعرج رحمهما الله تعالى
- ١٣ انتقال الامير ابي عبد الله القائم الى آفغال من بلاد حاحة
ووفاته بها رحمه الله
- ١٤ الخبر عن دولة السلطان ابي العباس الاعرج ابن الامير
ابي عبد الله القائم رحمه الله
- ١٥ دخول السلطان ابي العباس الاعرج مراكش واستلاؤه عليها
نقل الشيخ الجزولي رضى الله عنه من مدفنه بآفغال الى
مراكش والسبب في ذلك
- ١٦ مجيء السلطان ابي عبد الله الوطاسي الى مراكش وحصاره
للسلطان الاعرج بها ثم افلاعه عنها
- ١٦ خبر آسفي والثغور
- ١٧ حدوث النفرة بين الاخوين السلطان ابي العباس الاعرج
ووزيره ابي عبد الله الشيخ وما نشأ عن ذلك

- ١٨ امر زيدان ابن السلطان ابي العباس وما كان منه
الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المهدي
- ١٩ المعروف بالشيخ ابن الامير ابي عبد الله القائم بأمر الله
فتح حصن فوتي وآسفي وآزمور وما قيل في ذلك
- ٢٠ بناء حصن آكادير
- ٢١ ، استيلاء السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ على مراکش
وتجديد البيعة له بها
- ٢١ نهوض السلطان ابي عبد الله محمد الشيخ لحرب بني
وطاس واستيلاؤه على مكناسة وما اتفق له في ذلك
- ٢٢ حصار السلطان ابي عبد الله الشيخ حضرة فاس ومقتل
الشيخ عبد الواحد الوائش رضى الله عنه
- ٢٤ ، استيلاء السلطان ابي عبد الله الشيخ على فاس وقبضه
الوطاسيين وتغريبهم الى مراکش
- ٢٥ نهوض السلطان ابي عبد الله الشيخ الى تلمسان واستيلاؤه
عليها
- ٢٦ امتحان السلطان ابي عبد الله الشيخ ارباب الزوايا والمتسبين
والسبب في ذلك
- ٢٧ وفادة الامام ابي عبد الله الخروبي من جانب دولة الترك
في شأن قسم البلاد وتحديداتها
- ٢٨ قدوم ابي حسون الوطاسي بجيش الترك واستيلاؤه على
فاس ونفيه الشيخ عنها
- ٢٨ مـرعود. السلطان ابي عبد الله الشيخ الى فاس واستيلاؤه عليها
مقتل الفقيهي ابي محمد الزقاق وأبي علي حرزوز
- ٢٩ والسبب في ذلك
- ٣٠ ترتيب السلطان ابي عبد الله الشيخ امر دولته وما قيل
في ذلك

- ٣٠ - بناء جسر وادي سبو وام الربيع
- ٣٠ - وضع الوظيف المسمى في لسان العامة بالنائبة
- مراسلة السلطان سليمان العثماني للسلطان ابي عبد الله
- ٣١ - الشيخ وما نشأ عن ذلك
- قدوم طائفة الترك من عند السلطان سليمان العثماني
- ٣٢ - واغتيالهم للسلطان ابي عبد الله الشيخ رحمه الله
- ٣٥ - بقية اخبار السلطان ابي عبد الله الشيخ وسيرته
- الخبر عن دولة السلطان ابي محمد عبد الله الغالب بالله
- ٣٨ - ابن السلطان محمد الشيخ رحمه الله
- مجيء حسن بن خير الدين التركي الى فاس ورجوعه
- ٣٩ - منهزما عنها
- بناء جامع المواسين بحضرة مراکش والبركة المتصلة به
- ٣٩ - والمارستان وغير ذلك
- ٤١ - فتح مدينة شفشاون وانقراض امر بني راشد منها
- ٤٢ - حصار البريجة المسماة اليوم بالجديدة
- وفادة السلطان الغالب بالله على الشيخ ابي العباس أحمد
- ٤٧ - ابن موسى السملالي رضي الله عنه
- ٤٨ - وفاة الشيخ أبي عمرو القسطلي دفين مراکش رضي الله عنه
- ٤٩ - استيلاء النصارى على حجر باديس والسبب في ذلك
- ٥٠ - فتنة الفقيه ابي عبد الله الاندلسي ومقتله
- ٥٠ - ظهور بدعة الشراقة من الطائفة اليوسفية وما قيل فيهم
- لاحتيال النصارى بمكيدة البارود بجامع المنصور من مراکش
- ٥٢ - وما وقى الله تعالى من شرها
- ٥٢ - وفاة السلطان ابي محمد عبد الله الغالب بالله رحمه الله
- ٥٣ - بقية اخبار السلطان الغالب بالله وسيرته

- ٥٧ الخبر عن دولة السلطان ابي عبد الله محمد المتوكل على
الله ابن السلطان الغالب بالله رحمه الله
- ٥٩ الخبر عن دولة السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم بالله
ابن محمد الشيخ واولية امره ومآله
- ٦١ مجيء السلطان ابي مروان عبد الملك بن الشيخ السعدي
بمسكر الترك واستيلاؤه على المغرب
- ٦٤ استيلاء السلطان ابي مروان عبد الملك المعتصم على حضرة
فاس وما يتبع ذلك
- ٦٥ نهوض السلطان ابي مروان الى مراكش واستيلاؤه عليها
وفرار ابن اخيه الى السوس وما نشأ عن ذلك
- ٦٦ استخلاف السلطان ابي مروان لاختيه ابي العباس احمد
على فاس واعمالها
- ٦٧ ظهور ابي عبد الله المتوكل بالسوس ومجيئه الى مراكش
واستيلاؤه عليها
- ٦٩ الغزوة الكبرى بوادي المخازن من بلاد الهبط والسبب
فيها
- ٨٦ بقية اخبار السلطان ابي مروان وسيرته
- ٨٧ وفاة الشيخ عبد الله بن سامي
- ٨٧ وفاة الشيخ عبد الله الهبطي
- ٨٨ وفاة الشيخ احمد بن موسى
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الرحمن المجذوب
- ٨٨ وفاة الشيخ عبد الله بن حسين دفين تامصلوحت
- ٨٩ الخبر عن دولة السلطان ابي العباس احمد المنصور بالله
السعدي المعروف بالذهبي واوليته ونشأته
- ٩١ هدية الاصنيول والبرتغال للمنصور السعدي
- ٩٣ عقد المنصور ولاية العهد لابنه محمد الشيخ المدعو المأمون

- ٩٤ : ثورة داود بن عبد المومن بن محمد الشيخ والسبب
في ذلك
- ٩٥ : حدوث النفرة بين المنصور والسلطان مراد العثماني وتلافي
المنصور لذلك
- ٩٧ : ايقاع المنصور بعرب الخلط والسبب في ذلك
- ٩٨ : استيلاء المنصور على بلاد الصحراء تيكورارين وتوات
وغيرهما
- ٩٩ : تلخيص القول في سودان المغرب والاشارة الى ممالكهم
ودولهم من لدن الفتح الاسلامي الى هذا التاريخ
- ١٠٣ : وصول هدية صاحب برنو الى المنصور بحضرة فاس وما نشأ
عن ذلك من بيعته له والتزام ملاعته
- ١١١ : بعث المنصور رسوله بالدعوة الى آل سكية وما دار بينهم
في ذلك
- ١١٢ : مفاوضات المنصور الملاء من أصحابه في غزو آل سكية وما
دار بينهم في ذلك
- ١١٥ : استجازه المنصور لعلماء مصر رضى الله عنهم وتلمذه لهم
- ١١٦ : تجديد المنصور ولاية العهد لابنه المأمون وما وقع في ذلك
- ١١٧ : ثورة الحاج قرقوش ببلاد غمارة ومقتله
- ١١٧ : بناء المسجد الجامع بباب دكالة من حضرة مراکش
حرسها الله
- ١١٨ : بعث المنصور ببيلة الرخام الى جامع القرويين من فاس
حرسها الله
- ١٢١ : غزو السودان وفتح مدينة كاغو ومقتل سلطانها اسحق
سكية رحمه الله
- ١٢٦ : وفاة ام المنصور الحرة مسعودة الوزكيتية رحمها الله
- ١٢٦ : حكم شرب الدخان

- نكبة الفقيه ابي العباس احمد بابا السوداني وعشيرته من
 ١٢٩ آل آقيت والسبب في ذلك
 ١٣١ حكم استرقاق اهل السودان
 ١٣٤ بناء قصر البديع بحضرة مراکش حرسها الله
 ١٤٥ ثورة الناصر ابن السلطان الغالب بالله ببلاد الريف ومقتله
 ١٥١ ذكر احتفال المنصور بالمولد الكريم واعتنائه بسائر الاعياد
 ١٦٣ ذكر سيرة المنصور في ترتيب جيوشه وحالات اسفاره
 انتقاض ولى العهد محمد الشيخ المأمون على ابيه المنصور
 ١٦٩ وما آل اليه أمره في ذلك
 ١٧٥ وفاة الشيخ أبى الشتاء رحمه الله
 ١٨٣ حكم الكرنتينة
 ١٨٦ وفاة المنصور رحمه الله
 ١٨٨ بقية أخبار المنصور وبعض سيرته
 ١٩٠ البرجان المعروفان بالبستيون بقاس
 ١٩١ وفاة الشيخ ابي النسيم الجنوى
 ١٩١ وفاة الشيخ ابي العباس المنصور
 ١٩٢ وفاة القاضي ابي محمد عبد الواحد الحميدى
 ١٩٢ وفاة الشيخ أبى الحسن البوزيدى المعروف بأبى الشكاوى
 ١٩٢ وفاة الشيخ محمد بن مبارك الزعرى
 ١٩٣ وفاة الشيخ أبى عبيد الشرقى

فهرس الاعلام والقبائل



حرف (أ)

ابن غانية ١١٣	آل آقيت ١٣٠
ابن النحاس ١٢٠	آل سكية ١٠١-١٠٢-١١١
ابن اليسع ١٤٣	آل عثمان ٩٧
ابو اسحاق ابراهيم بن يعقوب	أبرويز ١٦٤
الكانمي ١٠٢	ابن الابرار ١٤٤
ابو اسحاق ابراهيم السفينى ١٦٩	ابن بطوطة ٣٩
ابو اسحاق التونسي ٤٠	ابن تودة ٥٤
أبو اسحاق الطويجن ١٠١	ابن حجر ٣٦
ابو البقاء عبد الوارث الياصلوتى	ابن حزم الظاهرى ٥٠
٨٧ - ٥١	ابن حسين ٥٤
ابو بكر بن عمر اللمتونى ١٠٠	ابن الخطيب ٣٠
١١٤ -	ابن خلدون ٢٢ - ١٣٣
ابو تمام ١٢٢	ابن خلكان ١٠٢
ابو حامد الغزالي ١٣٢	ابن سينا ٤٠
ابو الحجاج التليدى ٨٧	ابن شقراء ٥٤ - ٥٨ - ٦٤
ابو الحسن بن المنصور السعدى	ابن عباد ٧٥
١١٧	ابن عباس ١٣٠
ابو الحسن بن ابى بكر آزنالك	ابن عبد السلام ٥
الحاحى ٣٤ - ٣٧	ابن عبد الله ٥٠
ابو الحسن على بن ابى بكر السكتانى	ابن عرفة ٥
٣٤ - ٣٧	

- ابو الحسن علي بن ابي طالب ٧٤
 ابو الحسن علي بن احمد الخصاصي ٣٧
 ابو الحسن علي بن احمد المسفيوي ١٥٢
 ابو الحسن علي بن سليمان التاملي ١٦٧
 ابو الحسن علي بن عبد الله ٥١
 ابو الحسن علي بن عثمان التاملي ٣٦ - ٨٧
 ابو الحسن علي بن محمد التامجروتي ١٥٣
 ابو الحسن علي بن منصور البوزيدي - ابو الشكاوي - ١٤٦ - ١٩٢
 ابو الحسن علي بن منصور الشيطمي ٦٨ - ١٤١ - ١٥٢ - ١٥٦
 ابو الحسن علي بن موسى بن راشد ٤١
 ابو الحسن علي بن مرون ٣٥ - ١٩١
 ابو الحسن المريني ٣٩ - ١٠١
 ابو حسون الوطاسي ٢٥ - ٢٨
 - ٢٩ - ٣٢ - ٩٧
 ابو حفص عمر بن الشيخ ١٢١
 ابو حيان ٧٥
 ابو داود ١٥٦
 ابو راشد يعقوب البدرى ٣٥ - ٨١
 ابو الرواين المحجوب ٢٤ - ١٩٢
 ابو زكرياء بن عبد المنعم ١١٦
 ابو زكرياء يحيى بن عبد الله الحاحي ٥٤
 ابو زيان المريني ٣٠
 ابو زيد ١٩٠
 ابو زيد سقين العاصمي ١٩١
 ابو زيد عبد الرحمن بن تودة العمراني ٤٢
 ابو زيد عبد الرحمن بن عباد الضهاجي - المجذوب - ٨٨ - ٩٠ - ١٩٢
 ابو زيد عبد الرحمن التمانرتي ٩٠
 ابو زيد عبد الرحمن التلمساني ٥٣
 ابو زيد عبد الرحمن الفاسي ٧
 ابو سالم المريني ١٠١
 ابو السرور عباد السومسي ٥٣
 ابو سليمان داود بن عبد المومن ابن محمد الشيخ ٩٤
 ابو الشتاء الشاوي - محمد بن موسى - ١٧٥ - ١٩٢

٤٧ - ٥٣ - ٥٧ - ٨٨ -	أبو العباس أحمد الأعرج بن أبي
أبو العباس أحمد بن يحيى الهوزالي	عبد الله محمد القائم بأمر الله
٩٦	السعدى ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢
أبو العباس أحمد بن يوسف	١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ -
الراشدى ٥٠ - ٥١ - ٨٨ -	١٧ - ١٨ - ١٩ - ٣٤ -
أبو العباس أحمد الزمورى ٥٦	٣٧ - ٥٢
أبو العباس أحمد المنصور بالله بن	أبو العباس أحمد آفغاي ١٦٥
أبي عبد الله الشيخ السعدى ٤ - ٥	أبو العباس أحمد بابا السودانى ١٠٣
٣١ - ٣٤ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ -	١٢٩ - ١٣٢ - ١٣٣ -
٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ -	أبو العباس أحمد بن أبي القاسم
٦٧ - ٦٨ - ٧٩ - ٨٠ -	الصومى ١٤٦
٨٢ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٩ - ٩١ -	أبو العباس أحمد بن الحداد العمري
٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ -	٩٨
٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ -	أبو العباس أحمد بن عبد الله
١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ -	الدغوى ٩٠
١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ -	أبو العباس أحمد بن عبد الله
١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ -	السجلماسى أبو محلى ١٨٦
١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ -	أبو العباس أحمد بن عبد الله
١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ -	الوزكىتى ١١٧
٢٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٤ -	أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن
١٣٥ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٥ -	القيسى الشريشى ٩٩
١٤٦ - ١٤٧ - ١٥١ -	أبو العباس أحمد بن على المنجور -
١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٣ -	٢٣ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٦ -
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ -	١٦٧ - ١٦٨ - ١٩١ - ١٩٣ -
١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧٥ -	أبو العباس أحمد بن
١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٨٣ -	موسى الجزولى السملالى ٣٩ -

ابو عبد الله محمد بدر الدين	١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩
القرافى - ١١٥ - ١٤٧	١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣
ابو عبد الله محمد بن ابراهيم	ابو العباس احمد النقسيس ١١٩
ابو شامة - ٢٣	ابو العباس احمد الوطاسى ١٧ -
ابو عبد الله محمد بن يحيى ٩٤	٢٢ - ١٩٣
ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن	ابو العباس الاندلسى ١٩١
البكرى ١١٥	ابو العباس بن القاضى - ٦ - ٨
ابو عبد الله محمد بن ابى الحسن	١٤ - ١٧ - ١٩ - ٢٠ - ٣٩
ابن راشد ٤١	١١٨ - ١١٩ - ١٤٦ - ١٩٠
ابو عبد الله محمد بن ابى عبد	ابو العباس بن ودة العمرانى ٩٦
القادر السعدى ٣٦	ابو العباس المقرئ ٤
ابو عبد الله محمد بن احمد بن	ابو عبد الله ابن الاحمر ١٢
عيسى ١٦٩	ابو عبد الله بن عيسى ٦٨ - ١٨٩
ابو عبد الله محمد بن ادريس	ابو عبد الله الترغى ٤٧
الجرارى ١٨٣	ابو عبد الله الخروبى ٣١ - ٥١
ابو عبد الله محمد بن بركة ٩٨	ابو عبد الله الشرفى ١٩٢
ابو عبد الله محمد بن الحسن - ابو	ابو عبد الله العوفى ٥٧
الليف - ١٢٠	ابو عبد الله المزوار ٣٨
ابو عبد الله محمد بن حسن	ابو عبد الله المتوكل على الله بن عبد
الامغارى ٥٣	الله الغالب بالله - المسلوخ - ٤٢
ابو عبد الله محمد بن سليمان	٥٧ - ٥٨ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٩
الجزولى ١٤ - ١٥ - ٣٤	٧٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤
ابو عبد الله محمد بن الشيخ ابى	٨٥ - ١٦٣
زكرياء المالكى - كدار - ٩٠	ابو عبد الله محمد الاندلسى ٥٠
ابو عبد الله محمد بن الطيب ٩٢	
ابو عبد الله محمد بن عبد القادر	

السعدى ٥٥	ابو عبد الله محمد بن عذارى
الاندلسى ١٤٢	ابو عبد الله محمد بن عسكر ٨١
ابو عبد الله محمد بن علي بن	ريسون ١٤٥
ابو عبد الله محمد بن علي الفشتالى	١١٩ - ١٥٢ - ١٨٨
ابو عبد الله محمد بن علي الهوزالى	١٥٢ - ٩٢ - ١٥٢
ابو عبد الله محمد بن عمر	النابغة - ٩٢ - ١٥٢
النساوى ١٤٦	ابو عبد الله محمد بن عمر
ابو عبد الله محمد بن عمرو	المختارى ١٩٣
المختارى ١٩٣	ابو عبد الله محمد بن قاسم
ابو عبد الله محمد بن قاسم	القصار ١٤٥ - ١٨٦
القصار ١٤٥ - ١٨٦	ابو عبد الله محمد بن مبارك
ابو عبد الله محمد بن مبارك	الزعرى ١٩٢ - ١٩٤
الزعرى ١٩٢ - ١٩٤	ابو عبد الله محمد بن مبارك
ابو عبد الله محمد بن مبارك	الاقاوى - ٧
الاقاوى - ٧	ابو عبد الله محمد اليرم ١٨٣
ابو عبد الله محمد اليرم ١٨٣	ابو عبد الله محمد الحبران
ابو عبد الله محمد الحبران	السعدى ٣٧
السعدى ٣٧	ابو عبد الله محمد زين العابدين
ابو عبد الله محمد زين العابدين	البكرى ١٤٧
البكرى ١٤٧	ابو عبد الله محمد الشرقى ١٤٦
ابو عبد الله محمد الشرقى ١٤٦	ابو عبد الله محمد الشيخ السعدى
ابو عبد الله محمد الشيخ السعدى	- المهدي - بن ابي عبد الله القائم
- المهدي - بن ابي عبد الله القائم	بأمر الله - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٣
بأمر الله - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٣	١٧ - ١٨ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤
١٧ - ١٨ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤	٢٥ - ٢٦ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠
٢٥ - ٢٦ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤
٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤	٣٥ - ٣٧ - ٥٢ - ٧٠ - ٧٨
٣٥ - ٣٧ - ٥٢ - ٧٠ - ٧٨	٧٩ - ٩٠ - ٩٧ - ٩٨
٧٩ - ٩٠ - ٩٧ - ٩٨	ابو عبد الله محمد الشيخ المامون
ابو عبد الله محمد الشيخ المامون	بن المنصور ٩٣ - ٩٤ - ١٠٤
بن المنصور ٩٣ - ٩٤ - ١٠٤	١١٦ - ١١٧ - ١٢٦ - ١٤٦
١١٦ - ١١٧ - ١٢٦ - ١٤٦	١٤٨ - ١٨٦ - ١٩٠
١٤٨ - ١٨٦ - ١٩٠	ابو عبد الله محمد الصالح بن
ابو عبد الله محمد الصالح بن	المعطى - ١٩٣
المعطى - ١٩٣	ابو عبد الله محمد العربى
ابو عبد الله محمد العربى	الفاسى ٦٩
الفاسى ٦٩	أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله
أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله	السعدى ٣ - ٦ - ٨ - ١٢
السعدى ٣ - ٦ - ٨ - ١٢	١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٦ - ٧١
١٣ - ١٤ - ١٥ - ٢٦ - ٧١	ابو عبد الله محمد المناعى ١٨٣
ابو عبد الله محمد المناعى ١٨٣	ابو عبد الله محمد الهبطى ٨١
ابو عبد الله محمد الهبطى ٨١	ابو عبد الله النيجى ٥١
ابو عبد الله النيجى ٥١	ابو عبد الله الهزميرى ١٦٧
ابو عبد الله الهزميرى ١٦٧	ابو عبد الله الوطاسى البرتغالى ٨
ابو عبد الله الوطاسى البرتغالى ٨	٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٦
٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٦	ابو عبد الله اليستنى ٣٧
ابو عبد الله اليستنى ٣٧	

- ١٤١ - ١٤٣ - ١٥١ - ١٥٢
 ١٦٣ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٨٨
 ١٩٠
 ابو فارس عبد العزيز الوزكي
 ٦٦ - ٦٨
 ابو فراس الحمداني ٦٨
 ابو الفرج بن الجوزي ٤٠
 ابو الفضل القاضي عياض ٧٢ - ٧٧
 ابو القاسم بن علي الشاطبي ٥٧
 ٩٦ - ١١٦ - ١٥٤
 ابو القاسم الزعري ١٩٣
 ابو مالك عبد الواحد بن احمد الحميدي
 ٤٦ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ -
 ٦٥ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٨٦
 ابو مالك عبد الواحد بن احمد
 الشريف السجلاسي ١١١ - ١٥٢
 ١٥٥ - ١٦٦
 ابو مالك الوائشريسي ١٩١
 ابو المحاسن حسن بن ابي نمي ١٥٠
 ابو المحاسن يوسف القاسي ٧٨
 ٨٠ - ٨٢ - ١٢٠ - ١٩٣
 ابو محفوظ محرز بن خلف ٦٠
 ابو محمد بن ابراهيم التامارتي ٥٤
 ابو محمد بن ياسين ١٩٤
 ابو محمد الخياط ٥١
 ابو محمد عبد القادر بن الشيخ
 السعدي ٢٤
- ابو عثمان سعيد بن أبي بكر
 المشتراي ٢٦
 ابو عثمان الهلالي الروداني ١٦٧
 ابو العلاء ادريس ١٠٨ - ١١٠
 ١١١
 ابو علي حرزوز المكناسي ٢٩
 ابو علي حسن بن عيسى المصباحي ٢٦
 ابو علي الحسن بن محمد
 الشريف ١٨٣
 ابو علي القوري ٨٣
 ابو علي اليوسي ١٤٦
 ابو عمران موسى بن أبي جمدي
 العمري ٣٧
 ابو عمران موسى بن مخلوف
 الكنسوسي ٥٧
 ابو عمران الوجاني ٣٤
 ابو عمرو القسطلي ٣٤ - ٤٨ -
 ١٩٢ - ٥٤
 ابو فارس بن المنصور السعدي
 ١٧٦ - ١٧٨ - ١٨٣
 ابو فارس عبد العزيز التباع ٨٨
 ابو فارس عبد العزيز الدباغ ١٠٣
 ابو فارس عبد العزيز الفشتالي ٩٠
 ٩١ - ٩٣ - ١٠٦ - ١١٢
 ١١٦ - ١١٧ - ١١٩ - ١٢٢
 ١٢٤ - ١٢٥ - ١٣٦ - ١٤٠

ابو محمد عبد القادر البرنوى ١٠٣	ابو محمد عبد الواحد بن احمد الحميدى ١٩٢
ابو محمد عبد الله بن حسين الامغارى ٤٨ - ٨٨	ابو محمد عبد الواحد بن احمد الشريف السجلماسى ٥٦
ابو محمد عبد الله بن ساسى ٢٠ - ٨٧	ابو محمد عبد الواحد بن احمد الوائشريسى ٢٢ ٢٣
ابو محمد عبد الله بن عمر المضفرى ٣٦	ابو محمد عبد الوهاب بن محمد ابن على الزقاق ٢٩
ابو محمد عبد الله بن على بن طاهر السجلماسى ٤ - ٥	ابو محمد الغزوانى ١٦ - ٨٧ - ١٩٢
ابو محمد عبد الله بن محمد الجزولى ٨٩	ابو محمد مؤمن بن الغازى ٨٩ - ٩٣
ابو محمد عبد الله بن محمد الفاسى ٥٥	ابو مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن ابي عبد الله الشيخ السعدى ٣١ - ٣٤ - ٣٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٦ - ٨٨ - ٩٥ - ١٤٥ - ١٦٣
ابو محمد عبد الله بن محمد بن الهاشمى بن خضراء السلاوى ١٨٥	ابو المعالى زيدان بن المنصور ٥٤
ابو محمد عبد الله بن يعقوب السملالى ١٨٦	ابو مهدى عيسى بن الحسن المصباحى ٥٨
ابو محمد عبد الله الغالب ٣١ - ٣٤ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٢ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦١ - ٨٨ - ٩٠ - ١٤٥ - ١٦٣	ابو مهدى عيسى بن عبد الرحمن السكتانى ٥٣
ابو محمد عبد الله الكوش ٢٠ - ٢٦	ابو ميمونة ٨٩
ابو محمد عبد الله الهبطى ٨٧	

الافرنج الفرنج ١٦ - ٦٩ - ٧٥	ابو النعيم رضوان بن عبد الله
١١٣ - ١٨٣	الجنوى ٦٥ - ١٩١
الالمان ٨٢	ابو الوليد بن رشد ٧٧
الانصار ١٠٨	أحمد بن الحسن الحفصى ٥٩ - ٦٠
أهل أزمور ٤٤ - ٤٥	أحمد بن الحسن ١٨١
أهل الاندلس ١٦٣ - ١٨٩	أحمد بن حمو الدرعى ٥٨
أهل برنو ١٠٣	أحمد بن عبد الحق ١٧٤
أهل بلاد الهبط ١٢٠	أحمد بن على السوسى البوسعيدى ٧
أهل البيت ٩٦	أحمد بن عمر بن موسى ٨٣
أهل تونس ٥٩	أحمد بن محمد الصغير ١٨٠
أهل الجزائر ٦٢ - ٦٣	أحمد بن محمد بن موسى ٥٤ -
أهل درعة ٣ - ٩٥ - ١٧٥	١٨١
أهل درن ١٧٩	أحمد الهبطى ٥٧
أهل سجلماسة ٣	أحمد اليستى ٣٦
أهل السوس ٦ - ٧ - ٨ - ١٠	أحمر ١٧٣
١٨ - ١٧٥	اسماعيل بن الشريف ١٤٣
أهل السوس الاقصى ٢٩ - ٧٤	اسحق بن داود ١٠٢ - ١١١
أهل السودان ١٠٣ - ١١٤ -	اسحق سكية ١١٢ - ١٢٢ -
١٢٦ - ١٢٩ - ١٣١	١٢٣
أهل الشام ٧٤	الاصنيول ٥٩
أهل طرابلس ٦٢	الاصنيوليون ٨٥
أهل العدو ٧٠ - ٧٥	الاصطنبوليون ٨٥
أهل غانة ١٠٠ - ١٠٣ - ١٣٣	الاروام ١١٣
أهل غرناطة ٥٤	الزيدانيون ٥
	اعراب المغرب ١٣٢
	الاغا ٦٣

أهل فاس ١١ - ٢٢ - ٢٣ - ١٧٨	أولاد طلحة ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٨
٣٨ - ٥٨ - ٦٥ - ١٢٦	١٨١
١٧٥ - ١٩٠	أولاد عمران ٦٤ - ١٧٣
أهل القصر ٧٨	أولاد القائد بركة ١٧٤
أهل كانم ١٠٣	أولاد مطاع ٩٠ - ١٧٣
أهل كنوا ١٠٣	أولاد النقسيس ١١٩
أهل مالي ١٠٠ - ١٠٣	أولاد يحيى بن غانم ١٧٤
أهل مراکش ٣٤ - ٣٨ - ٧٨	حرف (ب)
١٧٥	البابا ٨٢
أهل المشرق ١٨٩	بابا حمو اكران ١٧٢
أهل المغرب ٥٤ - ٧٠ - ٨٢	بابا عبد القادر ١٧٢
١٣٣ - ١٨٩	بابا عبد الله ١٧٢
أهل مملكة كوكو ١٠١	بابا عبد الملك ١٨٢
أولاد ابي راس ١٧٣	بابا منصور ١٧٢
أولاد ابي السباع ٨٧	الباشا جودر ١٢١ -
أولاد ابي الليف ١١٩ - ١٢٠	١٢٢ - ١٢٣ - ١٦٣ - ١٦٤ -
أولاد ابي محمد عبد الله بن ساسي	١٧٦ - ١٧٧ -
١٧٨	الباشا محمود ١٦٣ - ١٦٤
أولاد ابي عزيز ١٧٣	البخاري ٢٣ ٣٦ - ٧٧
أولاد جلول ٧٩	٩٠ - ٩٧ -
أولاد حسين ١٧٤	بختيار ١٦٣
أولاد الشيخ أبي البقاء خالد	البرانس ١٤٥
المصمودي ٣١	البربر ٩٤ - ١٠٠ - ١٣٤
أولاد الشيخ أبي زكرياء يحيى بن	البرتغال ٦ ٩ - ١٠ - ١١
بكار ١٧٨	١٢ - ١٣ - ١٦ - ٤٢ -
أولاد الشيخ أبي عمرو القسطلي	

حرف (ت)

تاج الدين السبكي ٥٥
الترك - الاتراك ٢٥ - ٢٨ - ٣١
٣٣ - ٣٤ - ٣٩ - ٤٢ -
٤٣ - ٤٩ - ٥٤ - ٦٣ - ٦٤
٦٥ - ٨٥ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٧
١١٤ - ١٣٠ - ١٤٥ - ١٧٠
١٧٢ - ١٧٤
التكروري ١٠١

حرف (ج)

جراوة ٦٨
جرمون ٦٤
جسيمة ٧
جلال الدين السيوطي ١٠٢

حرف (ح)

الحاج قرقوش ١١٧
الحاج محمد سكية ١٠١ - ١٠٢
حاجة ١٣
حام بن نوح ٩٩
الحبشة ١٠٨
الحران ٢٤ - ٢٥
حسن بن خير الدين التركي ٢٥ -
٣٩ - ٥٩
الحسن بن قاسم ٣

٦٩ - ٧٨ - ٨١ - ٨٢ -
٨٤ - ٨٥ - ٨٨ -
البرتغاليون ١٩ - ٢٠
البرزلي ٧٥
بغا ١٦٣
بركات ٧
بنو آقيت التكروريون ١٢٩
بنو ابي حفص ٥٩
بنو امغار ٨٨
بنو حسن ٩٨
بنو صالح ١٠٠
بنو صالح بن منصور الحميري ٢٢
بنو راشد ٤١ - ٥٧
بنو سعد بن بكر ٤ - ٦
بنو العباس ١٠٩
بنو عبد الواد ١١٣
بنو مرين ٢٦ - ٣٠ - ١٠٣ -
١١٤
بنو معقل ٩٥
بنو وطاس ٧ - ١٠ - ٢٤ - ٢٨
٣١ - ٣٢
البليدروش ٤٣
بهرام ١٨٦
بيلارباي ١٦٥

الحسن بن محمد الحفصي ٥٩
الحسين العليج ٨٣
الحفصيون ٥٩
حليمة السعدية ٤
الحنفية ٧٦ - ٧٧
حيدر باشا ٦٠

حرف (خ)

الحزندار ٦٣
خير الدين باشا التركي ٥٩
الحيزران ١٧٧
خلفاء بني العباس ١٣٠

حرف (د)

داود بن محمد ١٠٢
الدولاتي ٦٢ - ٦٣
دولة ابي حفص ٦١
دولة بني زيان ٢٥
الدولة الحفصية ١٠٣
الدولة السعدية ١٦٥
دولة السعديين ٨ - ٥٥
دولة الشرفاء ٧
الدولة المرينية ٩٧ - ١٠١
الدولة الوطاسية ٣١

حرف (ر)

رضوان العليج ٨٠ - ٨٦

رفاعة الطهطاوي ١٨٣
رمضان العليج ٨٦
الروافض ٥١
الروم ٧٧
الريكي ٨٤ - ٩١
حرف (ز)

الزرهوني ٥٤
زيدان بن ابي العباس أحمد الاعرج
السعدي ٣ - ١٢ - ١٨
زيدان بن المنصور ١١٦ - ١١٧
١٣٠ - ١٧٥ - ١٧٧ - ١٧٨
١٨٦ - ١٨٧ -
الزيدانيون ٩

حرف (س)

سبستيان ٦٩ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣
٨٤ - ٨٦ - ٩١
سحابة الرحمانية ٦٢ - ٦٣
السعديون ٣ - ٤ - ٥ - ٦ -
٢٤ - ٣٠ - ٣١ - ٤٣
سعيد بن صالح ٢٢
سعيد بن علي الحامدي ١٨
سعيد الرغالي ٦٤
السفاح ١٠٩
سكية ١٨٦
سلمان ١٦٢

صالح التركمانى ٢٨ - ٣٣	سليمان العثمانى ٣١ - ٣٢
الصدر الاعظم ٦٢	٣٣ - ٣٤
ضهاجة ١٠١	سليم بن سليمان العثمانى ٣٤ -
حرف (ط)	٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٨٥ -
طاهرة ابنة المنصور السعدى ١٨٢	١٠١
الطليان ٨٢	سنان باشا ٦٠
الطليطلى ٢٢	السودان ٩٩ - ١١١ - ١١٢
حرف (ع)	١١٤
عبدة ١٧٣	سيدة الملك ١٨٢
عبد الرحمن بن تودة ٥٧	حرف (ش)
عبد الصادق بن ملوك ٥٤	الشاطبى ١٥٢
عبد العزيز بن سعيد الوزكىتى	الشاطبى - القاضى - ١٦٧
١٧٨	الشاوية ١٩٢
عبد الكبير بن ابنى عبد الله محمد	الشراقة ٥١
القائم بامر الله السعدى ٩ ١١	الشرقى ٥٤
عبد الكريم بن الشيخ ٥٤	الششتى ١٥٢
عبد الكريم بن مؤمن العليج الجنوى	الشطيبى ٥١
٥٤ - ٥٧	الشياظمة ١٠ - ١٣ - ١٧٣
عبد الله بن حسين ١٠٠	الشيخ ابن زيدان ٤
عبد المومن بن ابنى عبد الله محمد	الشيخ التباع ١٩٣
الشيخ السعدى ٣٧ - ٥٩	الشيخ عبد الجليل ١٦٧
عبد المومن بن على ٣٠ - ١٤٢ -	الشيعة ٥١
١٤٣	حرف (ص)
عبيد الله المهدي السعيدى ٢٢	صالح باى ٣٢
عثمان بن ابنى عبد الله محمد الشيخ	صالح بن عبد الله ١٠٠

حرف (ف)

برنسا ٩٢
فيليب الثاني ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ -
٩١

حرف (ق)

قاسم بن حسن ٤
قاسم بن محمد ٤
قاسم الزرهوني ٣٠ - ٥٧
قبائل الحوز ٤٢
قبائل السوس ٧ - ٢٨ - ١٧٣
القبائل السوسية ١٢ - ١٨
قبائل المغرب ٣١
قبيلة زمور ٧٩
قريش ١٠٨

حرف (ك)

كاغو ١٠١
الكريشي ١٧٤

حرف (ل)

لسان الدين بن الخطيب ١٦٢
للم ١٣٣
لويز مارية ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ -
٤٥ - ٤٦ - ٨٥

حرف (م)

الموردي ٧٢
ماري زاطة ١٠١
مالك ٧٧

السعدى ٣٧

العجم ٧٦ - ١٦٣
المغرب ٥٠ - ٧٦ - ١١٦ -
١٦٣

عرب الودايا ٩٥

العارفة بنت خنجو ٣٠
عزوز بن سعيد الوزكيتي ١١٦
عقبة بن نافع الفهري ١١٦
خلوج ٩٦ - ١٦٣
العلويون ٣ - ٤ - ٥
على باشا ٦٠

على بن ابي بكر ٥٨
على بن مؤمن ٨٣
على بن محمد ١٧١ - ١٧٣
عمار ٧٤ - ١٦٣

عمر بن ابي عبد الله محمد الشيخ
السعيدى ٣٧

عمر بن الحسن ابو الليف ١٢٠
عمر بن الخطاب ١٩٣
عمر بن محمد بن عبو ١٧٣
عمر بن محمود آقيت ١٣٠
عمرو الساف ١٥
عميرة ١٨٦

عيسى بن ادريس الحسنى ١٩٢
عيسى بن مريم ١٠٦

مخلوف بن صالح ١٤	المالكية ٧٧
المرايط الاندلسي ٥٤	مومن بن ملوك ١٧٤ - ١٧٧
المرايطون ١١٣ - ١٣٤	مؤمن بن منصور ١٨٠
مراد بن سليم العثماني ٩١ - ٩٢	المتنبى ٣٦
٩٦ - ٩٧ - ١٠٤	محمد ابو طيبة ٨٣
مريم السعدية ٦٧	محمد الامين الدفترى ٩٧
المرينيون ١١٣	محمد بن ابى القاسم ٣
المسيح ١٩١	محمد بن احمد بن عيسى ٥٧
معاوية ٧٤	محمد بن الحسن الحفصى ٦٠ -
مسعود أوتاودى ١٨١	٦١
مسعود بن مبارك ١٨٢	محمد (فتحا) بن الشريف ٤
المسعود بن الناصر ١٦ ٨٩	محمد بن عبد الرحمن السجلماسى
مسعودة الوزكيتية ٦٢ - ١١٧	٥٧
١١٨ - ١٢٦	محمد بن عبد الرحمن الوردى
مسعود الدورى ١٧٥	١٨١
مسعود الوصيف ١٧٩	محمد بن عبد القادر ١٥٠
مسلم ٧٢	محمد بن على الانكراطى اليملالى
المصامدة ٨	١٨
مصطفى باشا ٦٠	محمد بن عمر الشاوى ٨٦
مصطفى باى ١٦٣	محمد بن عيسى ٨٦
المثمون ١٠٠ - ١١٤ - ١٢٢	محمد بن الغالب بالله ٤٩
المنابهة ١٧٣	محمد بن موسى بن ابى بكر ١٧٩
منسازاظة ١٠١	محمد الكبير ١٩٠
منسا سليمان ١٠١	محمد النفس الزكية ٣ - ٤
منسا موسى بن ابى بكر ١٠٠ -	محمود آقيت ١٢١
١٠١	محمود باشا ١٢٣
المنصور بن ابى عامر ١٤٣	محيى الدين بن عربى ١٤٤

حرف (هـ)	منصور بن المزوار ١٧٢
الهبطى ٥٤	المنصور العباسى ١٠٩
هنتاة ١٥	منصور النبيلى ١٧٦
حرف (و)	موسى بن ابى جمدى العمرى ٩٨
ولد آصناك ٥٤	موسى ١٣٣
ولد ابراهيم بن الحداد ١٨١	مولود المشاورى ١٦٤
الوطاسيون ١٢ - ١٦ - ٢١ -	المهدى الفاطمى ١٨٦
٢٩ - ٢٤	منويل ٨ - ١٠ - ١٢ - ٢٠ -
الوكيل ٦٣	٨٢ - ٨٣ - ٨٤
ولى الدين ابن خلدون ١٣٣	الموحدون ١١٣ - ١٣٤ -
حرف (ى)	١٤٢
اليستينى ١٩١	الميلودى ٤٤
يحيى بن تافوت ١٠	حرف (ن)
الشكارية ٣٢	النصارى ٧ - ١٠ - ١٢ - ١٥ -
يعقوب الكانمى ١٠٢	١٧ - ٢٠ - ٢٤ - ٤٢ - ٤٣ -
يعقوب المنصور الموحدى ١٠٢	٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ -
اليفرنى ٣ - ٥ - ٧ - ١٢ -	٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ -
٤١ - ٤٠ - ٣١ - ٣٠ - ٢٥ -	٧٥ - ٧٨ - ٧٩ - ٨١ -
٤٩ - ٥٤ - ١٤٣ -	٨٢ - ٨٣ - ٨٥ - ٩١ -
١٦٦ - ١٦٥ - ١٤٥ - ١٤٤ -	١٧٤ - ١٨١ - ١٨٣ - ١٩٠ -
١٩٣ - ١٨٧ - ١٦٩ -	١٩١
يوسف ١٨٢	الناصر بن الغالب ١٦ - ١٤٥ -
يوسف بن تاشفين ٧٥ - ١٠٠ -	١٤٦
١١٤	ناصر بوشتنوف ١١
اليوسفية ٥٠	النجليز ٩٦
يونس بن سليمان التاملى ٥٨	

فهرس الاماكن



أرض الصحراء ٩٨	حرف (أ)
أرض المغرب ٣٠ - ٨٣ - ٩٩	آزغار ٩٨
١١٤	آزمور ١٢ - ١٧ - ١٩ - ٢٠
أرض المغرب الأقصى ٦٣	٤٢ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦
أرض النوبة ٩٩	٨٨ -
الأوربا ٨٤	أسفى ١٠ - ١١ -
اسبانيا ٨٢ - ٨٥	١٢ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٩
اشبونة ١٩ - ٤٣ - ٨٢ - ٨٤	٤٣ - ٤٤
اصطنبول ٦٠ - ١٠٤	أصيلا ٧ - ١٧ - ١٩ - ٦٧
افريقية ٢٢ - ٩٩ - ١١٤	٧٨ - ١١٩ - ١٤٥
أقصى المغرب ١٢٥	أغمات ١٦٦ - ١٦٧
الاندلس ١٢ - ٦٤ - ١١٣ -	أنفال ١٣ - ١٤ - ١٨
١٦٣ - ١٤٣ - ١٤٥ - ١٥١ -	آقت ٧ - ٨ -
١٦٥ - ١٦٤	أكادير ١٠ - ١٢ - ٢٠ - ٣٠
أهرام القاهرة ١٣٥	آكلكال ٣٣
حرف (ب)	آيت عتاب ١٩٢
باب تونس ٦٠	أبو عفية - بتادلا - ١٢
باب الخميس بمراكش ١٦ - ١٧٤	أبو غاص ٥٨
باب الفتوح بفاس ٦٤ - ١٩٠	أرض التكرور ١٠٠
١٩١	أرض الحجاز ٣
باب الشماعين - إحدى أبواب	أرض السودان ١١١ - ١٣٣

بلاد السوس ٧ - ٨٨	القرويين - ٢٣
البلاد السوسية ١٣ - ١٥ - ٢٠	باب عجيسة بفاس ١٤٠ - ١٩٠
بلاد عبدة ١٠	باب مصمودة بفاس ١٩٢
بلاد الغرب ١٨٦	باديس ٣٩
بلاد غمارة ٤١ - ١١٧ - ١٤٥	باريس ١٨٣
بلاد الفحص ١٧٢	البحر المحيط ٩٩ - ١٢٥
بلاد فشتالة ١٧٥ - ١٩٢	البديع ١٣٤ - ١٣٥ - ١٤٢
بلاد كوكو ١٠٠ -	١٤٣ - ١٤٤ - ١٦٤
البلاد المراكشية ٦٥	برج العيون ٥٩
بلاد مصر ٩٩	برنو ٩٩ - ١٠٣ - ١٠٥ -
بلاد المغرب ٦٩ - ٨٣ - ٨٦ -	١١١
٩٩ - ١٣٢	البريجة ٤٢
البلاد المغربية ١٩٠	البيستون ٦٠
بلاد النوبة ١٢٥	بسيط عبدة ١٠
بلاد الهبط ٧ - ٤١ - ١١٧	القرويين ٢٣
البوغاز ٤٩	بلاد آل سككية ١٢٢
بوغاز طنجة ٤٨	بلاد الأفرنجية ١٣٥
بوياون ١٧٩	بلاد برنو ١٢٥
حرف (ت)	بلاد الترك ١٥٣ - ١٦٣
تاجمدارت ٧	بلاد تيكورارين ٤٠
تازا ١٤٥	بلاد درعة ١٢٦
تادلا ١٦ - ٢١ - ١١٧ - ١٧٥	بلاد حاحة ١٠ - ١٣٥ - ١٩٠
تارودانت ٨ - ١٠ - ١٤ - ٣٣ -	بلاد الروم ١٣٥
٣٤ - ٩٠ - ١٦٧	بلاد السودان ٩٩ - ١٠٠ -
تاستاوت ١٩٢	١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥ - ١١٢
تافيلالت ١٢ - ٥١	١١٣ - ١٢٦ - ١٢٩

ثنية الكلاوى ١٢١	تافالت - ١٧٥
حرف (ج)	تامسنا ٧٨ - ٧٩ - ١١٦
جامع ابن يوسف ٣٩	تامصلوحت ٤٨ - ٨٨ - ١٨٠
جامع الاشراف ٣٩ - ٤١ -	تانسيفت ٢٠ - ٩٤
١٨٧ - ١٨٦	تاهدارت ٨٠
الجامع الاعظم بتونس ٦٠	ترغة ٤١
جامع القرويين ١١٨ - ١٤٥	تطاوين ٧٩ - ٨٤
١٩٠	التكروور ١٠٢ - ١٣٣
جامع المنصور بمراكش ٣٥ - ٥٢	تلمسان ٤ - ٢٥ - ٣١ - ٣٤ -
١٦٤ - ٧٧	٣٦ - ٣٧ - ٥٩ - ٦١ - ٧٧
الجاية ١٤٦	١١٣ - ١١٤ - ١٣٠ - ١٧٠
جبال السوس ٦٧	١٧٢
جبل درن ١٠ - ٣٣ - ٦٨	تبكتو ١٢١ - ١٢٣ -
جبل سكسيوة ٩٤ - ٩٥	١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٥
جبل هوزالة ٩٥	١٨٦
الجديدة ١٧ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٥	توات ٩٨ - ١٠٥ - ١١٢
٤٦ - ٥٤ - ١٨٣	تونس ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢
الجزائر ٢٥ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٤	٧٧ - ١٧٤
٤٩ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢	تيدسى ٨ - ١٢
٦٣ - ٨٨ - ٩١ - ٩٥	تيط ٨٨
١٧٤	تيكورارين ٩٨ - ٩٩ - ١٠٥
جزيرة مالطة ٨٥	١١٢
جسر وادى ام الربيع ١١٧	تيلمست ١٤
جعيدان ١٩٤	تينزرت ٦٨
جنان الصالحة ١٤٢	حرف (ث)
	الثغور الهبطية ٤٩

الركن ٦٤	جنوة ١٩١
الرملة ٥٨	حرف (ح)
الرميلة ١٦٥	الحاجب ١٤٦
روضة السعدين ٣٥	الحجاز ٣ - ٩ - ١٠١ - ١٥٠
روضة الشيخ ابي زيد الهزميري	حجر باديس ٧ - ٤٩
١٩٢	حصن الفتح ١٩٠
رومة ٤٤ - ٨٢	حصن فوتى ١٩
رياض الزيتون ٥٠	حلق الوادى ٥٩ - ٦٠
حرف (ز)	حمام المرنى ٣٧
الزاهرة ١٣٥ - ١٤٣ - ١٤٤	حومة المواسين ٣٩
الزهراء ١٣٥ - ١٧٧	حرف (خ)
زوراء العراق ١٣٦	خندق الريحان ٦٥
حرف (س)	خندق الوادى ١٧٩ - ١٨١ -
ساحل طيط ٤٣	حرف (د)
سبته ٣٦ - ٤٨ - ٨٤ - ١١٩	دار الديبغ ١٧٤
سجلماسة ٣ - ١٨ - ٣٤ - ٥٩	درعة ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١
١٧٠ - ٩٩ - ٦١	١٢ - ٣٣ - ١٢١ - ١٩٠
سغاي ٩٩ - ١٠٣	الدعاع ٢٦ - ٥٨
سلا ٣٠ - ٦٥ - ٧٩ - ١٧٤	دمنات ١٨٠
١٧٥ - ١٧٩ - ١٨٣ - ١٩١	الدوح ١٧٥
السودان ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢ -	ديار الروم ٧٨
١٢٣ - ١٢٢ - ١٢١ - ١٠٤	حرف (ر)
١٣١ - ١٣٣ - ١٦٣ - ١٨٦	رباط الفتح ١٩١

حرف (ع)

العدوة ٧٩

عدوة فاس الاندلس ١٩٢

العرائش ٦٧ - ٧٩ - ٨٢ -

٨٣ - ٨٤ - ١٩٠

حرف (غ)

غانة ٩٩ - ١٠٠

الغرب ١٠٠ - ١٧٥

حرف (ف)

فاس ٤ - ٨ - ٩ - ١١ - ١٢

٢٢ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٨

٢٩ - ٣٠ - ٣٣ - ٣٧ - ٣٩

٤٦ - ٥٥ - ٥٧ - ٥٨ - ٦٤ -

٦٦ - ٦٨ - ٧٩ -

٨٤ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٩ -

٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ٩٦ -

٩٧ - ٩٨ - ١٠٤ - ١١٦ -

١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ -

١٢٦ - ١٤٦ - ١٦٦ -

١٧٠ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٩٠

١٩٢ - ١٩٣

فاس الجديد ٣٨ - ٥٥ - ٦٤ -

١٧٦ - ١٨٦

فحص طنجة ٥٨

فوتى ٢٠

السوس ٧ - ١١ - ١٣ -

١٩ - ٣٣ - ٣٦ - ٦٦ - ٦٨

١١٧ - ١٦٣ - ١٧٨ - ١٧٩

١٨٠ - ١٨٣

السوس الأقصى ١٠ - ٢٠

حرف (ش)

شالة ١٩٢

الشام ١٣٥

النسرق ٩٩ - ١٠٠

شفشاون ٤١ - ٥٧

شوشاوة ١٣٥ - ١٩٠

حرف (ص)

الصحراء ٩٥٠ - ١٠٠ - ١١٤

صعيد مصر ١٢٥

صقلية ٦٠

سوصو ٩٩ - ١٠٠

حرف (ط)

طرابلس ٦٠

طريق تاحضشت ١٧٩ - ١٨٠

طنجة ٧ - ٥٨ - ٦٨ - ٦٩ -

٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٨

حرف (ظ)

ظهر الزاوية ١٧٨

كوكو ٩٩	حرف (ق)
حرف (م)	قادس ٢٦ - ٨٣
مالي ٩٩ - ١٠٠	القاهرة ١٣٥
المدينة ٦ - ٤١ - ١٥٠	قبور الاشراف ٣٤ - ٥٢ -
المدينة البيضاء ١٧٩	١٦٤ - ١٨٧
المحمدية ١٨٠	الفروين ٩ - ١٩٣
مراكش ٤ - ١١ - ١٤ - ١٥	القسطنطينية ٣٢ - ٥٩ - ٦١ -
١٦ - ٢٠ - ٢١ - ٢٤ -	٨٦ - ٩١ - ٩٦ - ٩٧
٢٦ - ٢٨ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٥	قنتالة ٥٩ - ٦٠ - ٩١ - ١٤٥
٣٧ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٠ - ٥٥	القبة بتونس ٦٠
٥٧ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦	القصة بفاس ١٠٤
٦٧ - ٦٨ - ٧٣ - ٧٨ - ٧٩	القبة بمراكش ٥٢ - ٦٠ -
٨١ - ٨٦ - ٨٧ - ٩١ - ٩٣	٦٧ - ١٨٧
٩٤ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ -	القصر ٥٨ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٤
١٠٥ - ١١٠ - ١١٦ - ١١٧	١٢٠
١٢١ - ١٢٦ - ١٣٠ -	القصر الكبير ٨٦
١٣١ - ١٤٣ - ١٦٥ -	قصر كتامة ٨٠
١٦٦ - ١٧٠ - ١٧٢ -	قلعة نكور ٢٢
١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ -	قنطرة عصاء ٥٨
١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٣ -	القيروان ٦٠
١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ -	حرف (ك)
١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ -	كاغو ٩٩ - ١١٢ - ١٢٢ -
١٩٢	١٢٣ - ١٨٦
مرسى تطاوين ٩٦	كانم ٩٩ - ١٠٢
مرسى طنجة ٤٩	كنتى ١٠٣
المسجد الجامع بحومة باب كونة	

مملكة كاغو ١١١	بمراكش ١١٧
منار القرويين ٣٨	المسرة ١٢٥ - ١٤٢
حرف (ن)	المشتهى ١٢٥ - ١٤٢ - ١٦٤
نهر سبو ٦٥	مصر ٣١ - ١٠١ - ١٠٢ - ١١٥
نهر ورغة ١٧٥	المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨
النيل ٩٩ - ١٢٣ - ١٣٣	٩ - ١٠ - ١٢ - ١٣ - ٢٢
حرف (و)	٢٥ - ٢٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢
وادي ام الربيع ٣٠	٣٤ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٩ - ٦١
وادي تانسفيت ١٢١	٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٨
وادي سبو ٣٠	٦٩ - ٧٠ - ٨٢ - ٨٥ - ٨٦
وادي شراط ٦٥	٨٧ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٨
وادي سلف ٢٥	٩٩ - ١٠٠ - ١٠٥ - ١١٤
وادي اللبن ٣٩	١٢٥ - ١٢٦ - ١٣١
وادي المخازن ٤٣ - ٨٠ - ٨١	١٤٥ - ١٥١ - ١٧١ - ١٨٦
٩٥ - ٩١ - ٨٨ - ٨٧ - ٨٦	١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
- ٩٨ - ١٦٣ - ١٩١	المغرب الأقصى ٣١ - ٤٩
وادي مضي ٣٦ - ٥٨	المغرب الأوسط ٢٤ - ٣١
وادي نول ٢١	١٧٢
وادي النجاة ٦٤	مكة ٩ - ١٥٠ - ١٩٢
وهران ٤٩ - ١٨٦	مكناسة ٢١ - ٢٦ - ٧٩ - ٨٨
حرف (ي)	١١٧ - ١٧٦ - ١٧٨
ينبع النخل ٣ - ٥	١٩٢ - ١٩٤
	مليانة ٥٠
	مملكة برنو ١٠٣ - ١٠٤
	١٠٥



Bibliotheca Alexandrina



0362783